سعدي يوسف

الأعمال الشعرية

الجزء الخامس



سعدي يوسف

الأعمال الشعرية

الجزء الخامس

حفيد امرئ القيس

منشورات الجمل

ولد **سعدي يوسف** في البصرة عام ١٩٣٤. تخرّج من دار المعلمين ببغداد سنة ١٩٥٤. عمل في الصحافة وتنقل بين عدة بلدان ويقيم اليوم بلندن. نشر العديد من الترجمات الشعرية والنثرية، وكتب القصة والرواية، ترجمت أشعاره إلى العديد من اللغات ونال جوائز أدبية في البلدان العربية والأوروبية. من أعماله وترجماته: **القرصان**، شعر (١٩٥٣)؛ **أغنيات ليست للآخرين**، شعر (١٩٥٥)؛ **قصائد مرئية**، شعر (١٩٦٥)؛ **بعيداً عن السماء الأولى**، شعر (١٩٧٠)؛ **نهايات الشمال الأفريقي**، شعر (١٩٧٢)؛ **الأخضر بن يوسف ومشاغله**، شعر (١٩٧٢)، **والت وايتمان: أوراق العشب**، ترجمة (١٩٧٦)؛ **تحت جدارية فائق حسن**، شعر (١٩٧٤)؛ **قصائد أقل صمتاً**، شعر (١٩٧٩)؛ **خذ وردة الثلج، خذ القيروانية**، شعر (١٩٨٧)؛ **قصائد باريس، قصائد إيثاكا**، شعر (١٩٩٢)؛ **كافافي: وداعاً للاسكندرية التي تفقدها**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **يانيس ريتسوس: إيماءات**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **لوركا: الأغاني وما بعدها**، ترجمة (١٩٨١)؛ **فاسكو بوبا: شجرة ليمون في القلب**، ترجمة (١٩٨١)؛ **غونار أكيلف: ديوان الأمير وحكاية فاطمة**، ترجمة (١٩٨١)؛ **أونغاريتي: سماء صافية**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هولان: قصائد**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هنري ميللر: رامبو وزمن القتلة**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **نغوجي واثيونغو: تويجات الدم**، ترجمة (١٩٨٢)؛ **ديفيد معلوف: حياة متخيلة**، ترجمة (١٩٩٨)؛ **وولي سوينكا: المفسّرون**، ترجمة (١٩٨٦).

سعدي يوسف: **الأعمال الشعرية، الجزء الخامس: حفيد امرئ القيس**

الطبعة الأولى

خطوط الغلاف: الفنان علي عاصي

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١

ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

صلاةُ الوَثنِيِّ



الإستباحةُ

السمتيّاتُ الأميريكيّةُ تقصفُ أحياءَ الفقراءْ

والصحفُ المأجورةُ

في بغدادَ

تُحَدِّثُ قُرّاءً أشباحاً عن أرضٍ سوف تكونُ سماءْ...

***

هذا الطاعونُ

هذا الوحشُ المملوءُ دماملَ

هذا الخِرْتيتُ الفولاذُ

وهذا الشاربُ كأسَ دمٍ طافحةً ممّنْ فُصِدوا،

هذا المتدرِّعُ بالقتلى

هذا المتذرِّعُ باللاشيءْ...

القاتلُ

والماثلُ في الساحات

هذا المنتقم، الليلةَ والليلةَ، من بغداد

هذا الراحلُ حتماً

سنشيِّعُهُ يوماً بقناديل البصَقات.

***

السمتيّاتُ الأميريكيةُ تقصف أحياءَ الفقراء
والصحفُ المأجورةُ
في بغدادَ
تُحَدِّثُ قُرّاءً أشباحاً
عن أرضٍ سوف تكونُ سماءْ.

لندن، ٥/ ٤/ ٢٠٠٤

تنويعٌ صعبٌ

سلامٌ على هضَباتِ العراق
وشَطَّيهِ، والجُرفِ، والمنحنى
على النخلِ...
والقريةُ الإنجليزيةُ الآنَ صارت تجرجرُ، هُوْناً، سحائبَها
والمساءُ ادَّنى
فهي تدفأُ، كالقطِّ، في نومها
وتذودُ الكوابيسَ عن شجرٍ أغرقتْه البحيراتُ...
يأتي المساء
بطيئاً
ومنتظماً (سوف تحصي ثوانيَهُ مرّةً)
هل ستغمضُ عينيكَ؟
عند نهايةِ ذاك المَمَرِّ
ومن مُرْتبى النافذةْ
نهضتْ دوحةُ الجوزِ...
يأتي المساء
بطيئاً
ويزحفُ حتى يهدهدَ جفنيكَ:

هل تبصرُ السعفةَ المستحيلةْ؟

سلامٌ على هضباتِ العراق
وشطَّيهِ، والجرفِ، والمنحنى...
هل كنتُ أدري أنّ وجهي، بعدكَ، الطرقاتُ؟
أبواباً مغلّقةً تركتُ، ومنزلاً للريحِ. لم تكنِ
البلادَ، ولم تكنْ أمواهُكَ الخضراءُ جابيتي. لقد
خلّفْتَني في قلعةِ الصحراءِ. ماذا أرتجي
منكَ، العشيّةَ؟ في الصباحِ خذلتَني، ودخلتَ
في الثُّكُناتِ. قلتَ: «الحربُ أجملُ». لن ترى
قدمَيَّ بعد اليوم. إني منْشِدُ الطرقاتِ والحاناتِ،
إني الشاعرُ الأعمى. لديّ من الخريفِ الجَهْمِ
موسيقى لألوانٍ ومن مرأى الغروبِ غضارةُ الوردِ.
وأسألُ عنكَ، أسألُ عنكَ، لكنْ مثل ما يتساءلُ الملدوغُ
عمّا حلَّ في دمهِ.
سلاماً... لا أريدكَ أن تردّ...
اقرأْ على الوشَلِ السلام!

وسلامٌ على هضَباتِ العراقِ...
الذبيحةُ في العيدِ، بغدادُ في العيدِ؛
تلك المقاهي: لها الشايُ مُرّاً،
وتلك الفنادقُ: سكّانُها الأبعدونَ.

الصلاةُ أقيمتْ
صحونُ الحساءِ بها مرَقٌ من عظامٍ
ومن لحمِ سُحْليّةٍ...
والمساجدُ مغصوبةُ الأرضِ
أبوابُها للجنودِ، مشاةً، وبحّارةً
وملائكةً طائرينَ
....
....
....
سلامٌ على...

لندن، ٣١/٨/٢٠٠٣

أحدُ أصدقائي

ظلَّ، كما كان، شيوعيّاً
يعملُ في قَبوِ المَبنى، سرّاً
ويُسَمّى (أي يتسمّى)... سينْ.

يقرأُ ما في الصحفِ الأولى
يستقريءُ تاريخَ العالَمِ، والعمّالِ
ويطلبُ ما يَتقَرّاهُ ولو في الصينْ...

أحياناً يتذكّرُ من ظلّوا معه في الدربِ
فيفرحُ حين يُعَدِّدُهم:
أفذاذاً
وملائكةً من أعلى عِلِّيّينْ

وأحياناً يتذكرُ من خذلوه بمنعطفاتِ الدربِ
فيأسى حين يُصَنِّفُهم:
موتى
ومُرابينَ، وأعواناً للمحتلّينْ...

ويقولُ: الدربُ طويلٌ
والليلُ رتيبٌ، تسكنه الوحشةُ في قبو المبنى
رطبٌ وطويلٌ
لكني صرتُ، أخيراً، أعرفُ
كيفَ أُعَلِّقُ في الساعاتِ
(لئلاّ يخنقَني خيطُ الساعاتِ)
نجوماً من ورقٍ، ورياحينْ...

لندن، ٧/ ٥/ ٢٠٠٤

إذهَبْ وقُلْها للجبل

كيف؟

أنت الساحةُ الآن، ولا تدري بما يَحدُثُ في الساحةِ؟

ما أسهلَ أنْ تغمضَ عينيكَ...

ولكنّ الرصاصَ انطلقَ؛

الدبابةُ «ابراهيمُ» في المفترَقِ الأولِ

والرشّاشُ لا يهدأُ...

ما كنتَ بعيداً، حين كانت «ساحة التحرير» تلتَمُّ على أشلائها:

الدبابةُ «ابراهيم» في المفترق الأولِ

والسمْتيّةُ السوداءُ، آباشي، على رأسكَ

والبرجُ يدورُ...

انتبه العصفورُ

والمقتولُ

والحائطُ،

لكنك لم تنتبهِ

الشمسُ على رأسكَ تحمرُّ، ولم تنتبهِ

الساحةُ بارودٌ من الأعلى

دمٌ إهْرِيقَ في الأسفلِ

طابورٌ من النملِ

ولم تنتبهِ...

الليلةَ، يأتي طائفٌ من آخرِ القَصْباء.

يأتينا الشِقِرّاقُ بما فاهت به جنّيةُ الهورِ

وتأتي عبرَ مجرى الماءِ أفراسُ النبيّ.

الطينُ من زقّورةِ المَنأى سيأتي

والخُلاسيّونَ والجرحى، وما تحمله الفاختةُ

الأولى، وما ينفثه الثورُ السماويُّ،

ويأتينا عليُّ بنُ محمد...

هذه الأرضُ لنا

نحن، بَرأْناها من الماءِ

وأعلَيْنا على مضطرَبٍ من طينها، سقفَ السماءِ

النخلَ

والذاكرةَ الأولى...

وكنّا أولَ الأسلافِ، والموتى بها

والقادمين؛

الأرضُ لن تتركنا

حتى وإنْ كنّا تركناها...

ستُرخي هذه الأرضُ، لنا، المَنْجاةَ، مَرْساً من حريرِ الشَّعرِ

مجدولاً،

ستعطينا، أخيراً، إسمَها:

ويْلِي على الشطآنْ

ويلي على أهلِ الحِمى والشانْ
ويلي على أهلي
ويلي على جسر المسيّبِ
والزبيرِ
وقريتي حمدان
ويلي على ظلِّي الذي يمحوه أمريكانْ
كيف؟
أنت الساحةُ الآنَ
فكُنْ أدرى بمن أنتَ
وكنْ أدرى بما تفعلُ
فالساحةُ ـ حتى لو تناستْ إسمَها أو غفلتْ عنه ـ هي الساحةُ
أنت الآنَ معنىً؛
لا تحاورْ
ولْتَدَعْ مَن خاننا يأكلْ طويلاً شجرَ الزقّومِ
واثبُتْ...
لا تحاورْ:
هذه الأرضُ لنا
هذه الأرضُ لنا
هذه الأرضُ لنا
منذُ بَرأْناها من الماءِ
وأعلَينا، على مضطرَبٍ من طينِها، سقفَ السماء...

Medellin - Colombia ٢١/٦/٢٠٠٣

استحضارٌ

ما مُقامي بأرضِ لندنَ إلاّ...

يا هَلا، يا أبا مُحَسَّدٍ، الشّهْمَ، رفيقي وقائدي في فلاةِ العُمْرِ

يا طالعَ الثنايا، ويا راكزَ أرماحهِ ليعلنَ عن ضوءِ المعسكرِ... الليلُ يلتزُّ بطيئاً ودابقاً،

مطرٌ في غير عاداتهِ، وبردٌ تمشّى في عروق النباتِ. ليس لنا في قرية الإنجليزِ غير ما تهَبُ القريةُ: هذا السكونُ، هذا السكونُ...

ما مُقامي بأرضِ لندنَ إلاّ...

يا هَلا، يا مُحَيِّري، يا أبا تمّامٍ: الإستعارةُ انتزعتْ أثوابَها عندنا،

وصار المغَنِّي لا يغنِّي إلاّ على ليلاهُ...لا بأسَ؛ لكنّ ليلى لم تعُدْ كالتي عرفْنا زماناً. إن ليلى تُطَوِّفُ الليلَ، مَسْعىً بين خمّارةٍ وأخرى، ومَلهىً بينَ حِلْسٍ وآخرَ. الليلُ يمضي، والإستعارةُ تمضي، والسراويلُ أينعتْ لا الغصونُ...

ما مُقامي بأرضِ لندنَ إلاّ...

يا هَلا، أيها النُواسيُّ: هل جئتَ لتحيا القصيدةَ؟ الليلَ والموكبَ

المنادي ببابِ الدَّيرِ، والراهبَ العجيبَ... ورَيحانَكَ ضِغْثاً من بعدِ ضِغْثٍ؛ لقد أسرفتَ يا سيِّدي!

النهارُ هنا خمرٌ وأمرٌ، والليلُ خمرٌ وأمرٌ. خَلِّنا من حديث رُهبانكَ!
الأحجارُ ما مَسّتْ سوى وابِلٍ، فهل مَسَّتْكَ سَرّاءُ، أيّهذا القرينُ؟

ما مُقامي بأرضِ لندنَ إلاّ...

يا هَلا، أيها المُطَوَّبُ، يا سعدي! سلاماً... لقد أتيتَ، فخُذْني معكَ،

اليومَ: سوف نمضي سراعاً، لنغَنِّي؛ وسوف نمضي بِطاءً، لنرى أيَّ مَذْأبةٍ كنا بها. الليلُ درعٌ (لا تخفْ). والنهارُ حُلْمٌ طويلٌ (لا تُفِقْ).
أيها المطوَّبُ، دعنا لا نكلِّمْ
في دربنا أحداً... دعْنا نُقِمْ في الغناءِ، حيثُ الجنونُ...

لندن، ٢١/ ٤/ ٢٠٠٤

أغنية الصَرّار

ربّما ساءلتُ نفسي الآنَ، عمّا أكتبُ الآنَ...
لماذا أكتبُ الآنَ؟
وفي أيّ مكانٍ أكتبُ الآنَ؟
....
....
....
ألـمْ يُتعبْكَ نصفُ القرنِ من ألعابِكَ:
الصخرةُ والنبعُ
وهذي اللغةُ... الألوانُ والغيمُ...إلخ؟
إنك لا تبدو دؤوباً مثلَ نجّارٍ
ولا منتبهَ المَلْمسِ كالخزّافِ؛
أنت الغافلُ
الناحلُ
والتأتاءُ...
ما شأنُكَ والدنيا؟
دع العالَمَ يمضي مثلَ ما علّمَنا العالَمُ أن يمضي،
فما للّهِ، لِلّهِ

وما قد كان للقيصرِ، للقيصرِ...
قُمْ، فاذهبْ إلى مقهىً على الشاطيءِ
وانعَمْ بنبيذ الشمسِ إذ تغربُ
والمرأةِ إذ تلعبُ
والسنجاب...
....
....
....
كم ساءلْتُ نفسي!
نصفَ قرنٍ، وأنا أسألُ نفسي:
لِمَ لا تخذلُني أغنيةُ الصّرّارِ، كي أغفو قليلا؟

لندن، ٦/ ٥/ ٢٠٠٣

الأسماء

نَنسى أسماءَ الأشجارِ اللائي كنَّ سماءَ طفولتِنا
(حتى لو كانت بضعةَ أسماءٍ)

ننساها
(رِحلتُنا طالت... تعرفُ هذا أنتَ!)
ولكنّا لم نتعلَّمْ أسماءَ الأشجارِ
على طُرقِ الرِّحلةِ...
(كان علينا أن نتعلّمَ أسماءَ العجلاتِ على الطرقاتِ القَفْرِ
وأسماءَ الخاناتِ بأرباضِ المدنِ)؛
القدماءُ يقولون (وأحسَبُ ما قالوا حقّاً):
إنّ السِّدرةَ روحٌ
والنخلةَ روحٌ
والصفصافةَ سبعةُ أرواحٍ (كالقطّةِ)
....
....
....

ها نحن أُولاءِ الآنَ

بلا شجرٍ؛

انكونُ، إذاً، قد فارقْنا منذُ زمانٍ، صبَواتِ الروح؟

لندن، ٢١/٥/٢٠٠٤

الأشياءُ تتحرّك

الغيومُ الصَّدفْ

والغصونُ الزّمُرّدُ، والزنبقاتُ، وأزهارُ «لا تنسَني»

والنوافذُ

والمُصطلَى

والستائرُ

والعشْبُ بين شقوقِ المَمَرِّ

وأعشاشُ نيسانَ

حتى المحطّةُ في المُنتأى

كلُّها، الآنَ، لا تتحرّكُ...

....

....

....

لكنْ (أتلمحُ أُذْنَي حصانٍ على المَرْجِ؟)

أَنصِتْ!

أ ترتشفُ الوشوشاتِ الشفيفةَ؟

هل تسمعُ الماءَ في القصبِ؟

الريشَ، في هَبّةٍ من طيورِ البُحيرةِ؟
والنجمَ حينَ الخَفاءُ؟
المُويجاتِ في القاعِ، حيثُ المَحارُ؟

البحيرةُ موسوقةٌ بحقائبها الآنَ
تنتظرُ الليلَ...

في الليلِ، آنَ ننامُ جميعاً، تسافرُ هذي البحيرةُ
كي تبلغَ البحرَ
في لحظةٍ
وتفارقَنا ـ بين جدراننا ـ نائمين...

لندن، ٢/ ٥/ ٢٠٠٤

الجبل الأزرق

جبلاً رأيتُ:
أنجمةٌ، في سفحهِ، زرقاءُ واسعةٌ
أَمِ الماءُ المُرَقرَقُ في أعالي الدّوحِ؟
قلتُ
سأهتدي بروائح الأعشابِ، حتى أبْلَغَ المَرْقَى
ورُبَّتَما انتهيتُ إلى قرارةِ ذلك النورِ...
....
....
....

السماءُ خفيضةٌ
والعشبُ مُلْتَمٌّ على أندائهِ؛
هل كنتُ أهجِسُ نأمةً؟
في مِثْلِ ما تأتي الفُجاءةُ... جاءني الأطفالُ:
ما اسمُكِ، يا بُنَيّةُ؟
ـ سَمِّني بُشرى.
ـ وأختُكِ؟

ـ سَمِّها، يا عَمُّ، فاطمةً.

ـ وتلكَ؟

ـ سُمَيّةً...

ـ والآخرونَ؟ الأُخرياتُ؟

ـ ستعرفُ الأسماءَ، يا عَمُّ...

....

....

....

الثيابُ مهفهفاتٌ

والبناتُ يدُرْنَ، يرقصنَ...

السماءُ خفيضةٌ:

يا عَمُّ، نحن بناتكَ!

انقَضّتْ علينا الطائراتُ...

لندن، ١٣/ ٤/ ٢٠٠٤

الرجل الذي ينظِّف زجاجَ النوافذ

هو يأتي، مرّةً في كل شهرَينِ
ويرقى سُلّماً من خشبٍ أزرقَ حتى منتهى النافذة العليا
وبالخِرقةِ والمحلولِ يجلو غائمَ البلّورِ والمنظرِ؛
هذا الزائرُ النادرُ لا ينظر في وجهكَ إنْ صادفتَهُ،
وهو لا يهمس حتى بصباح الخيرِ...
يأتي هادئاً، غُفْلاً
ويمضي هادئاً،
لكنه يتركُ للصورةِ أن تنصعَ
للمرآةِ أن تلمعَ كالمرآةِ
للمرأةِ أن يبصرها العاشقُ من خلفِ الزجاجِ
....
....
....
اليومَ
كان الكونُ مبتلاًّ
ولكنك لا تبصرُ أمواهَ السماءِ؛
المطرُ الناعمُ في ساحتنا أنعمُ من أن تجتليهِ العينُ.

والزائرُ؟
حقّاً، ترك الزائرُ لي أن أرقبَ العشبَ الذي يضحكُ للماء السماويّ
وأن أستنشقَ الأشجارَ من أغصانها العليا التي تبتلُّ،
أن أستافَ ضوعاً طالعاً من جنّةِ الأعماقِ حيثُ الجذرُ...
والبغتةُ:
هذا قُزَحٌ قد علّقَ القوسَ على باب السماء!

لندن، ٢٠/٥/٢٠٠٣

الرغْيانُ

قد تعني الأرضُ، لمن يُنْبتُها البقلَ، كثيراً
أمّا نحنُ فإنّ الأرضَ لدينا متطايرةٌ
وهشيمٌ
أخضرُ حيناً، أصفرُ حيناً
ورمادٌ في الريحِ...
صحيحٌ، نحن وُلِدنا في مُرْتبَعٍ ما
في يومٍ ما، لكنا سربُ جرادٍ
والأرضُ كذلك سربُ جرادٍ؛ نبلغُها فتطير...

لكنّا أبصرْنا، اليومَ، قوافلَ فولاذٍ تبحرُ في الرملِ فلا تغرقُ
أبصرْنا في الجوِّ نسورَ حديدٍ وصواعقَ،
قيلَ لنا: الأرضُ لمن يفتحُها...
عجباً!
نحن هنا منذ قرونٍ:
لم نملِكْ
لم نُمْلَكْ.
أحسسنا، اليومَ، بأنّ الأرضَ لها معنى...

لا يملكُ واحدُنا غيرَ عباءتهِ الصوفِ
يُفضفضُها صيفاً
كي يلتفَّ بها، مثلَ الكبشِ، شتاءً؛
ومع السنواتِ
مع الريحِ
مع المطرِ المتبدلِ والمرعى
سوف يكون اللونُ أخفَّ
يكون الصوف أخفَّ
تكون خيوطُ الصوفِ ملائكةً...
إذّاكَ يفارقُ واحدُنا عُمْرَ عباءتهِ، ليموت...

لندن، ١٣/١٢/٢٠٠٣

القطار الإيرلندي

في دَبْلِن
كان قطارُ الليلِ، الحانةَ
حانةَ فيتزجيرالد
وأنت تغمغمُ في إحدى عربات المطعمِ:

ياليلُ، يا صاحبي، راحَ الفتى وارتـاحْ
واامتدَّثوبُ الدُّجى، واسْودّت الأقـداحْ
حتيالمجاذيفُ مَلّتْ حيرةَ المَـلاّحْ
يا ليلُ، يا صاحبي... سُمُّ الأفاعيفاحْ

يا ليلُ، يا صاحبي، راحَ الفتى وارتـاحْ
وامتدَّ ثوبُ الدُّجى، واسوَدّت الأقـداحْ
حتى المجاذيفُ ملّتْ حيرةَ المَـلاّحْ
يا ليلُ، يا صاحبي... سُمُّ الأفاعي فاحْ

حانةُ فيتزجيرالد
مَمَرٌّ ضاقَ بأنفاسِ زبائنهِ
ونوافذُ مُصْمَتَةٌ

مثل قطارِ الهندِ،
ولكنكَ
حتى لو كنتَ مسافرَ ليلٍ بقطارِ الهندِ
ستبحثُ عن مأوى
تبحثُ عمّا سيكونُ سؤالاً أو سلوى
تبحثُ عن «سعدي» المُتَلَبِّثِ في الظلمات
تبحثُ عمّا ماتَ
وعمّن مات؛
أأخطأتَ طريقَكَ حينَ بلغتَ أخيراً
إحدى عرباتِ المطعمِ؟
هل كانت دَبْلِنُ في اللوحِ؟
إذاً، أين فُجاءتُها؟
أينَ الدهشةُ في أنْ تلقى ما قُدِّرَ أن تلقى؟
في أن تقرأَ ما في اللوحِ، وأنت اللوح.؟.

ياليلُ، أين الصّفا؟ أين انطفا المأمولْ؟
أرضُ السوادِ انتهتْ للشوكِ والعـاقولْ
كلّألجيوشِ اقتضتْ منها، وحالَ الحَولْ
ياحسرتي للضميرِ المشتريالمقتـولْ

يا ليلُ، أين الصّفا؟ أين انطفا الـمأمولْ
أرضُ السوادِ انتهتْ للشوكِ والعاقولْ
كلُّ الجيوشِ اقتضتْ منها، وحالَ الحَولْ

يا حسرتي للضميرِ المشترى المقتـولْ UK troops in Iraq indefinitely, says Straw.The Irish Times 04/01/06

واقعُ الأمرِ أنني لستُ قاريءَ صحفٍ مدمناً؛
لكني كنتُ في طائرة الخطوط الجوية الإيرلندية
عائداً إلى لندن مع صديقتي. هذه الصديقةُ
أطبقتْ جفنيها فجأةً لتعودَ إلى الحانةِ التي
شربتْ فيها الموسيقى، البارحةَ، حتى الفجر.
صحيفة The Irish Times **كانت بين يدَي**
الشخصِ الثالث الذي لا أعرفُه. لا أدري
كيف لمحتُ الخبرَ... وكيف سجّلتُه
على التذكرةِ المستنفَـدة. عُـذراً!

اسمَعْني الآن!
ألستَ تغمغمُ في آخرِ أيامِ السنةِ؟
ـ الحانةُ تنطلق الليلةَ مثلَ قطارٍ في الهندِ ـ
ابحَثْ في إحدى عرباتِ المطعمِ
عن كرسيٍّ
أو صورةِ كرسيٍّ...
فالليلُ طويلٌ
بل سيكونُ الأطولَ من أنفاسِ مَمَرِّ الحانةِ
إذْ تبحثُ عمّا ماتَ

وعمّن مات...
اسمَعْني الآن...

ياليلُ، يا صاحبي، ما أوحشَ الـوحدةْ!
أطبقتَيا ليلُ، حتى ماتت الـوردةْ
وارتَدَّ مَن كان مجبـولاً على الـرِّدَّةْ
لكنّصوتي سيبقى للصـدى، وحْدهْ
يا ليلُ، يا صاحبي، ما أوحشَ الـوحدةْ!
أطبَقْتَ يا ليلُ، حتى ماتت الـوردةْ
وارتَدَّ مَن كان مجبولاً على الـرِّدّةْ
لكنّ صوتي سيبقى للصـدى، وحدهْ

ستدقُّ الساعةُ معلنةً عن ضـوءٍ
في آخِرِ هذا النفقِ المظلمِ...
....
....
....

ايّانَ تدقُّ الساعةُ؟
أيّانَ ستأتيكَ ملائكةٌ؟
أيّانَ ستهدأُ أنفاسُكَ
بين ملائكةٍ وشـموع...

Dublin - Gogarty's ٢٠٠٦/١/٤

الليلةَ، أُقَلِّدُ بازوليني

لستَ «المتصوِّفَ»...

لستَ «السرياليَّ»

ولستَ النادمَ عمّا أحببتَ:

النخلَ، ورايتَكَ الحمراءَ؛

ولستَ المتوسِّلَ بالصحفِ الصفراءِ

(أ كُلُّ الصحفِ الآنَ تسمِّيها صفراءَ؟)

إذاً... كيف ستمضي في هذي المَذأبةِ الكبرى...؟

مَن سيترجمُ أشعارَكَ عبرَ لغاتِ السوقِ الأوربيّةِ؟

مَن سَيُرَشِّحُكَ، الليلةَ، في المطعمِ، للجائزةِ الألمانيةِ، أو تلكَ الكَرواتيةِ؟

مَن سيُسجِّلُ عنوانَك والهاتفَ والإيميلَ، على قائمةِ المدعوِّينَ إلى كل جهاتِ الأرضِ؟

وأيّ امرأةٍ سوف تُمَسِّدُ خُصلةَ شَعرِكَ، هذا الأشيبِ، من عينٍ في هاتفها النقّالِ؟

ومُؤصدةً، ستكونُ البابُ أمامَكَ

مُؤصَدةً، وحديداً؛ ولَسوفَ يكونُ الظُّهرُ ـ كما كان الليلُ ـ شديداً

يبدو أنكَ تعرفُ هذا من زمنٍ! أ لهذا كانت دعوتُكَ اليومَ إلى الحانةِ؟

أرجوكَ، اسمَعْني! أنا مثلكَ، أرتاحُ إلى البارِ الإيرلنديِّ

ومثلكَ، لا أعرفُ أن أتوقّفَ... مثل قطارات تروتسكي في ثورة أكتوبرَ،

كم قلتُ لكَ: انتبه! الدنيا ما عادت تُقرأُ مثلَ الكَفِّ...

ولكنكَ، ما زلتَ المأخوذَ بما أتوهَّمُ أنكَ لم تَعُدِ المأخوذَ به:

مثلاً، بعراقٍ مركونٍ في زاويةٍ من ميثولوجيا وشيوعيينَ!

إذاً سأصدِّقُ: لستَ المتصوِّفَ

لستَ السّرياليَّ

ولستَ النادمَ عمّا أحببتَ:

النخلَ، ورايتَكَ الحمراء...

لندن، ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٤

الليلةَ... لن أنتظرَ شيئاً

أنا لن أنتظرَ الليلةَ شيئاً:
هو ذا القطنُ الشتائيُّ يغطي ساحةَ القريةِ
والطيرُ الذي ظلَّ يزورُ الكستناءَ ارتحلَ...
الأشجارُ لا تهتزُّ،
والنافذةُ الوسطى التي تمنحُني إطلالةَ البُرجِ، تغيمُ
....
....
....
الآنَ تأتي عدنٌ بالبحرِ
تأتي عدنٌ بالسَّيسَبانِ الحُرِّ والأسماكِ
تأتي بالأفاويهِ...
وتأتيني بما يجعلُ هذا الكونَ ملتفّاً على جمرتهِ؛
أنظرُ في المرآةِ:
كانَ الشخصُ يدعوني إلى شاطئهِ
مثلَ الغريق...

لندن، ٣١/ ١/ ٢٠٠٤

المتَرَحِّـلون

«إلى حسـين الهنداوي»

لم نَعُدْ تحتَ نجمِ الرعاةِ القَدامى

لم نَعُدْ تحت نجمِ الرُّعاة

لم نَعُدْ تحتَ نجمٍ

لم نَعُدْ...

نحنُ غِبْنا تماما

مثل ما غابَ عن مريمَ النجمُ بعدَ مآبِ الحواسِّ...

استمَعْنا إلى كل ما في أناشيدِنا

ومَنحْنا النشيدَ الصِّبا،

وانتظرْنا أغانيَ لم تأتِ حتى ولو كذِباً؛

لم يكنْ ذاكَ عدلاً!

....

....

....

أتعرفُ،

كم كنتُ أرقبُ وجهكَ عند الجوازات أمسِ؟

أتعرفُ؟

ما كان «هِيْثْرو»(*) مطاراً،
ولا كنتَ أنتَ المسـافرَ...
كان اللصوصُ يديرون أحلامهم في فراءِ المغارةِ،
أمّا بنو الخائباتِ:
أنا
أنتَ
يا صاحبي، يا حسينُ...
فإنّ لنا، مثلَ أسلافِنا، أن نكونَ ملوكَ الـهَباء!

لندن، ٢٠٠٤/٦/١٩

(*) مطار هيثرو London Heathrow Airport

إلى شيخ عشائر الـ...

سيكون الأمرُ ـ كما تعرفُ ـ معروفاً
لا سرّ لديكَ
ولا سرَّ لديّ
الدنيا، الآنَ، غدتْ أضيقَ من جُحْرِ الضّبِّ...
ـ الخيلُ تخِبُّ بعيداً.
والمرأةُ (أعني آخرَ زوجاتكَ) تعرف هذا
والمارّةُ
والمرآةُ
وآلافُ الناسِ على شاشات التلفزيون...
أنا أيضاً أعرفُ هذا
(حتى وأنا في الريفِ بأقصى لندنَ)
أعرفُ أنكَ ملقىً:
وجهُكَ للأرضِ
وجزمةُ جنديٍّ أمريكيٍّ تسحقُ فِقْراتِكَ حتى الأرضِ؛
زمانٌ مختلفٌ؟
لا بأسَ...
إذاً، ألصِقْ إحدى أذنيكَ بأرضكَ!

ألصِقْها كي تسمعَ

ألصِقْها كي تسمعَ، مثلَ الخيلِ، مُغارَ الخيلِ

وألصِقْها كي تسمعَني

(أرجوكَ)

أتسمعُني؟

لا تحزنْ

إحزَنْ

فالخيلُ، الآنَ، تخبُّ بعيداً

وتخبُّ بعيداً

لكنْ أقربَ من نبضكَ...

لا تحزنْ

إحزَنْ

لا تحزنْ!

لندن، ٢٩/١١/٢٠٠٣

مسـاءَ انتـهت اللـعبـةُ

في صمتِ مساءٍ ما،
آنَ الغابةُ، أيضاً، غائبةٌ في العَتْمةِ...
سوفَ تفارِقُ هذي اللعبةَ
حتى الأبدِ!
السنواتُ تمرُّ على ألواحِ زجاجِ الشبّاكِ
عقوداً
وعقائدَ
واستحضارَ مَشاهدَ؛
سوف تكونُ سعيداً لحظاتٍ...
سوف تكونُ خفيفاً، محمولاً فوقَ بساطٍ من ريشِ البجعِ الأولِ
سوف تكونُ الطفلَ الأوّلَ
ملتحفاً بالغيمةِ
ملتحقاً بالكونِ
يفارِقُ هذي اللعبةَ حتى الأبدِ!

لندن، ٩/ ٥/ ٢٠٠٤

أيُّهذا الحنينُ، يا عدوِّي

لي ثلاثون عاماً معكْ
نلتقي مثل لصّينِ في رحلةٍ لم يُلِمّا بكل تفاصيلها؛
عرباتُ القطار
تتناقصُ عبرَ المحطاتِ
والضوءُ يشحبُ،
لكنّ مقعدك الخشبيّ الذي ظلَّ يَشغلُ كلَّ القطارات ما زال محتفظاً بثوابتهِ
بحزوزِ السنين
بالرسوم الطباشيرِ
بالكامرات التي لم يعد أحدٌ يتذكر أسماءَها
بالوجوهِ
وبالشجر النائم الآنَ تحت الترابِ...
استرقْتُ إليك النظرْ
لحظةً
ثم أسرعتُ ألهثُ نحو المقاعدِ في العرباتِ الأخيرةِ،
مبتعداً عنكَ...
....

....

....

قلتُ: الطريقُ طويلٌ؛

وأخرجتُ من كيسيَ الخيشِ خبزاً وقطعةَ جبنٍ...

وإذْ بي أراك

تقاسمني الخبزَ والجبنَ!

كيفَ انتهيتَ إليَّ؟

وكيف انقضضْتَ عليَّ كما يفعلُ الصقرُ؟

فاسمعْ:

أنا لم أقطعْ عشراتِ الآلافِ من الأميالِ

ولم أطَّوَّفْ في عشراتِ البلدانِ

ولم أتعرَّفْ آلافَ الأغصانِ

لكي تسلبني أنتَ... الكنزَ

وتحبسني في زاويةٍ!

فاترك المقعدَ الآنَ، واهبطْ!

قطاري سيسرعُ بي، بعد هذي المحطةِ

فاهبِطْ

ودعنيَ أمضي إلى حيثُ لن يتوقّفَ يوماً قطارْ...

لندن، ٢٠٠٣/١٢/١١

تحت المطر الموحِل

ها نحن أولاءِ نقرفصُ تحت سقيفتنا السعْفِ
قريبينَ من الموقدِ؛
كان دخانُ الورقِ المبتلِّ يبللُ أعينَنا بالدمعِ
ويَحجبُ عنّا المرأى
حتى لكأنّ أصابعَنا بُتِرتْ...
نحن نحسُّ بها
لكنْ نعجزُ عن أن نطْبِقَها أو نفتحَها.
ما أغربَ ما تفعلُهُ العينُ إذا عشِيَتْ!
ما أغربَ ما تفعله أوراقُ التينْ...

ها نحن أولاءِ نراقبُ عند البابِ، الساحةَ
(أعني ساحةَ قريتنا)
نمسحُ عن أعيننا دمعاً وسخاماً
ونحاولُ أن نبصرَ ما يجري...
لكنّ المطرَ الموحلَ كان كثيفاً؛
أكثفَ من لَبِنٍ منقوعٍ منذ سنينَ،
نقولُ: إذاً، ما جدوى أن ننظرَ؟

فلْنطْبِقْ أعيُنَنا دهراً منتظِرينْ

ها نحن أولاءِ، أخيراً، في الساحةِ؛
لا ندري كيف تشجّعْنا أن نتحرّكَ...
لكنّ المطرَ الموحلَ كان كثيفاً وغزيراً
غُصْنا حتى الرُّكَبِ المقرورةِ في الوحلِ
وما زالَ المطرُ الموحلُ يهطلُ...
قلنا: العودةُ أسلمُ،
فلْنتحصّنْ، ثانيةً، بسقيفتنا
ولْنجلسْ حول الموقدِ
نُطعمُهُ، أكثرَ، أكثرَ، أوراقَ التينْ.

لندن، ٨/ ١٢/ ٢٠٠٣

تَحَقُّقٌ

قد كنتُ...
يا ما كنت آمُلُ
والخريفُ يلوِّنُ الغاباتِ بالذهبِ
وبالجوزيّ
أو بالقرمزِ المكتومِ...
يا ما كنتُ آمُلُ أن أرى وجه العراقِ ضحىً
وأنْ أُرخي ضفائرَه المياهَ عليّ،
أنْ أُرضي عرائسَ مائهِ بالدمع مِلْحاً
أنْ أُطَوِّفَ في شطوط أبي الخصيبِ، لأسأل الأشجارَ:
هل تعرفْنَ يا أشجارُ أنّى كان قبرُ أبي؟
....
....
....
ويا ما كنتُ آمُلُ!
خَلِّها...
خَلِّ الخريفَ يُتِمُّ دورتَهُ

فأشجارُ العراقِ تظلّ عاريةً
وأشجارُ العراقِ تظلُّ عاليةً
وأشجارُ العراقِ، أنيسُها في السرِّ وجهُ أبي...

لندن، ٢١/٥/٢٠٠٣

حياةٌ جامدةٌ

تنحني النبتةُ المنزليّةُ تحت الهواءِ الثقيل...
على الطاولةْ
بين منفضةٍ للسجائرِ ملأى وكيسِ دخانٍ
قوائمُ للغاز والكهرباءِ،
السفينةُ تبحرُ في الحائطِ
الطيرُ ينقرُ رأسَ المُغَنِّي (غلاف اسطوانةْ).
غرفتي تتضايقُ مني
تضيقُ...
السفينةُ غابت عن المشهدِ
الليلُ يجلسُ في الركنِ
مُلتَحِفاً بالهواء الثّخين.

لندن، ١/ ٢/ ٢٠٠٤

دمٌ فاسـدٌ

دمٌ فاسدٌ

Mauvais sang

قال رامبــوووووووووووو؛

إذاً، كيف جئتَ، تحاسبُني، في الصباحِ المبكِّرِ؟

لـم تحترمْ قهوتـي الـمُرّةَ،

الطيرَ في «كستناء الحصانِ»...

ولا غفلَتي،

ـ أنتَ تعرفُ أنيَ أسـهو ـ

ولـم تبتدرْني، كما يفعلُ الناسُ، ما قلتَ حتى: «صباحكَ خيرٌ...»

وجئتَ تحاسبُني...

لأقُلْ أوّلاً: مَن تكونْ؟

ولأقُلْ ثانياً: هل لكَ الحقُّ في أن تكون جليسي على قهوةِ الصبحِ؟

لا بأسَ

فلْنحترمْ، مثلَ كلِ العبادِ، الحقيقةَ:

نحنُ، هنا، جالسانِ معاً...

OK ?

OK...

هل ستتركُني قبلَ أن تُكملَ الجملةَ المتعثِّرةَ؟
اصبِرْ قليلاً
وأتـمِمْ...
فما نفْعُ أن تتزوّدَ من قهوتي المُرّةِ؟
الصبحُ ليسَ زمانَ الهروبِ
المسدّسُ ليس سلاحَ دفاعٍ...
أَقِـمْ
وارتشِفْ، رائقاً، قهوتي مُرّةً؛
أرهِفِ السمعَ للطيرِ في الوُكُناتِ الرفيعةِ من «كستناء الحصانِ»(*)؛
دمي فاسـدٌ
أنتَ تعرفُ هذا...
وتعرفُ أنّ الفسادَ مقيمٌ به، أحمرٌ، كالكُـرَيّاتِ حمراءَ
لا تَـفْـزَعَنَّ!
اطْـمَئِنَّ...
فليس الذي بيَ مثلَ الذي بكَ...
والثورةُ المستحيلةُ أبعدُ من أن تراك!

لندن، ٢٨/ ٦/ ٢٠٠٤

(*) كستناء الحصان Horse Chestnut: شجرٌ ذو عناقيد من الزهر الأبيض في الغالب.

ذَبـذَبــةٌ

لستُ مَعْنِيّاً بما يفعله الساسةُ في المستنقعِ الآنَ...
ليَ الحُلمُ:
وفي مُنفَسَحٍ بالغابةِ
الريحُ تُذَرِّي، بغتةً، شبْهَ رذاذٍ من غبار الطَّلْعِ
شَعري ابْيَضَّ
ثمّ اصفَرَّ، كالهالةِ،
أحسستُ بأني ذو جناحَينِ...
وأحسستُ بأني في دمٍ من فضّةٍ سائلةٍ
(أعني دمي)
سـوف أطيــر...

***

لستُ مَعنيّاً بما يفعله الساسةُ في المستنقع الآنَ...
ليَ الحُلمُ:
ومن مرتفِعٍ بالشاطيءِ
الريحُ تُذَرِّي، بغتةً، شبهَ رذاذٍ من أعالي الموجِ
قلتُ «الخيرُ أن يأخذني البحرُ...»
سلاماً، أيها الماءُ الذي يمنحُ روحي في مَهاوِيهِ السلامَ

النورَ والأسماكَ والمُرجانَ
كان الماءُ
مثلي دافئاً
أحسستُ أني أبلغُ الأعماقَ
أحسستُ بأني، فجأةً، سوف أطير...

***

لستُ مَعْنيّاً بما قد كنتُ أعني...
أنا في الحُلمِ:
فتاتي أمسكتْ بي من يدي؛ قالت:
لماذا أنتَ حتى الآن في هذا الرصيفِ؟
العرباتُ ابتعدتْ منذُ سنينَ...
انتبهِ، الساعةَ، ولْنُسرِعْ إلى حانة سِيدُورِي(*)
لِنُسرِعْ
ربما، في لحظةٍ، سوف نطيــر....

لندن، ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٤

(*) سيدوري، هي امرأةُ الحانة، التي ودّعتْ جلجامش ثم استقبلته، في رحلته الخائبة إلى عشبة الخلود.

رائحة

ليست رائحةً تلك الآتيةُ، الفجرَ، من العشْبِ المنقوعِ بأمطار البارحةِ...

الكفّانِ اصطفتا قفّازَينِ من الضوءِ الممزوج بصمغٍ أخضرَ
والعينُ اليمنى رفّتْ رفّةَ قطرةِ ثلجٍ أولى؛
ليست رائحةً...
ثمّتَ صوتٌ، وتَوَقَّفَ.
صمتٌ، وتَجَلّى...
وخيوطُ حريرٍ تتماوجُ، دانيةً، من أعلى الشُّرُفاتِ
فهل أحسستَ بهذا الآتي؟
هذا...
هذا المجهولِ، كنبضكَ حين تحبُّ
المعقولِ كإغماضةِ هُدْبٍ
والضائعِ بين هواءٍ تتنفّسُهُ
وهَباءاتٍ في الريحْ؟

لندن، ١٧/ ٣/ ٢٠٠٤

زاويةٌ للنظر

«إلى لـويز وارِن Louise Warren»

أَبصِرْ ما ترسُمُه أنتَ!
ودقِّقْ في ما ترسمُهُ...
إنكَ لن تغتفرَ الخطأَ
الخطَّ المتعثِّرَ
واللونَ الأصليَّ...
وما يتبدّى حول إطارِ اللوحةِ من خَلَلٍ
(لستَ مَن اختلقَ الخللَ)
المشهدُ كانَ، كما كانَ، وفي أيّ مكانٍ
لكنكَ منذورٌ كي تلعبَ بالأوراقِ
ملايينَ
(أتحسَبُها مَحْضَ ثلاثٍ؟)
ستُغَيِّرُ هذا المشهدَ
كي تبصرَ ما ترسمُه أنتَ
فيغدو ما ترسمُهُ أنتَ: الحَقّ...

لندن، ٧/ ٥/ ٢٠٠٤

زخّـةٌ ربيعيّـة

عشرات الآلافِ من الأليافِ المائيةِ
تَعْقدُ سُلّمَها بين أعالي الشجر المتطاولِ والممشى،
والريحُ مواتيةٌ
والأزهارُ البيضُ تطير مع الريحِ:
سأجمعُ ثلجاً في كفّيَّ
وأدخلُ بيتي كي أنثرَ هذا الثلجَ المنسوجَ
على صمتِ مُلاءاتي
ووسادةِ زاويتي...
لن يتحوّلَ ماءُ الثلج دموعاً؛
أنا أعرفُ ـ طبعاً ـ أن الأزهار البيضَ ستذبل بعد قليلٍ
أعرفُ أن الريح ستهدأُ
أنّ الشمس ستُصبحُ شمسَ الصيفِ
وأني سأسافرُ نحو بلادٍ لا أعرفُها...
لكنْ، ما شأني والعالَمَ؟
تكفيني اللحظةُ
بيضاءُ هي اللحظةُ
بيضاء...

لندن، ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٣

سـامرّاء

«أرى العراقَ طويلَ الليلِ، مُذْ...»
مطرٌ على النوافذِ
والأشجارُ هابطةٌ، والغيمَ
كان المساءُ الجَهْمُ يدخلُ في لوحِ السلالِم مقروراً
ويدخلُ في أناملي؛
كيف لاحتْ، بغتةً، وبلا معنىً، مَدارجُ سامرّاءَ؟
كيف نمتْ مَلْويّةٌ في يدي؟
كيف صار البئرُ مرتشَفي في اللحظةِ الصِّفْرِ؟
أمواهٌ مُعَجَّلةٌ كالخيلِ
تتبعُ سِحرَ البحتريّ...
تقولُ: سامرّاءُ
سـامرّاءُ
حمحمة وبلوى؛
يا بساطاً من مهفّاتٍ وخِضْرِمَةٍ
ويا درباً إلى المهديّ...
يا بلدي
سلاماً!

لندن، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٣

صلاةُ الوثنِيّ

«إلى عبد الرحمن منيف»

يا رَبَّ النهرِ، لكَ الحمدُ:
امْنَحْني نِعْمةَ أن أدخلَ في الماءِ...
لقد جفَّ دمي
ونشِفتُ؛ قميصي رملٌ، وشفاهي خشبٌ
حتى حُلمي صار طوافاً في مَذأبةٍ صفراءَ...
امنَحْني، ياربَّ النهرِ
كِساءَ النهرِ،
لكَ الشكرُ
لكَ الحمدُ
فمَنْ لي غيرُكَ، يا عارفَ سِرِّ الماءْ؟
....
....
....

يا ربَّ الطيرِ، لكَ الحمدُ:
امنَحْني أنْ أتَقرّى بين يديكَ جناحَ الطيرِ
امنحْني نِعمةَ أن أعرفَ نبضَ قوادمِهِ وخوافيهِ

وأنْ أدخلَ فيهِ...
لقد أُوثِقْتُ، سنينَ، إلى هذي الصخرةِ، يا ربَّ الطيرِ:
أدِبُّ دبيباً
وأرى كلَّ خلائقِكَ ارتفعتْ نحوَكَ تحملُها أجنحةٌ
إلّايَ...
امنَحْني، يا ربَّ الطيرِ، جناحينِ!
لكَ الشّكر...
....
....
....
يا ربَّ النخلِ، لكَ الحمدُ:

امنَحْني، يا ربَّ النخلِ، رضاكَ، وعفوَكَ:
إني أُبصِرُ حولي قاماتٍ تتقاصَرُ
أُبصرُ حولي أمْطاءً(*) تَحدودِبُ،
أُبصرُ من كانوا يمشونَ على قدمينِ انقلبوا حيّاتٍ تسعى...
يا ربَّ النخلِ، رضاكَ وعفوَكَ
لا تترِكْني في هذي المحنةِ
أرجوكَ!
امنَحْني، يا ربَّ النخلةِ
قامةَ نخلةْ...

لندن، ٢٦/ ١/ ٢٠٠٤

(*) أمطاء: جمعُ مَطا، وهو الظَّهر.

صـوتُ البحـرِ

يا صوتَ البحرِ الخافتَ

يا وشوشةً، وهسيساً، وحشائشَ فيروزاً

وأغانيَ بَحّارٍ أعمى

يا آخرَ آهاتِ الحُمّى

يا بوّابةَ بُرْدِيٍّ

وحصيراً من سعفٍ ضفرتْهُ يدا طفلٍ في الليلِ

ويا ريشاً وسلاحفَ

يا مبتدأَ الرِّحلةِ من قرطِ امرأةٍ

يا أرَجاً يلمعُ في أشجارٍ دائمةِ الخضرةِ، شرقيَّ الصين

ويا صوتي المتعَبَ

يا صوتَ البحرِ الخافتَ:

هل أخطأَنا التكوينُ، لننتظرَ التكوين؟

....

....

....

يا صوتَ البحرِ الهاديءَ

يا صوتاً أسمعُهُ يتسللُ من قصب الكوخِ

سلالاً ملأى بالسمكِ المتواثبِ والأعشابِ...
وأسمعُهُ صلْداً، وجهيراً، كالقيظِ المتدلّي من سقفِ الأعنابِ
أقولُ:
لماذا صرتَ المسموعَ؟
تُرى، هل ضقتَ بشكلِ القوقعةِ؟
البحرُ محيطٌ...
لكنّ الصوتَ من القوقعةِ ارتدَّ إلى القوقعةِ!
الآنَ سنبحثُ عن أرضٍ أخرى
عن صوتٍ أعلى
يا صوتَ البحرِ الهادئْ...
....
....
....
يا صوتَ البحرِ الحاضر
يا صوتَ البحرِ الهادر
يا المُصّاعِدَ من وديانِ الأعماقِ
إلى تيجانِ الآفاقِ
ويا صوتَ البحرِ الهادرَ
خَلِّ القمصانَ تطيرُ مع الريحِ
القبضاتِ المضمومةَ والراياتِ تطيرُ مع الريحِ
وخَلِّ ضفائرَ مَن أحببناهنّ، ومَنْ أحببنَ، تطيرُ مع الريحِ
تطيرُ مع الصوتِ الهادرِ

أعلى من هذي الدنيا
أعلى حتى من مَأتى الرؤيا
يا صوتَ البحرِ الهادر!

لندن، ٢٠٠٣/٨/٢٤

طبيعةٌ غيرُ ميِّتةٍ

يمُرُّ «أبو الخصيبِ»
كما يمُرُّ الضَّبابُ، الصبحَ، أزرقَ
كان جسرٌ من الأخشابِ ينضحُ بالرطوبةِ...
كانَ نخلٌ
ولبلابٌ
وكانت في السماءِ نعومةُ النُّعمى؛
سأسألُ عنكَ ياولدي
إذا ما غامت الأشياءُ،
أسألُ عنكَ
أسألُ عنكَ...
لكني أراكَ الآنَ:
يوماً بعدَ يومٍ، ليلةً في إثْرِ أخرى
فانتظِرْني، يا بُنَيَّ،
سنلتقي، حيثُ الضَّبابُ، الصبحَ، أزرق...

لندن، ١/ ٢/ ٢٠٠٤

عراقيّون أحـرارٌ

لن نرفعَ أيدِينا في الساحةِ
حتى لو كانت أيدِينا لا تحملُ أسلحةً
نحن سلالةُ أفعى الماءِ الأولِ
نحن سلالةُ مَن عبدوا ثيراناً تحملُ أجنحةً
وسُلالةُ مَن عبدوا نيراناً في قُنَنِ الثلجِ،
ولم نرفعْ أيدينا إلاّ للأحَدِ الواحدِ
حينَ وهبْناهُ نُبُوَّتَنا...
نحن سلالةُ مَنْ رفضوا عرباتِ الرومانِ فما انقرَضوا.
لن نرفعَ أيدِينا في الساحةِ
لن نرفعَ أيدِينا في الساحةِ
لن نرفعَ أيدِينا...

لندن، ١٥/ ٤/ ٢٠٠٤

عطلة المصارف ٣١/٥/٢٠٠٤

قلتُ: لن أكتبَ حرفاً واحداً هذا الصباحَ...
اليومَ عيدُ المَصرفيّينَ
فلا حافلةٌ تأتي
ولا مصطبةٌ يحتلُّها سكرانُ؛
والناسُ ينامونَ إلى أن يظهرَ الحقُّ.
البريدُ المَلَكيُّ انصاعَ أيضاً لسياط المصرفيّينَ.
يَمامُ الدغْلِ لم يدخلْ إلى بستاننا يلتقطُ الديدانَ والحَبَّ.
ومَن كانت ستأتي أخلفَتْ موعدَها (الهاتفُ يكفي!)
لستُ أدري كيف لا أنتحرُ!
العالَمُ قد أغلقَهُ البنكُ
وتحكي أنتَ عن فُحْشِ بروليتاريا
ومتراسٍ شيوعيٍّ ببرلينَ
وقَرنٍ سالفٍ!
ما أعجبَ الدنيا...
كأني كنتُ مسؤولاً عن الثورةِ...
لا بأسَ، إذاً؛
كم قلتُ: لن أكتبَ حرفاً واحداً هذا الصباحْ!

لندن، ٣١/ ٥/ ٢٠٠٤

غارةٌ جويّة

في الضاحية القصوى، حيث أُقيـمُ بعـيداً عن رئةِ الضَّبُع، اهتَزّتْ أشجارُ الدّغْلِ وئيداً. أسرعَ طيرٌ يعبرُ نافذةَ المطبخِ. قررتُ الليلَةَ أن أتركَ تدخيني. لكني (شأنَ قراراتي الأخرى) سوفَ أدخِّنُ حتماً. أشجارُ الدّغْلِ تَطَوَّحُ أوراقاً وأماليدَ. البرقُ (أراهُ الآنَ لـمَرّتهِ الأولى) هل كانَ حقيقةَ بَرقٍ؟ لكنّ الرعدَ أتى. الريحُ تسوقُ غيوماً سوداً، وحبالاً من ماءٍ، وروائحَ ليستْ من هذي الأرضِ. أهرولُ، أهبِطُ درْجاتِ السُّلَّمِ، ملدوغاً، كي أفتحَ بابي للريحِ وللمطرِ... الساحةُ (أعني موقفَ سياراتِ الضّيعةِ) تلمعُ تحتَ سماءٍ مثقلةٍ بالنُّعمى. أهتزُّ أنا، وحدي،

للرعدِ...

وأختَضُّ

وأختَضُّ

وأختَضُّ

....

....

....

وفي وطني الآنَ، الرعدُ:

الطيَرانُ الأميركيُّ

وبالحاويةِ العنقوديةِ (كنّا شاهدناها في بيروتَ زماناً)

ينقَضُّ على الكوفةِ
والفلّوجةِ
والنجفِ...
الطّيَرانُ الأميركيُّ
الليلةَ ينقَضُّ عليَّ الآنَ...

لندن، ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٤

فَراشاتُ الأنْدِيز

أنا منتظِرٌ ما يمحوهُ الليلُ:
اختفتِ الزُّرقةُ منذ الآن
ولستُ أرى إلاّ طيراً، مَسْكنُهُ، أبداً، سقفي القرميدُ...
سأوقِدُ قنديلاً
وأحاولُ أن أفتحَ لي مُنْفَسَحاً في مُلْتحَمِ السُّبُلِ ـ
القُنّةُ بيضاءُ
الشجرُ الأحمرُ (عُشْنونُ الشيخِ) على منحَدَرِ السّفْحِ
وكأسي كوبا الحُرّةُ...
Cuba Libre(*)
بضعُ قُطَيراتٍ من مطرٍ صيفيٍّ لم يهطلْ بَعدُ تباغتُ أهدابي
افتَحُ جَفنَيَّ على سَعةِ العالَمِ:
ثَمَّ فراشاتٌ سودٌ
هائلةٌ
مثلَ طيورِ الدّغْلِ
ترفرفُ عبرَ فضاءِ الفندقِ نحوَ السّفْحِ...
....
....
....

البيتُ الريفيُّ
هنا في الضاحيةِ البيضاءِ تماماً
يفقدُ كلَّ خرائطهِ
ويهيــم...

لندن، ١٥/٦/٢٠٠٤

(*) كوبا الحرّة: كوكتيل من الروم والكوكاكولا والليمون الأخضر والعسل مع الثلج.

فنُّ الشِّعر

وتقولُ لي:

«عيناي واسعتانِ

تدخلُ فيهما الأشياءُ كي تمسي إذا حلَّ المساءُ شريطَ ألوانٍ»،

أقولُ: «إذاً، أرقّةُ هُدبكِ الزرُّ الذي يصلُ الشجيرةَ بالتصوّرِ؟

هل إذا أغمضتِ جفنَكِ

سوف ينفتحُ التّفَكُّرُ؟

أمْ هما العينانِ واسعتانِ دوماً؟...»

....

....

....

يا فتاةً حرّةً

إني أجرِّبُ ما تقولينَ...

الضَّبابُ يشوِّشُ المرآةَ

لا الأشجارُ تبدو في البعيدِ كما هي الأشجارُ نعرفها

ولا تلك البنايةُ؛

إن لي عينينِ واسعتينِ أيضاً...

غير أن الزرَّ مفقودٌ، هنا، في اللحظةِ الصمّاءِ هذي.

....

....

....

يا فتاةً حرةً
مَن لي بعينيكِ؟
التفكُّرُ سوف يدخلُ
سوف يقتلني؛

وداعاً...

لندن، ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٣

كانون أوّل

لن أفتحَ نافذتي...
الريحُ البحريةُ تُغرِقُ حتى سيقانَ العشبِ،
وتهتزُّ الأشجارُ معَ المطرِ؛
الغرفةُ ساكنةٌ (مزدوجٌ كلُّ زجاجِ المنزلِ)
أسمعُ دقّاتِ الساعةِ:
تكْ
تكْ تكْ تكْ تكْ
أسمعُ في البُعدِ مُوَيجاتِ البُرْكةِ،
في القُرْبِ، مويجاتِ أناملَ...
هل عادتْ، بعدَ سِفارٍ، مَن أحببتُ؟
أَم اللوحةُ تنتظرُ؟
الأزهارُ الصُّفْرُ مبكِّرةٌ جدّاً عندَ مَمَرِّ البيتِ
و لا زائرَ يطرقُ بابي...
حتى الطيرُ تَدَبَّرَ مُلتَجَأً؛
لكنّا، أنا والسنجاب، نحاولُ أن نمسكَ شيئاً!

لندن، ٢٠/١٢/٢٠٠٣

مسْكن البحيرة

تتناوحُ الريحُ التي تأتي من البحرِ،
المساءُ يقيمُ
والزانُ المرنَّحُ في البعيد يغيْمُ...
حتى الخيلُ لن تجدَ الصباحَ على المروجِ
كأنّ شميمَ ثلجٍ في الهواءِ؛
كأنما نبتتْ على الريحِ الأصابعُ...
أيَّ بابٍ سوف أفتحُ؟
أيَّ نافذةٍ...
وايَّ الطيرِ أُطْلِقُ في مهبِّ الريحِ
أُطْلِقُهُ
لأسكنَ في الفضاء؟

لندن، ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٣

شـاطيءٌ مهجورٌ

قاربٌ، ثلُثاهُ على اليابسةْ
ظلَّ ينضحُ،
والبحرُ منكمشٌ
لائذٌ بكثافتهِ من حبالِ المطرْ...
قاربٌ لن يقومَ، ليبدأَ عند السَّحَرْ
رِحلةَ الصيدِ
مثلي...

لندن، ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٣

لا جُناحَ عليكَ

مثلَ ما يحْدُثُ الأمرُ دوماً، ضُحى الأحدِ:
النوم في العسلِ
الكسل
الوشوشات
وتلك الفتاة التي تتلذّذُ أنْ تتوسّلَ بالأمرِ، من دُبُرٍ...
سوف يحْدثُ هذا؛
نَعَمْ
(لا جُناحَ عليكَ)
الحديقةُ لن تتغَيَّرَ...
لن يسقطَ الطيرُ عن «كستناءِ الحصانِ»(*)
ولن تُخرجَ الأرضُ أثقالَـها؛
(لا جُناحَ عليكَ)
اطْمَئِنَّ:
إن انكسرتْ جَرّةٌ، فالجِرارُ التي سوف تؤتَى كثار...

لندن، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٤

(*) كستناء الحصان Horse chestnut: شجرٌ ذو زهرٍ ربيعيٍّ مُعَنْقَدٍ، أبيض في الغالب.

لُزومُ ما لا يَلْزَم

ساعِدْني، يا ربَّ الفَلَواتِ، على نفسي
ساءَ الماءُ فلا أشربُهُ،
ساءَ هواءُ الحانِ فلا أتنفّسُهُ
سافرتُ، ولكنْ كي أدخلَ في الليلِ على داري...

عَمَّ أُسائِلُ؟
عن أيِّ زهورٍ تحتَ الثلجِ سأبحثُ، أو تحتَ الرملِ؟
عناويني انتثرتْ في الريحِ، وصرتُ أخافُ
على نفسي... صرتُ أخاف!

داري نائيةٌ عن داري
دِرعي يتدرّعُ خوفاً من دِرعي
دارَ الكونُ على مَن صَدّقَ دورتَهُ...
دعْني أُطْبِقْ فُوَّهةَ البئر، إذاً، دَعني!

ياما كان الإغفاءُ على عشبِ النهرِ جميلاً
يا ما كانت أوراقُ رسائلِنا حمراء!

يُداعبُ شَعري الآنَ نسيمٌ...
يَضْفِرُ لي باقةَ زهرٍ صفراءَ، ويَهربُ منِّي.

لندن، ١٧/ ١/ ٢٠٠٤

لو كان الصبحُ جميلاً

لو كان الصبح جميلاً، مثلَ حذاءِ الـ Marks & Spencer
أو مثلَ قميصكِ ليلةَ أمسِ الأوّلِ
لو كان الصبحُ جميلاً...
لمضيتُ عميقاً في ممشى الغابةِ
أبحثُ في الورقِ المُسّاقِطِ عن أزهارٍ نادرةٍ وبُحيراتٍ وعرائسِ ماءٍ،
وأيائلَ...
(يسخرُ مني جاك كيرواك حتماً!)
لكني سأُكرِّرُ:
لو كان الصبحُ جميلاً...
....
....
....
ما أيسرَ ما تطلبه من هذا العالَمِ!
ما أصعبَ ما تطلبه من هذا العالَمْ!

لندن، ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٤

مستعمَرةٌ رومانيّةٌ

كنّا يونانيينَ، منازلُنا عند تخومِ الصحراءِ العربيةِ؛
لكنّ لنا نهرينِ
وبضعَ قرىً، ومزارعَ نسقيها من أمواهِ النهرَينِ...
وكان لنا أيضاً شعراءُ يُقِيمونَ الأوزانَ
ويحكون عن المرأةِ
والأزهارِ،
وفي قِنّسْرِينَ بنينا مدرسةً للفلسفةِ
(الأمرُ الأغربُ أنّ تلاميذَ أرسطو يأتون إلينا أحياناً
ليقولوا شيئاً عن آخِرِ مخطوطات أثينا)
لكنّا يونانيونَ وفلاّحونَ
فلم نصنع أسلحةً
لم نعرف كيف نُعِدُّ الفتيانَ جنوداً
(ما قال تلاميذُ أرسطو إن مُعلِّمهم كان يدرِّبُ ابنَ فيليب المقَدونيّ
على غزو المدنِ!)
الدنيا تتغيّرُ
قالوا
حتى الشمسُ ستشرقُ من جهة الغربِ...

....

....

....

أنا أهذي الآنَ، وحيداً، في حانة كِرياكوسَ بـ «صَيدا»

كوبُ نبيذي الفخّارُ اسْوَدَّ

وشَعري ابْيَضَّ...

ولا أعرفُ مَن أُخبِرُهُ ـ حتى سِرّاً ـ أنّ الرومان نفَوني

حين غدَونا مستعمرةً؛

لكني لا أستبعدُ أن يعرفَ كرياكوسُ الأمرَ.

الدنيا تتغيّرُ

قالوا...

لندن، ٧/ ٣/ ٢٠٠٤

مَشارفُ الرُّبْعِ الخالي

«إلى عبد الله الحارثي ومحمد الحارثي»

قد ترى البدويّاتِ يمشِينَ، مَرَّ السحابةِ (من أينَ جاءَ السحابُ إلى الشاعرِ؟)

البدوياتُ يمشينَ، بين البيوت التي قد أُقِيمتْ على عجلٍ، والخيامِ المُهلهَلةِ،

الشمسُ قاسيةٌ، والكلابُ الهزيلةُ قد فارقَتْها خِصالُ الكلابِ التي لن نرى.

حَجَرٌ واحدٌ في مَهَبِّ الرمالِ. تُرى... أهوَ النيزكُ؟

الأرضُ كانت هنا، ربما قبل أن يعرفَ المَرْءُ لونَ السماءِ. السماءُ هيَ

الرملُ، والأرضُ ـ من قبلِ أن نعرفَ الأرضَ ـ رملٌ. مَضَينا (أمامَ القوافلِ)،

لا نهتدي بالزمانِ، ولكن بساعةِ رملٍ ونجمٍ... فهل سقطَ النجمُ؟ هل صار نيزكَنا

الماثلَ الآنَ بين البيوت التي قد أُقيمتْ على عجلٍ والخيامِ؟ عظامُ الجِمالِ التي قد ركبْنا،

الجِمالِ التي قد أكلْنا، غدتْ منذ أن بدأَ الكونُ رملاً... خرائطُنا تَمَّحي في

عروقٍ تَمَوَّجُ صفراءَ، مُذْهَبةً، وجبالٍ شياطينَ. لكننا سوف نعبدُ هذي

الحماقةَ: نمضي لنلمُسَها، أو نموتَ على خطوةٍ حسْبُ منها. ولن نتأسّى

لأنّ الرميمَ اختفى كعظامِ الجِمالِ. السحائبُ مرّتْ بنا حينَ كنا نفارِقُ أنفاسَنا تحتَ

شمسِ الإلهِ العجيبِ. فهل سمعَ الشاعرُ الحُلمَ؟ هل أبصرَ الشاعرُ الهلوساتِ الأخيرةَ

للسائرين إلى حتفهم؟ مَن تُرى أَبَرَ النخلَ؟ مَنْ أمَرَ النخلَ أن يتسامقَ

أعلى من الرملِ؟ أعلى من القولِ؟

كم قيلَ نحنُ البُداةُ...

وكم قيلَ، نحن، هنا، البائدون...

....

....

....

فإنْ كان ما قيلَ حقّاً

فمَنْ ابَرَ النخلَ؟

مَن ابصرَ البدويّاتِ يمشِينَ مَرَّ السحابةِ؟

مَن أطلَقَ الأغنيةْ؟

لندن، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤

مُعذَّبو السماء

عراةً
سنمضي إلى اللهِ
أكفانُنا دمُنا،
ونيوبُ الكلابِ التي استذأبتْ هي كافورُنا...

الزنزانة التي كانت مغلقةً، كهربائياً، انفتحتْ فجأةً، لتجيءَ المُجنّدةُ.
عيوننا المتورِّمةُ لم تتبيّنها واضحةً. ربما لأنها من عالمٍ غامضٍ. لم تقل المجنّدةُ
شيئاً. كانت تسحبُ وراءها، مثل حصيرٍ مهترئٍ، الجسدَ المدمّى لشقيقي.

وحفاةً
سنمشي إلى اللهِ
أقدامُنا أنتنتْ بالقروحِ
وأطرافُنا أُثخِنَتْ بالجروحِ

هل الأميركيون مسيحيون؟ ليس لدينا في الزنزانة ما نمسحُ به الجسدَ المسجى.

ليس في الزنزانة إلاّ دمُنا المتخثِّر في دمنا، وهذه الرائحة الآتية من قارة المسالخ.

لن تدخلَ الملائكةُ هنا. الهواءُ يضطربُ. إنها أجنحةُ خفافيشِ الجحيم. الهواءُ هامدٌ.

انتظرناكَ، يا رَبُّ...
كانت زنازينُنا أمسِ مفتوحةً
ـ نحن كنّا على أرضها هامدينَ ـ
ولم تأتِ يا ربُّ...

لكننا في الطريق إليك. سنعرفُ السبيلَ إليكَ حتى لو خذلتَنا. نحن أبناؤكَ الموتى

أعْلَنّا قيامتنا. قُلْ لأنبيائكَ أن يفتحوا لنا الأبوابَ، أبوابَ الزنازينِ والفراديسِ.

قُلْ لهم إننا آتون. صعيداً طيِّباً تيَمَّمْنا. الملائكةُ تعرفنا واحداً واحداً...

لندن، ١٠/ ٥/ ٢٠٠٤

مُفاعَلَتُنْ مفاعلتُنْ فَعولُ

لماذا الكستناءُ تظلُّ مثلَ النساءِ الجالساتِ على رصيفٍ؟
هو العُمْرُ
الذي وهَبَ ارتفاعَ الأغاني، ثمَّ أوشكَ...
أيُّ معنىً سأسألُهُ؟
كأنّ يداً تهاوتْ على شفتي
وقالتْ: أيّ معنىً؟

وفي حانات لندنَ، كان شخصٌ يتابعُ خطوتي؛
وأنا بريءٌ:
أقولُ لأيِّما سببٍ أراهُ وراءَ خُطايَ؟
لم أعرفْهُ يوماً
ولم ألْمَحهُ في بارٍ قديماً...
إذاً، سأخافُ؛
إنّ الخوفَ مثل الحياةِ
أردتُ: مثل الموتِ حقٌّ.

وأخرجُ (من وراء البارِ)...

أمضي
لأجلسَ، دونَ مصطبةٍ، وأُلْقي على النهرِ
الذي جمعَ الغروبَ المشعشعَ نظرةً...
ما كنتُ وحدي
بمرآةِ المياهِ...
....
....
....
أكنتُ وحدي؟

لندن، ٢٠٠٣/٩/١١

من هواجسِ رجُلٍ، سنة ٢٠٠٠ ق.م

هبطَ الليلُ، سريعاً هذا اليومَ، لأنّ الفصلَ تبدّلَ، قالوا...
(يعرفُ هذا، الكاهنُ)
لكني لا أعرفُ ماذا يعني هذا...
لن تختلفَ الأشياءُ كثيراً:
طسْتُ الخبزِ السائلِ في الحانةِ،
والعسسُ الليليّ بأوّلِ منعطَفٍ بعد الحانةِ
والبنتُ
ستُدخلُني مخدعَها حينَ تُلَوِّحُ بالقنديلِ الزّيتِ من الكُوّةِ...
لم اقصدْ أن أتحدّثَ عمّا لم يختلف اليومَ عن الأمسِ،
فأرجو أن تعذرني
كنتُ أحاولُ أن أسألَ، سِرّاً... (أنتَ صديقي):
الشعراءُ، لماذا صمتوا؟
وإلى أين التفتوا؟
ما عدتُ أراهم في الحانةِ يرتجلونَ ويصطخبونَ...
صحيحٌ أنّ غزاةً دخلوا سومرَ؛
أن المعبدَ يَستبدلُ بالتمثالِ تماثيلَ،
وأنّ بيوتَ الكُتّابِ أتاها كُتّابٌ جُدُدٌ...

وإلخ...
لكنْ، أينَ الشعراءُ؟
يقالُ (ولستُ أُصَدِّقُ) إن كثيراً منهم يرتجلون الآنَ
قصائدَ في مدحِ التّجّارِ الأشرارِ
وضُبّاطِ الحاميةِ الأكديّةِ...
(إنّ الليلَ عجيبٌ!)
عذراً...
قنديلُ الزيتِ يُلَوِّحُ في الكوّةِ،
عذراً...

لندن، ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٤

منتظِراً الثلجَ الأوّل

هدأتْ، كالروحِ، الريحُ
وهذا الشجرُ العاري
هذا الشجرُ العالي
هذا الشجرُ الماثلُ صارَ تماثيلَ لأشجارٍ في اللوحةِ
(أعني في ما أطّرَ نافذةَ المطبخِ)
لا غصنَ يرفُّ
ولا طيرَ يهِفُّ
ولا مَن أحببتُ ستأتيني الليلةَ...
(يا ما بكّرتُ لأركضَ شوطاً عند الدانوبِ
وكان الثلجُ يعلِّقُ أزهاراً بيضاً وعناقيدَ على كل صنوبرةٍ)
ما أثقلَ ما ننسى!
ما أجملَ مانتذكّرُ!
أعتمت الساحةُ إلاّ من مصباحِ
لكنّ قناديلَ بيوتٍ تبزغُ في الماءِ بعيداً...
وهنالكَ
آنَ اللحظةُ لا تدخلُ في اللحظةِ
سوف يجيءُ الثلج...

لندن، ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٣

هذا المساءَ سأكونُ سعيداً

شمسُ الضحى تملأُ العشبَ الفتيَّ، وفي القواربِ اصّاعَدَتْ

تلكَ الوشائعُ أشتاتاً

وأبخرةً من المواقدِ؛

كان الكونُ يغسلُ بالشمسِ الرطوبةَ...

أيّاماً تَهَدّدَنا ثلجٌ

وأغرقَ أعشابَ الحديقةِ غيثٌ سابغٌ.

رئتي نقيّةٌ،

ودخانُ الموقدِ احتفلتْ به الرياحُ

وأكوابي مهيّأةٌ

مع النبيذِ المُصَفّى المُصطفى...

وعلى زجاجِ نافذتي

بُقْيا ندىً؛

أيُّ نُعْمى حينَ تَطْرقُ بابَ البيتِ

أغنيةٌ مع المساءِ؟

....

....

....

أهذي ليلتي العَجَبُ؟

لندن، ٩/ ١/ ٢٠٠٤

منتظراً الزوبعةَ المطرَ

في الأغصان العليا

من اربعِ أشجارٍ أعلى من سقف بنايتنا (أعني مبنىً كان يقابلني حتى هذي اللحظةِ)

كان البُنِّيُّ

جوارَ الأخضرِ...

أحسستُ بأنّ اللونَ البُنِّيَّ تحرّكَ

أنّ نقيعاً من أزرقَ، شِبْهَ رماديٍّ، يدخلُ في البُنِّيِّ،

وأحسستُ بأني سأموتُ (إذا ما مُتُّ) على شاطيء بحرٍ؛

أحسستُ بأني سأموتُ سعيداً...

لندن، ٦/٩/٢٠٠٣

قطراتٌ أولى

تلك القطراتُ الأولى تختبيءُ الآنَ
ولكنْ، أينَ؟
تُرى، أهيَ بذيلِ الغيمةِ؟
أو تحتَ وُريقاتِ البلّوطِ؟
وهل ستقولُ: سلاماً؛ إنْ نزلتْ في عينيَّ مباغِتةً؟
أنا في ركن الساحةِ، منتظِرٌ...
فلَئِنْ جئنَ فأهلاً!
ولَئِنْ غِبْن فأهلاً!
يكفيني أني في الساحةِ أنتظرُ القطَرات...

لندن، ٨/ ٩/ ٢٠٠٣

السنجاب

شرَعَ السنجابُ يخَبِّيءُ تحتَ الأرضِ مؤونتَهُ
مقترباً حتى من بابي؛
ما أجملَ هذي الدنيا قبلَ المطرِ!
السنجابُ يمُرُّ على السنجابِ...

لندن، ٨/ ٩/ ٢٠٠٣

حفيد امرىء القيس

يومُ جُمعةٍ رَطبٌ

قرميدٌ خَضِلٌ
يُدخِلُ في عينَيَّ برودتَهُ المعجونةَ بالبُنِّيِّ؛
القرميدُ سيدخلُ في اللوحةِ
والشّجرُ
العصفورُ الغائبُ أيضاً
ومحفّةُ مَرْكبةِ الإسعافِ
وفانوسٌ من أشعارٍ كُتِبَتْ في منتصف القَرنِ الماضي...
لَكأنَّ الساحةَ بالونُ زجاجٍ مملوءٌ بالماءِ
وبالريشِ الأبيضِ،
بالونُ زجاجٍ سَيطيرُ قريباً
ويُخَلِّفُني
بمواجَهَةِ القرميدِ
وبَرْدِ اللونِ البُنِّيِّ
وفانوسِ الأشعارِ المكتوبةِ منتصَفَ القرنِ الماضي.

لندن، ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٥

ابنُ عائلةٍ ليبـيٌّ مقيمٌ في روما

قالوا لي: كيف تقيمُ هنا؟

تترك بيتكَ عند طرابُلُسٍ، وحقولَ الزيتونِ، ومقبرةَ الأجدادِ،

وتسكنُ في حيٍّ من أحياءِ الفقراءِ بروما؟

قالوا لي أيضاً: إني الأكبرُ سِنّاً في العائلةِ...

أعرفُ هذا،

أعرفُ أني أسكنُ في عاصمة القيصرِ

أن جنود الحاميةِ الرومانيةِ في أرباضِ طرابُلُسٍ

يَجْبونَ ضرائبَ فادحةً،

ويحبّونَ الغلمانَ الليبيينَ

ويغتصبون نساءً أحياناً...

أعرفُ هذا؛

لكنْ... إنْ كانت ليبيا مستعمَرةً للرومانِ

فهل أفضلُ لي أن أسكنَ في مستعمرةٍ؟

أن أسكنَ داخلَ ما سَمّاه الرومانُ بلادَ برابرةٍ؟

أنا في حيٍّ من أحياءِ الفقراءِ بروما... حقّاً

لكنّ العسسَ الليليّ هنا لا يزجرني

لا يسألني

لا يأمرني أن أخلع أثوابي ليفتشني...
والأمرُ بسيطٌ جداً، جداً، جداً؛
فالعسسُ الليليّ هو العسسُ الليليُّ لعاصمةِ القيصرِ
لا للمستعمرةِ...
....
....
....
الآنَ
سأفتحُ نافذةً كي يدخلَ ضوءُ صنوبرةٍ بعد المطرِ؛
....
....
....
ابتعدتْ عني رائحةُ البارود.

لندن، ٢٢/٨/٢٠٠٤

عدَن ١٩٨٦... إلخ

كانت رائحة البارودِ وأدخنةُ البارودِ تَصاعَدُ تحتَ سماواتٍ هابطةٍ
وتَنَزَّلُ في الرئتينِ،
وكانت عدنٌ تدخل في أزمانِ الغِربانِ الأولى
مَعْبدَ بارْسِيِّينَ
وبُرْجاً للصمتِ...
وشارعَ ذبْحٍ لقرامطةٍ وشيوعيّينَ.
وفي ساحة فندق نوفوتيل (بَناهُ فرنسيّونَ ولبنانيّون) على الشاطيءِ
كان القتلى
ينتظرون مناقيرَ الطيرِ
لتأخذهم نحو سماواتٍ غامضةٍ؛
نحفرُ في الرملِ
ولا ماءَ،
ونحرثُ في البحرِ
فلا أسماءَ...
لقد كنا فقراءَ، وما زلنا الفقراءَ
ولكنّا آمَنّا يوماً بقرىً نرفعُ فيها مَلَكوتَ حُفاةٍ وشُراةٍ
ونُعِيدُ النجمَ إلى التربةِ

والإسمَ إلى الأشياء...

....

....

....

تعالتْ عدنٌ

وتهاوتْ عدنٌ

وتداولَـها، وتداولَـنا معها الزمنُ الحِـرباء.

لندن، ٤/ ٥/ ٢٠٠٥

نصيحةُ مُجَرِّبٍ

حينَ تَنْعَمُ بامرأةٍ
فَلْتَكُنْ ناعماً مَعَها...
إنّ جِلْدَكَ، جِلْدَ التماسيحِ، وَعْرُ
وتاريخَ جِنْسِكَ (أعني الذّكورةَ) شَرٌّ،
وهذا الذي يتناوَسُ، مُسْتَنْفَراً، بين فَخْذَيكَ، ليسَ يَسُرُّ
إذاً، فَلْتَكُنْ ناعماً مَعَها،
في الأَقَلّ...!

لندن، ٦/٦/٢٠٠٥

بعد قراءة روايةٍ عن القرن التاسع عشر

أمّا المَنْفيّ
فعليهِ ألاّ يملكَ من غالٍ ونفيسٍ
إلاّ نفْسَهْ!

أنا لم أقُل الفكرةَ؛
جان جِيونو Jean Giono في «الفارسُ فوق السّطحِ»
هو القائل...

كان جيونو يلبسُ ثوبَ عقيدٍ إيطاليٍّ شابٍّ
يتخفّى في هيأةِ فلاّحٍ.
كان على حَدِّ السيفِ يسيرُ إلى الثورةْ

أصحابي الغُرباءُ
الناجونَ بأنفُسِهِم من جَفْنةِ مَحْبِسِهِم
كَمْ هُمْ سُعَداء!

لندن، ٢٩/٥/٢٠٠٥

معروف الرّصافيّ

أتذكّرُ تمثالَكَ في الساحةِ ضخماً وثقيلاً
مثل تماثيل الكولومبيّ الواخِزِ: بوتيرو...
لكَ أن تتعالى في الساحةِ
أن تُعلِنَ وقفتَكَ...(النحّاتُ ذكيٌّ)
لكَ أن ترفعَ عينيكَ
وأن تترفّعَ...
ألاّ تبصرَ تلكَ الأعوامَ الخمسينَ:
الضبّاطُ شريفيّونَ
الوزراءُ شريفيّونَ
الشعراءُ شريفيّونَ
صحافيّو كلِ سِخامِ الورقِ المدفوعِ شريفيّونَ
النوّابُ الأوباشُ شريفيّونَ
وحرّاسُ ملاهي بغدادَ، وحاراتِ دعارتِها، والتاجِ، شريفيّونَ...
ولكنّك، تسندُ ظَهرَكَ للحائطِ:
أنتَ تبيعُ سجائرَ لن يتنشّقَها أحدٌ، في الفلّوجةِ...
أنتَ تؤلِّفُ عن شخصيّةِ مَنْ أسمَيناهُ نبيّاً
أنتَ تُبَلشِفُ

تكشِفُ
تكتشفُ العُريَ صريحاً،
وتقولُ...
....
....
....
لنا أن نتباهى بكَ في الساحةِ
يا معروفُ!
لنا أن نستقبلكَ اليومَ رفيقاً...
أمّا أنتَ فمن حقِّكَ أن تشتمَنا
من حقِّكَ أن ترفعَ عينيكَ
وأن تترفّعَ عنّا،
أن تتعالى في الساحة...
من حقِّكَ أن تحسبَ كلَّ الضباطِ
وكلَّ الوزراءِ
وكلَّ النوابِ
وكلَّ الشعراءِ
وكلَّ حُماةِ بيوتِ دعارةِ بغدادَ...
ومنطقةِ التاجِ الخضراءِ
شَريفيّين!

لندن، ٩/ ٥/ ٢٠٠٥

مائدةٌ للطيرِ والسنجاب

هيّأتُ صباحَ اليومِ وليمةَ عيدٍ للطيرِ
وللسنجابِ؛

اليومَ ربيعٌ أوّلُ
ـ أعني أولَ يومٍ لا يثقلُكَ المعطفُ فيهِ... ـ
أحسستُ بأنّ روائحَ تأتيني من قِممِ الأنديزِ
ومن أعماق الغوطةِ
من أرباض نهاوندَ،
وقلتُ: أُبارِكُ ضَوءَ العالَـمِ،
فلأنثرْ خبزي اليوميَّ،
ليأكلْ منه العصفورُ، ويقضمْ منه السنجابُ؛
مددتُ بساطَ العشبِ
ـ طريّاً ونديّاً كانَ ـ
وعدتُ إلى نافذتي...
جاء الزرزورُ الأولُ
فالثاني
فالثالثُ...

هبطَ السنجابُ خفيفاً من جذع الجوزةِ
مختطفاً كِسْرةَ خبزٍ،
ليعودَ إلى مَرْقَبِهِ في أعلى الدوحةِ.
....
....
....
كم كنتُ سعيداً!
لكنّ العقعقَ جاءَ
وجاءَ الثاني
فالثالثُ...
في طرفةِ عينٍ فرِغتْ مائدةُ العشبِ...
....
....
....
إذاً... سأظلُّ: أُفَكِّرُ بالزرزورِ
وبالسنجابِ...

لندن، ١٥/ ٣/ ٢٠٠٥

تنويعٌ على سؤالِ رئيسِ أساقفةِ كانتربَري

Variation on the question of the Archbishop of Canterbury

قد طالَما فكّرتُ:

إنْ كان الإلهُ حقيقةً

فَلِمَنْ، إذاً، نحنُ؟

السؤالُ:

لأيّ معنىً نحنُ؟

إنْ كان الإلهُ، القادرُ، الحقَّ

انتهينا منهُ،

أو مِنّا...

أيُعْقَلُ أنّ آلافاً مؤلَّفةً من الأعوامِ

تمضي هكذا؟

قتلاً

وقتلى -

الأيدْز، والطاعون، والبركانُ

والطوفانُ

والمارينز في بغدادَ
والذُّؤبان...
....
....
....
إنْ كان الإلهُ حقيقةً
فحقيقةُ الشرِّ: الإلهُ؛
وليس من معنىً
لِما نعني
ومَن نعني سواهُ...

لندن، ٤/ ١/ ٢٠٠٥

في صباحٍ غائمٍ

الصباحاتُ غائمةٌ، ليس من قبلِ عشرينَ يوماً فقط...
الصباحاتُ غائمةٌ، منذُ عشرينَ عاماً وأكثرَ؛
إن الصباحاتِ غائمةٌ
مُذْ وُلِدْنا.
وفي عدَنٍ كانت الشمسُ في السّمتِ فجراً
تُؤَجِّجُ قحفةَ رأسكَ مثلَ الزجاجِ،
ولكنّ تلك الصباحاتِ غائمةٌ!
....
....
....
ربّما في عواصفَ ثلجيّةٍ يتجلّى الصباحُ البَهِيُّ...
لقد حَطّت الطيرُ!
عند محطة مترو الجنوب، بموسكو
انتظرتَ التي لم تجيءْ
وانتظرتَ... انتظرتَ إلى حَدِّ أن غَمَرَ الثلجُ شَعرَكَ
واقتاتَ عينيكَ؛
قلتَ: الصباحاتُ غائمةٌ...

وانكفأتَ.

....

....

....

السلالـمُ لا تنتهي حينما ترتقيها
(غُرَيفةُ باريسَ في الطابق السابعِ)
السَّيْنُ ليس بعيداً
وفي الصُّبحِ نفترضُ الشمسَ...
لكنّ تلك الغُـرَيفةَ لن تبصرَ الشمسَ إلاّ دقائقَ.
إن الصباحاتِ غائمةٌ في غُـرَيفةِ باريسَ أيضاً!

....

....

....

. وماذا عن الـمَشهَدِ الآنَ؟
ـ لا مشهدَ الآنَ.
إنْ رُمتَ نوراً فَخَبِّـيءْ شآبيبَهُ في نبيذِ العروقِ
ولا تنتظِرْ أن يكونَ الصباحُ الـمُتاحُ بهيّاً...
ستشهدُ كلَّ الصباحاتِ غائمةً
ومدجَّـجةً بالعفونةِ
حتى تمـوت!

لندن، ١٨/ ٤/ ٢٠٠٥

كونشيرتو للبيانو والكْلارِيْنَتْ

Concerto for Piano and Clarinet

متدافِعٌ قصَبُ البُحَيرةِ طائرٌ يختفي في سماءٍ سماويّةٍ
طائرٌ يختفي في سماء
طائرٌ يختفي
طائرٌ

متدافعٌ قصبُ البُحيرةِ
أهيَ ريحٌ من وراءِ البحرِ تدفعُهُ
أَم السمَكُ الذي في القاعِ؟ هذهِ سِدْرةُ المُنتهى، البيتُ
هل سِدْرةُ المنتهى البيتُ؟
هل سِدْرةُ المنتهى؟
سِدرةُ الـ...

متدافعٌ قصبُ البُحَيرةِ
كانت الشمسُ الخفيفةُ أرسلتْ منديلَها

ليدورَ في الـماءِ نحن أولادُ بيتِ القصَبْ
نحن أولادُ غُصنِ الذّهَبْ
نحنُ أولادُ معبودةٍ خائبةْ
نحنُ مَنْ؟ نحنُ مَن؟ نحنُ مَنْ؟

متدافعٌ قصبُ البحيرةِ
في السقيفةِ زورقُ الصيّادِ
يُطْلى، مِثلَنا، بالقارِ
يُطلى، مثلَنا، بالنار خَلِّني أغترِفْ ملءَ كَفَّيَّ
من مائكَ المستحيل
خَلِّني أغترِفْ منكَ نارَ السبيل
خَلِّني أختلِجْ
خَلِّني أبتهِجْ بالقليل...

لندن، ٩/٦/٢٠٠٥

(*) النص إلى اليمين يعتمد الكاملَ وزناً، كما هو واضحٌ، وهـو للبيانـو.
والنصّ إلى اليسار يعتمد المتدارَك وزناً، وهو للكلارِينَت.
(*) قراءةُ النصّ الشعريّ يمكن لها أن تكون متداخلةً، أو متناوبةً، أو بأيّ طريقةٍ يختارها القاريء.

س. ي

إيْسْتْبُوْرْنْ في الشتاء

Eastbourne in winter

في الصيفِ الماضي
بعدَ شِجارٍ بين امرأتي وامرأتي فجراً،
تركتْني، عائدةً نحو محطةِ لندن / فكتوريا...
ـ أنا لم أتدخّلْ بين الضِدَّينِ المُستَعِرَينِ بصدرِ امرأتي ـ
فأتاحتْ لي أن أعرفَ شيئاً عن هذا المرفأِ
أو أتلمّسَ ما أرجو بأزقَّتِهِ الخلفيةِ:
فندقَ دائرةِ الهجرةِ، حيثُ يلوبُ الشبّانُ وحيدينَ
وبارَ الصيّادينَ؛
أو الكيلومتراتِ الخمسةَ للروضِ الصخريّ على سِيْفِ البحرِ:
الصُبّارَ الفحلَ
ونَبْتَ الصحراءِ الشائكَ
والموجَ، وما تحملُهُ الموجةُ من نُعْمى الجسَدِ...
....
....
....

البحرُ يدمدمُ مرتعِداً
والريحُ تَناوَحُ، صَرّاً، تقذفُ بالبحرِ إلى اليابسةِ
الروضُ الحَجَريُّ
يقاوِمُ،
معتزّاً بنبات الصحراءِ
وأسيافِ الصُبّارِ: الأخضرِ والأبيضِ،
هذا الراكضُ صبحاً في المِضمارِ البحريّ يقاوِمُ
سعدي يوسف في الفجر الشتويّ
الملتبِسِ
الفظِّ
يقاوِمُ...
أخشابُ السورِ
صخور مصدّاتِ الموجِ تقاوِمُ،
إيستبورنُ الوهمُ
وذاكرةُ الصيفِ
تقاوِمُ...
....
....
....
ليس لدينا الآنَ سوى غفْلتِنا
ليس لدينا الآنَ سوى النظرِ الأوّلِ
ليس لدينا الآنَ سوى المِرآةِ:

مساءً سأكونُ بحانةِ «قَطْرِ ندىً» / Dew Drop Pub
سأحاولُ أن ألقى شيخاً كنتُ تعرَّفتُ عليه هنا
في صيفٍ ما
قبل سنينْ...
شيخَ البحّارةِ كانَ
وكانَ
وكانْ...

لندن، ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٥

سِـياجٌ في الريـف

بينَ مُقامي (أعني بَيتي في القرية)، والبَرِّيّةِ، رَسْمُ سياجٍ خشبٍ.
كان سياجاً ينهشُهُ السُّـرْخُسُ والطُّحْلُبُ والـمطرُ الدائمُ. أحياناً يبـدو أخضرَ.
أحياناً يبـدو بُنِّياً. يتحوَّلُ أزرقَ في الأحلامِ. وأسْـوَدَ في الكابوسِ. وأبيضَ حينَ تضيقُ الدنيا.
(الملحوظةُ): أقصدُ فِعلاً، وبلا أيِّ مُراوَغَةٍ أو أوهامٍ، أو أيّ تقاليدَ لنا في التعبيرِ، سِياجاً فِعْلِيّاً.
كلَّ صباحٍ يدنو مني. يوماً في سِيماءِ غزالٍ. يوماً مع ثعلبِ فجرٍ. لكنْ... أبداً في هيأةِ
طيرٍ. منذُ الرابعةِ، الفجرَ، يناديني باسمٍ من أسـماءِ الطيرِ: أَفِقْ يا غافِلُ! وافتَحْ عينَيكَ!
أَلَـمْ تهجِسْ هذا الكونَ؟ أَلَـمْ تتحسَّـسْ نبضَ الدَّوحِ؟ أَلَـمْ تَسْتَفْ ضَوعاً سِرِّيّاً؟
سَـرِّحْ طَـرْفَكَ بِضْعَ ثوانٍ... أَوَلَـمْ تتخاطَفْ في البُـعْدِ مياهُ بُحيرةِ قارونَ؟ أَلَـمْ تَـرَ
قافلةً لِـمَغارِبَـةٍ ماضِينَ إلى الكنْزِ؟ فكيفَ تقـولُ، إذاً، إنك أَعْـلَـمُ بالسِّحرِ

من السّاحرِ؟ لا!

لاتقلِبْ سُحْنَتَكَ! السُّحْنةُ ليستْ كالسُّتْرةِ... والمنزِلُ ليسَ المَسْكنَ.

أنتَ تُراوِغُ نفْسَكَ!

هل تسمعُني؟ هذي الجدرانُ الأربعةُ القرميدُ... أتحسَبُها عازلةً؟ هي أوهَى من نسْجِ

عناكبَ في رأسي. هل تعْلَمُ أن فتى الفِتيانِ هو القادرُ أن يَعبُرَني قَفْزاً كي يدخلَ في

البَرِّيَّةِ؟ هل أبصرتَ البرْقَ الآنَ؟ غريبٌ! هل سُمِلَتْ عيناكَ؟ وهذا الرعدُ... ألَمْ

تسمعْهُ؟ غريبٌ! هل وُقِرَتْ أُذُناكَ؟

تراوِغُ نفسَكَ!

أرجوكَ، اسمَعْني...

أنا لستُ سياجاً للبَرِّيّةِ؛

أنا رَسْمُ سياجٍ في البَرِّيّةِ...

أمّا أنتَ... فَمَنْ أنت؟

لندن، ٢١/ ٥/ ٢٠٠٥

الـحُـرِّيـة

الثلجُ نديفٌ
منذُ ثلاثِ ليالٍ، وثلاثةِ أيامٍ، والثلجُ نديفٌ...
والآنَ، وفي الواحدةِ الظُّهرَ، الثلجُ نديفٌ.
ماذا أفعلُ؟
ماذا يفعلُ هذا الزّاغُ المتشبِّثُ بالسقفِ الخشبيّ لديَّ؟
الثلجُ نديفٌ
وفروعُ الأشجارِ بياضٌ في الأعلى
وشَواظٌ بُنِّيٌّ في الأسفلِ
لن يقطعني الثلجُ
ولن أستذكرَ مثلَ أبي تمّامٍ ديوانَ حماسةْ...
إني أنظرُ من نافذتي:
سيدةٌ
تفتحُ بابَ حديقتها،
تتأمّلُ في الثلجِ قليلاً
وتلفُّ سجارتَها الهنديّةَ
أو تلكَ الأفغانيّةَ
ـ مَن يعرفُ؟ ـ

تشعلُها
تأخذُها كاملةً في الرئتينِ
وتُغْلِقُ بابَ حديقتِها...

لندن، ٢٥/٢/٢٠٠٥

قارةُ الآلِـهة

لو كنتَ وُلِدتَ بإحدى القارات المجهولةِ في قَرنٍ آتٍ
وتنفّستَ هواءً مختلفاً
وطَعِمْتَ غذاءَ من آلِهةٍ
وشربتَ رحيقَ ملائكةٍ...
ولبستَ لبوسَ فضائيينَ؛
أقولُ:
إذا أَمْكَنَ هذا
وتمكّنتَ،
فهل آمُلُ أن أتلقّى منكَ بريداً؟
ذبذبةً خافتةً مثلاً
أو بضعَ إشاراتٍ ضوءٍ...
....
....
....
كوكبُنا الآنَ يمُرُّ بقَرنِ ظلام
والظلمةُ، حتى الظلمةُ، تشتدُّ على البؤساءِ
(أنا منهم...)

أسألُكَ الرحمةَ:

هل تتدبّرُ أن يحملني منك شعاعٌ

كي أولَدَ في إحدى القارات المجهولة، في قَرنٍ آتٍ

فأشِبَّ رهيفاً

بين ملائكةٍ

ومنازلِ آلهةٍ

وفضائيين!

لندن، ١٦/٨/ ٢٠٠٤

حفيدُ امريءِ القيسِ

أَهْوَ ذَنْبُكَ أنكَ يوماً وُلِدتَ بتلكَ البلاد؟
ثلاثةَ أرباعِ قَرنٍ
وما زِلتَ تَدْفَعُ من دمِكَ النَّزْرِ تلكَ الضريبةَ:
(أنكَ يوماً وُلِدتَ بتلك البلاد...)
وما تلكَ؟
إنكَ تعرفُ أغوارَها والشِّعابَ
تواريخَها الكذِبَ
المُدُنَ الفاقِداتِ المدينةَ
تلكَ القرى حيثُ لا شيءَ
ذاكَ الظلامَ العميمَ
وتعرفُ أن البلادَ التي قد وُلِدتَ بها لم تكنْ تتنفّسُ مَعنَى البلادِ...
....
....
....
السؤالُ: وما دَخْلُكَ الآنَ حينَ تطالَبُ بالمستحيلِ؟
*
المُصيبةُ أنكَ تحملُ أوزارَها في انتفاءِ البلاد!

لندن، ٢٢/٥/٢٠٠٥

هـادي العَلَـويّ

كان هادي العَلَويُّ استلَمَ الجُرْفَ وفَرْعَ التوتِ في الضفّةِ...
وهو الآنَ يمضي
يربطُ القاربَ بالمَرْسِ الذي قد فَتَلَتْهُ أمسِ كَفّاهُ
إلى الصفصافةِ العُظمى؛
عجيبٌ أمْرُ هادي العَلَويّ:
الغرفةُ السابعةُ استنفدَت النورَ،
وقد ضاقَ بها (ضاقتْ بهِ؟)
فهو يسري خارجَ الجدرانِ والألوانِ
يسري داخلَ العَتْمَةِ
كي يبلغَ ماءً لا يَبلُّ الرِّيقَ
ماءً ليس فيه من صفاتِ الماءِ إلاّ البرق
ماءً ظلَّ يُغْريهِ بِنارِ المستحيلِ...
....
....
....
القاربُ المربوطُ بالمَرْسِ إلى الصفصافةِ العُظمى
اختفى في هَبّةِ الريحِ...

وهادي العَلَويُّ اقتَعَدَ الأرضَ
هنا، فِي الضفّةِ الأخرى ـ
بعيداً عن مَزارٍ عابرٍ
عن جسدٍ
أو بُلْغةٍ...
كان على التُّرْبةِ يَخْتَطُّ قناديلَ من الأوراقِ
أَبراجاً
ورايات حريقْ...

لندن، ٦/٦/٢٠٠٥

الحصانُ والجَنِيْبَةُ

Horse and barge

يتعيّنُ عليَّ إيضاحُ أنّ الجنيبةَ (الدُّوبة بالدارجة العراقية) هي واسطة نقلٍ نهرية مسطّحة من الحديد، وقد اتخذت اسمها لكونها تنتقل جنبَ الضفة، وفي العراق كان الرجال الكادحون، وهم على الضفة، يسحبونها موثقينَ إلى الجنيبةِ بحبالٍ، قبل أن تأتي المحرِّكاتُ مع الحرب العالمية الثانية. في إنجلترا العتيقة قامت الخيل مقامَ البشر في جَرِّ الجنائب على امتداد شبكة القنوات العظمى The union canal .

أعتقدُ أن عبد الكريم قاسم كان أرادَ أن تكون (قناة الجيش) بدايةً لما يشبه القنواتِ العظمى. (كان في دورةٍ بريطانيّةٍ، بلندن، للضبّاط الأقدَمين العراقيين، والتقى محمد مهدي الجواهري)

النصّ يهتمّ بحانةٍ كبرى على القناة اللندنية، تحمل اسمَ «الحصان والجنيبة»، Horse and barge، اعتدتُ ارتيادها، وهي ليست ذات خصوصيةٍ معيّنة، بل أنها أقربُ إلى الرثاثة، إنْ أردتَ الحقَّ، لكنها ذاتُ حديقةٍ كريمةِ الإتّساعِ تُذَكِّرني بالبارات الصيفية في بغداد، قبل حملة صدّام حسين الإيمانية، وهذا التاريخِ الأميركيّ العجيبِ الذي جعلَنا أقربَ إلى مكةَ من واشنطن.

وثمّتَ جنائبُ ضيِّقةٌ تُتَّخَذُ مساكنَ دائمةً.

سكَنةُ الجنائب الضيّقة Narrow boats يؤمّون المكانَ لأنه ملتصقٌ بمرسىً لهم يُدعى بالإنجليزية الفصيحة غيرِ المعتبرةِ كثيراً لدى السكَنةِ: Marina، وهؤلاء يشكلون شريحةً اجتماعيةً حقاً. هذه الشريحة تُعتبَرُ خارجَ السائد عموماً في الطبع والمَلبس واللهجةِ..

وللمناسبةِ، بمقدورنا، بعد هذا الشرحِ كله، أن نقرأ قراءةً واقعيّةً قولةَ سان جون بيرس: ضيِّقةٌ هي المراكبُ، ضيِّقٌ سريرُنا.

وعلى أيّ حالٍ، سوفَ أبتاعُ جنيبةً ضيِّقةً، ولسوف تكون ذاتَ سريرٍ ضيِّقٍ حُكماً!

لكنْ، في هذا المطر الدائم، المطر غير المرئيّ، المطر الذي يشبهُ زجاج المطارات...

أقولُ: في مثل هذا المطر، يكون الكلام عن الماء والقنوات والمراكب الضيِّقة، سخيفاً تماماً؛ لِمَ لا أتكلّمُ عن مزارع تربية الخنازير مثلاً؟

كنتُ أتابعُـها من نافذة القطار المنطلق من لندن إلى أدنبرة في الشمال. وفي العودة لم أرَ المزارعَ. سألتُ رفيقَ

الرِّحلةِ: أين ذهبت الخنازيرُ؟ قال: لا أدري، لكن من الممكن جداً أنهم أكلوها! حسناً... تقصدُ أن البشر أكلوا كل تلك الخنازير؟ خذ الكوسج (سمك القرش)... كم إنساناً تأكلُ الكواسجُ كلَّ عام؟ ثلاثةً؟ أربعةً؟ قُلْ خمسةً. وهناك سينما وفَكٌّ مفترسٌ... إلخ. حسناً... اذهبْ إلى المَسْمكة، لا تذهبْ بعيداً جداً؛ اذهبْ إلى سوق الأسماك في «مَسْقَط» فقط. ألا ترى الكواسجَ الصغيرةَ؟

Baby sharks ?... لكن أسماك القرش ليس لديها سينما، أي أن الكواسج لم تنجب مخرجين مثل مخرج الفكّ المفترس... لكي نرى فكَّ الإنسان والتهامَ الفريسة.

فيكتور هيجو في «كادحو البحر» وصفَ أخطبوطاً هائلاً، وصراعَ الإنسانِ للتخلّصِ منه. اذهبْ إلى

بيروس، مرفأ أثينا... اذهبْ إلى المطاعم في تلك البلاد، وعلى انتشار اليونان الكبرى في إيجة والمتوسط... هل بمقدورك أن تحصي عديدَ الأخطبوطات التي يلتهمها اليونانيون كلَّ يومٍ؟ لِنَعُدْ إلى المراكب الضيِّقة! أمسِ في «الحصان والجنيبة»... لا، لا، لا، الآنَ في الساعة الثالثة عشرة والدقيقة العشرين تماماً، يومَ الخامس عشر من كانون أوّل ٢٠٠٤، نظرتُ من نافذة المطبخ (المضبّبة قليلاً)، إلى الحديقة المشتركةِ، و البَرِّيةِ الوحشيةِ بعدَها، والبحيرةِ المتلألئةِ في البُعدِ القريبِ... على الأرضية الخضراء، كان ما خلّفه الخريفُ المنقضي من ورقٍ بُنِّيٍّ، يتحركُ كالزرازيرِ. البطُّ المهاجِرُ عبَرَ منذ الصباح غيرِ الباكرِ. تذكّرتُ قصيدةً لبدرٍ (السياب) لا يتذكّرها أحدٌ: صيحاتُ البطِّ الوحشيّ. كانت أيضاً طيورٌ سودٌ متوسطة الحجم. هي ليست الطيورَ السودَ الصغيرةَ. ليست الغربانَ. قالت لي صديقتي إنها تُدعى Starling... لم تقُلْ ذلكَ اليومَ. قالت ذلك منذ أيّام. كنا في مطعم ـ حانةٍ، على ضفة النهر العظيم تماماً (أقصدُ نهرَ التيمس). كنتُ أرى الجسورَ، الواحدَ يتلو الآخرَ... قيلَ إن بغداد ستسقطُ بعد

الجسرِ السابعِ! لماذا؟ ليس في بغداد سحرٌ ولا ساحرٌ... بغداد

مدينةٌ (؟) متربِّعةٌ على مَزبلتها مثل دجاجةٍ غبيّةٍ. الأتراكُ فقط حاولوا أن يصنعوا منها عاصمةً، مثل ما حاولوا مع دمشقَ... الأميركيون

ليسوا بُناةَ حواضرَ. الأميركيون هادمو حواضرَ. وعلى امتداد قارّتهِم لن تجدَ حتى مدينةً واحدةً ذاتَ معنى متّصلٍ. لِنَعُدْ إلى المِراكب الضيِّقة! أمسِ، مساءً، في «الحصان والجَنيبة»،

وتماماً عند البار، رأيتُ شخصاً لم أكن أتوقّعُ أن أراه، شخصاً طالَما مررتُ به، وهو في جنيبته،

على القناة؛ أحيِّيه فلا يجيب. أبتسمُ لِمَرآهُ فلا يردُّ. هل أتذكّرُ الفرزدق؟

فما رَدَّ السلامَ شيوخُ قومٍ مررتُ بهم على سككِ البريدِ
ولا سِيْما الذي كانت عليهِ قطيفةُ أُرجوانٍ في القُعودِ

في هذا الشاهد من شرح ابن عقيلٍ، يحكي الفرزدقُ عن كلابٍ مرَّ بهم. حيّاهم فلم يردّوا... إنهم شيوخُ القوم! على أيّ حالٍ؛ هذا الذي لم يكن ليردَّ، رأيته جليسي. أنا أيضاً أحبُّ الجلوسَ إلى البارِ، لا على كرسيّ

عند طاولةٍ... قلتُ له: أنا أراكَ دائماً. أجابَ: أنا أراكَ دائماً أيضاً. قلتُ له: وأراكَ ساهماً دوماً! أجابَ: وأراكَ ساهماً دوماً... قلتُ: عجيبٌ! قالَ: عجيبٌ!

سيكون المساءُ ثقيلاً، مثقَلاً. أُفكِّرُ في شراء جَنيبةٍ. سيكون لي سريرٌ ضيِّقٌ فيها،

كذلك الذي ذكَرَه سان جون بيرس. وسأُوصي المرأةَ التي أُحبُّ بأن تقتصد في تناول الطعام...

لندن، ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٤

تَـداخُـلٌ

اليومَ أوّلُ أيامِ الخريفِ. مظلاّتُ الـمقاهي خذاريفٌ تدورُ
وفي السحائبِ اشتدَّ لونٌ داكنٌ. لِمَن الدنيا؟
لقد كان في أشجارها ثَمَرٌ للجائعينَ، وفي
أوراقِها مطرٌ للسالكينَ دروبَ القيظِ...
لو رجعتْ أيّامُهُ، آنَ كانَ الكونُ مُلْتأَماً لأهلِهِ
ومَعاداً للفتوّةِ...، يا

صامتاً
تجلسُ بين الناسِ، في المقهى (أو الحانةِ)، عصراً
ترقبُ الآتينَ
أو تأخذُ شيئاً
وتلُفُّ التبغَ الأسودَ (أحببتَ فرنسا دائماً)
ثمّتَ شيءٌ غامضٌ ينبضُ إذْ تجلسُ بين الناسِ...
ـ لكنكَ لا تعرفُ في المقهى سوى الساقيةِ المشغولةِ.

اليومَ أوّلُ أيامِ الخريفِ... ترى ذوائباً من مديدِ العشبِ
ترفعُها ريحٌ، وتخفضُها ريحٌ. وثَمَّ خيولٌ

تقتفي أثراً بينَ المَعاشِبِ، في مَرْجٍ بلا أَثَـرٍ.
أنصِتْ لأنفاسِكَ:
الأمطارُ قادمةٌ...

و
خائفٌ
نَبْضُكَ... في المقهى أتى رُكّابُ موتورسِيكِلاتٍ.
مثلَ ما شاهدتَ في الأفلامِ: عشرينَ، أقاموا ما أقاموا،
وانتهَوا في بَغتةٍ.
رَعـدٌ.
لقد أجفلَت الخيلُ...
وهذا

اليومَ أوّلُ أيامِ الخريفِ. تَناوَحَ النحاسيُّ والصفصافُ(*).
يهطلُ كالتفّاحِ، أخضرَ، وَبْلُ الكستناءِ؛
ولا سناجيبَ
لا طيرٌ
ولا قططٌ...
فاليومَ أوّلُ أيامِ الخريفِ.
أَقِمْ، إذاً، في مَهَبِّ الريحِ
سوفَ ترى الثعالبَ
الفجرَ...

....

....

....

أنتَ، الآنَ، تصطحبُ(**)!

لندن، ١٤/٩/٢٠٠٤

(*) النحاسيّ هو الشجر المسمّى الزان النحاسي Copper beech

(**) تصطحبُ، في الفعل إشارةٌ إلى لقاء الفرزدق والذئب:

وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحباً ... دعوتُ بناري مَوهِناً فأتاني
فلمّا دنا قلتُ ادنُ دونَكَ إنني ... وإيّاكَ في زادي لَمُشتركانِ
فبِتُّ أُسَوِّي الزادَ بيني وبينهُ ... على ضوءِ نارٍ مرّةً...ودخانِ
فقلتُ له لمّا تكشَّرَ ضاحكاً ... وقائمُ سيفي من يدي بمكانِ:
تَعَشَّ، فإنْ واثقتَني لا تخونُني ... نكنْ مثل من يا ذئبُ يصطحبانِ
وأنتَ امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتما ... أُخَيَّينِ كانا أُرضِعا بلِبانِ
ولو غيرَنا نبّهتَ تلتمسُ القِرى ... أتاكَ بسهمٍ أو شَباةِ سِنانِ!

نبْتةُ الوردِ الإيرلنديّ

لا تُطْلِعُ نَبْتةُ ما يُدعى الوردَ الإيرلنديّ، الوردَ كما نعرفُهُ
أو نقرأُ عنهُ...
هي عندي، في زاويةٍ من بستاني
(لأُسَمِّ الياردات الأربعَ بستاناً... لن أخسرَ شيئاً!)
هي عندي منذُ حللتُ، هنا، قبل ثلاثةِ أعوامٍ، في هذا المُنْتَبَذِ الريفيّ
وأنا أتَعَهّدُها
أسقيها...
(كلَّ مساءٍ، وكما اشتَرَطَتْ)
منتظِراً أن تُطْلِعَ ورداً
أو وعداً بالوردِ؛
(يُسَمّى ذلك جُنْبُذَةً في البصرةِ)
خابَ المَسْعى!
خابَ المسعى!
والناسُ يقولون هنا:
الوردُ الإيرلنديُّ يفكِّرُ...
فالنبتةُ في لندنَ

لا في دَبْلِنَ...

....

....

....

كيفَ، إذاً سيكونُ الأمرُ مع البصرةِ؟

لندن، ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٤

جَبْلة(*)

قد نذكرُ أنّ السلطانَ ابراهيمَ المملوكيَّ
بنى مسجدَهُ الجامعَ ذا القببِ الخمسِ، هنا...
ليس البحرُ بعيداً
ليس البحرُ قريباً
لكنّ الأسماكَ الحُمْرَ، الحُرّةَ، قد طُمِغَتْ باسمِ السلطانِ
السلطانِ ابراهيمَ؛
كذلك أهلُ الساحلِ
والنسوةُ تحت غطاءِ الرأسِ التركيّ
وأسواقُ البلدةِ
والمحتسبُ...
الليلُ على هذا الشاطيءِ من أحجار المتوسِّطِ
يهبطُ مثلَ مُلاءاتٍ ليس لها لونٌ أو رفرفةٌ.
قد يصلُ الصيّادونَ الآنَ إلى المرفأِ
بينَ شِباكٍ وقناديلَ
وألواحٍ كانت تَخْضَلُّ؛
وقد تنبعثُ الجَرّةُ كاللوتسِ من قاعِ البحرِ الرومانيّ...
السلطانُ المملوكيُّ (أنا في المقهى أكتبُ. لا أدري

كيفَ أُقيمُ اللحظةَ حاجزَ صوتٍ! كنتُ تعلّمتُ كتابةَ أشعارٍ
في مقهىً باريسيٍّ)
وأُتابِعُ :
إنّ السلطانَ المملوكيَّ تَعَمّدَ أن يجعلَ حاجزَهُ
بين الجامعِ والرومانِ، رمالاً...
(شرَعَ المقهى يكتظُّ، وأقربُ طاولةٍ تتأجّجُ
بالضحكاتِ، ونارِ الأرجيلةِ)
إن العشبَ قويٌّ
العشبُ قويٌّ
والعشبُ يُغَلْغِلُ في الحَجَرِ
الدمَ أخضرَ
والماءَ
وما يجعلُ ما يَفْصِلُ، يَتَّصِلُ...
(اشتقتُ إلى بيتي بالضاحيةِ البيضاءِ تماماً، أعني بيتي في لندنَ
واشتقتُ إلى رُكني في بارِ البَحّارةِ؛)
طبعاً،
سأُخَفِّفُ وَطْءً
في البرزخِ بين الجامعِ والصَّرْحِ الرومانيّ...
وسوف أُتَمْتِمُ في السِّرِّ
صلاةً غامضةً...
....
....
....

أَشياخي في الخلوةِ؛
هذا الليلُ طويلٌ، مكتنِزُ الأسرار
ومنتظِرٌ آياتِ السامرِ
والبَحّار...

دمشق، ٣١/ ٣/ ٢٠٠٥

(*) جَبْلة: مرفأٌ فينيقيّ على الساحل السوريّ بين طرطوس واللاذقية.

ولماذا لا أكتبُ عن كارل ماركس؟

حقاً: لِمَ لا أكتبُ عن كارل ماركس؟
فالأيامُ الإثنا عشرَ الثلجيةُ قد رحلتْ مثل غيومٍ بِيضٍ في بحرٍ أسودَ،
والسنجابُ يعودُ
ونقّارُ الخشبِ؛
البطُّ الوحشيُّ يواصلُ هِجرتَهُ
وحَمامُ الدَّغْلِ يعود لينقرَ في البستان...
هواءُ ربيعٍ أوّلُ
والخيلُ سترمي عن صهواتِ الخيلِ دثارَ الصوفِ،
وأسمعُ في الفجرِ أغاريدَ لطيرٍ منفردٍ...
....
....
....
ستقولُ: وما شأنُ الألمانيّ، طريدِ العالَمِ، في هذا؟
عجباً!
أوَلَمْ تعلمْ كيف أحَبَّ الشِّعرَ؟
وهل تعرفُ مَن شاعرُهُ؟

ثمّ هنالك أمرٌ:

نحن، الإثنَينِ، هبطْنا لندنَ في أيّامٍ تتماثلُ...

نحن طريدا حرسٍ (زُرقِ العيونِ عليها أوجُهٌ سُودُ).

....

....

....

ولماذا لا أكتبُ عن كارل ماركس؟

قرأتُ بمكتبة المتحف أشعاري (حيث تكَوَّنَ رأسُ المالِ)

وبحثتُ طويلاً في لِسْتَرْ سْكْوَير Leicester Square

لعلّي ألقى منزلَهُ،

وفي سوهو Soho أيضاً...

وأخيراً أخبرني يوجين كامينكا(*) Eugene Kaminka

عن آخر عنوانٍ للثوريّ الألمانيّ، بلندنَ:

9 Grafton Terrace

Maitland Park

Hampstead Road

Haverstock Hill

(*) (كامينكا، هو أستاذٌ في تاريخ الأفكار بكانْبَيْرّا)

لكني لستُ ذكيّاً مثل وكيل البوليس السريّ الألمانيّ،
ولهذا
حتى بعد سنينٍ خمسٍ من أسئلةٍ وطوافٍ
لم أعرف أين يقيمُ...
ولكنك تسألُني: أ وَلَمْ يُدفَنْ في هايجيت Highgate
(أو في المتحفِ، حسبَ الليدي ثاتشر؟)
فأقولُ: صديقي حَيٌّ
لم يُدفَنْ في هايجيت، ولا في المتحفِ
لكني لم ألْقَ له أتباعاً ومُريدينَ هنا،
إني أنتظرُ الآتينَ من الحَجَرِ الأولِ...
قُلتُ إذاً سأُلخِّصُ تقريرَ وكيلِ البوليس السرّيّ الألمانيّ.

ملحوظة:

A Prussian Police Agent’s Report, Published in G.Mayer, "Neue Beitrage zur Biographie von Karl Marx", In Grunberg’s Archiv, Vol.10, pp.56-63.

التقرير الذي لم يُكتَبْ في الأصل باللغة العربية

ماركس متوسط القامة، عمره ٣٤ سنة، أخذ شعره يشيب بالرغم من أنه في ريعانه. قويّ البِنية، تشبه ملامحُه زيمير Szemere رئيس وزراء الحكومة الثورية الهنغارية قصيرة العمر في ١٨٤٨، الذي كان صديقاً لماركس]، لكنّ سحنته أغمق، كما أن شعره ولحيته أسودان. الأخير لا يحلق شعره؛ وفي عينيه الواسعتين النفّاذتين شيءٌ شيطانيٌّ. لكن المرء

يستطيع القول منذ الوهلة الأولى إن هذا الرجل ذو عبقرية وقوّة. إن ذكاءه المتفوق يمارس تأثيراً لا يقاوَم في ما يحيط به. في حياته الخاصة، لا يحبّ النظام، مريرٌ، وسيّء المزاج. إنه يحيا حياة الغجريّ، حياة مثقفٍ بوهيميّ، أمّا الإغتسال والمَشط وتبديل الثياب فلا يكاد يعرفها إلا نادراً. يستمتع بالشراب. وهو في الغالب لا يفعل شيئاً أياماً وأيّاماً، لكن إن كان لديه عملٌ يؤدِّيه اشتغلَ ليلَ نهارَ في مثابرةٍ لا تكِلُّ. ليس لديه وقتٌ محددٌ للمنام والإستيقاظ. وغالباً ما يسهر الليلَ كلَّه، ثم يتمدد على الأريكة بكامل ملابسه حوالَي الظهيرة، وينام حتى المساء، غير عابيءٍ بحقيقة أن العالَمَ يتحركُ جيئةً وذهاباً في غرفته.

زوجته هي أختُ الوزير البروسيّ، فون ويستفالِنْ، وهي امرأةٌ مهذّبةٌ لطيفةُ المعشر، عوّدتْ نفسَها على هذه العِيشة البوهيمية، حبّاً بزوجها، وهي مرتاحةٌ الآنَ تماماً في هذا البؤس. لديها ابنتان وولدٌ، والثلاثة حسنو الهندام حقاً، وعيونهم ذكيةٌ مثل عيني أبيهم. ماركس، زوجاً وأباً، أفضل الرجال وأرقُّهم، بالرغم من شخصيته القلِقة. يعيش ماركس في حيٍّ من أسوأ أحياء لندن أي من أرخصها. لديه غرفتان. إحداهما تطلّ على الشارع وهي الصالون، غرفة النوم في الخلف. وليس في الشقّة كلها قطعة أثاث ثابتة نظيفة. كل شيءٍ مكسورٌ، مهترئٌ وممزّقٌ؛ وثمّتَ طبقةٌ ثخينةٌ من الغبار في كل مكانٍ. وفي كل مكانٍ أيضاً الفوضى العظمى.

وسط الصالون طاولةٌ ذات طرازٍ عتيقٍ مغطّاةٌ بمشمَّعٍ. على هذه الطاولة مخطوطاته، وكتبه وصحفه، ثم دُمى الأطفال، وأدوات زوجته للترقيع والخياطة، مع عددٍ من الأكواب مثلومة الحافات، والملاعق

القذرة، والسكاكين والشوكات والمصابيح، وهناك محبرةٌ، وكؤوسٌ، وغلايين فخّار هولندية، ورماد تبغٍ ـ أي أن كل شيء على أسوأ حالٍ، وعلى الطاولة إيّاها. إن أدنى الناس سيرتدُّ خجِلاً من هذه المجموعة المرموقة.

حين تدخل غرفة ماركس، يدهمك الدخان وأدخنة التبغ حتى لتدمع عيناك كأنك تتلمّس طريقك في كهف.

وبالتدريج، تعتاد عيناك على الضباب، وتبدآنِ تميِّزان أشياءَ قليلةً. كل شيءٍ قذرٌ مغطّى بالغبار. والجلوسُ خطِرٌ. أحد الكراسي له ثلاث أرجلٍ فقط. وعلى كرسيّ آخر صادفَ أنه متماسكٌ يلعب الأطفال لعبة الطهي. هذا الكرسيّ يقَدَّمُ إلى الزائر، لكن طهي الأطفال يظل في مكانه. إنْ جلستَ ضحّيتَ بسروالك.

لا شيء من هذا يضايق ماركس أو زوجته. أنتَ تُستَقبَلُ خيرَ استقبالٍ. ويقَدّمُ لك الغليون والتبغُ وما سوى ذلك بكل كرمٍ، كما أن الحديث اللطيف المفعَم بالروح كفيلٌ بالترميم الجزئي للنواقص. بل أن المرء ليعتاد العِشرةَ، ويرى هذه الحلْقةَ مثيرةً للاهتمام وأصيلةً. ها هي ذي الصورة الحقيقية للحياة العائلية للزعيم الشيوعيّ، ماركس...

*

هَـيْ!

هَـيْ!

هَـيْ!

أوَما قلتُ لكم: إنّا لم نعرفْ كارل ماركس؟

لندن، ٧/ ٣/ ٢٠٠٥

رسالةٌ أخيرةٌ من الأخضر بن يوسف

عزيزي: أنا الآنَ لا أترَدَّدُ في أن أُحَيِّــيكَ. (في أنْ أُصَبِّحَ يومَكَ بالخيرِ) مَرَّ زمانٌ علينا، ولم نَلْتقِ. الصبحَ فكّرتُ... قلتُ البــريدُ الذي كان منقطعاً في الحروبِ، وفي مَهْمَهِ الثورةِ المستحيلةِ، قد بدأَ. الأصدقاءُ الذين غدَوا جُزُراً في محيطٍ من المعدِنِ الذائبِ التفتوا، فجأةً، نحو أنفُسِهِم واستراحوا على فحمةِ الليلِ كي يكتبوا. هل يقولون شيئاً؟ أتحسَبهم قائلينَ؟ انتظرتُ، فلم أسْتَرِقْ نأْمةً. واستَرَقتُ، فلم أعتَبِرْ نَغْمةً. حِيْنَها، وأُصارِحُكَ القولَ فكّرْتُ فيكَ...السلامُ عليكَ! السلامُ على دارةٍ أنتَ فيها! السلامُ على حَيرةٍ أنتَ فيها!

أتعرفُ أنيَ طوَّفتُ أبعدَ ممّا تظنُّ؟ لقد كنتَ تسْخَرُ بي، كنتَ تحسَبُني وادِعاً أو جباناً.

أتذكرُ؟ يومَ انبطَحْنا على رملِ ساحلِ «أَبْيَنَ» ظلَّ الرصاصُ يَئِزُّ. ولم أرتجِفْ...

وفي صيفِ بيروتَ، صيفِ الضواحي، تطلَّعتُ في الموقعِ المتقدِّمِ. كانت على مدخلِ الحَيّ دبّابةٌ. كانت الطائراتُ المُغِيراتُ تُلقي صواريخَها. غيرَ أنكَ كنتَ الدِيناميتَ في عُلْبةِ الخشبِ. اليومَ حاولتُ أنْ أَتَبَيَّنَ ما كنتَ تكنِزُهُ آنذاكَ... تُرى، كنتَ تأمُلُ في أن ترى المَوجتَينِ وقد غَدَتا موجةً؟

ربَّـما!

لستُ أدري...

وهاأنتذا تتلقّى الرسالةَ

هاأنتذا تتقرّى الرسالةَ

ها أنتذا، آ...

وهاأنذا...

....

....

....

نضربُ الصّـنجَ، ثانيةً، في العـراءْ.

لندن، ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٥

هَلْوَسةٌ خَفيفةٌ

ولأنّ المطرْ
منذُ أن جئتَ تسكنُ في تَلّةِ الضاحيةْ ـ
خامِلٌ
دائمٌ
ماثِلٌ
مثلَ بابِ الحديقةِ أو مَدخَلِ البيتِ،
مثلَ جذوعِ الشجرْ...
صِرْتَ تحلمُ، مستيقِظاً، بالمطرْ...
مطرٍ يتكوّنُ من وردةٍ متناثرةٍ في الرذاذْ
مطرِ القطَراتِ الكبيرةْ
مطرِ الموجِ يغمرُ قمصانَ بَحّارةٍ تائهين
مطرِ الرحمةِ الإستوائيّ في الزوبعةْ
مطرٍ لستَ تَمْلِكُ أنْ تسمعَهْ:
مطرٍ من جرادْ
مطرٍ في عروقِ البلادْ
مطرٍ من رمادْ...

لندن، ١/٦/٢٠٠٥

الإصـغـاءُ

بينَ حينٍ وآخرَ
(واقرأْ هنا: بينَ عامٍ وآخرَ)
أُصغِي إلى نبضِ قلبي...
(أتحسَبُ ما قلتُهُ لعبةً أو مَجازاً؟)
أقولُ: أُحاولُ أن أتَثَبّتَ من نبضِ قلبي
وأن أُرهفَ السَّمعَ؛
أجلسُ مسترخِياً
والنوافذُ مُحْكَمَةٌ
لا هديرَ محرِّكِ سيّارةٍ
لا رياحَ
ولا مطرٌ يتمرَّغُ فوقَ الزجاجِ المضاعَفِ...
أُسْبِلُ جفْنَيَّ
أُرْخِي ذراعَيَّ
أُرهِفُ سمعي: أدَقَّ. أدَقَّ. أدَقَّ...
وأخفِضُ رأسي يساراً،
فيلمُسُ حَنْكِي قميصي الطريَّ الذي ابتعتُهُ أمسِ.
يا قلبُ

يا قلبُ
أيُّ الرفيقَينِ نحنُ؟
أ في كلِ عامٍ تحدَّثُني مرّةً، فأردُّ عيكَ السلامَ؟
الكلامَ
الحياةَ المؤجَّلةَ...
الآنَ أسمَعُ صوتَكَ
نبضَكَ
كالبوقِ...
أهيَ سرايا الخيول التي تتقدَّمُ في السَّهْبِ؟
أَمْ هو بوقُ النُّشُور...

لندن، ١٩/ ٤/ ٢٠٠٥

بطاقةٌ إلى ممدوح عدوان

أنتَ معنى الفُتوّةِ
تهجئةُ العَيشِ حتى القَرارِ: الثُّمالةِ
راعي تقاليدِنا
في التسكُّعِ، والعَرَقِ المُرِّ
أو قَولِ: لا!
أنتَ مَنْ راوغَ السَّيفَ
واستنفدَ الخوفَ
واعتبَرَ الحرفَ حتى غَلا...
كيفَ خلّفتَني في المَفازةِ؟
كيفَ انتهيتَ إلى أن تغادرَني أوّلا؟

لندن، ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٤

الـماندولـيـن

لا يمكن الكلام عن الماندولين، إلاّ بلغة الماندولـين. أعني أن اللغةَ المعروفة (أي التي نعرفُها)

ليست أداةً للكلام عن الـماندولـين. والسبب بسيطٌ (جداً؟)... السبب أن ألـ ـ ما ـ

نْـ ـ دو ـ لِيْـ ـ نْ، هي موسيقى. خشبٌ يُنْبِتُ موسيقى.

لا تَقُلْ لي رأساً إننـي مرتبكٌ أو مُتَـلبِّـكٌ .No , no, please! ... أنا بكامل هدوئي.

كنتُ في عدنٍ...
كنتُ خلّفتُ أرواحَ نجدٍ إلى يَمَـنٍ
كنتُ في عدنٍ
دَندَنَ العودُ: دانَى ودانَى...
ومِن حَضرموتَ الأغاني
وقد كنتُ في عدنٍ!

غريبٌ أمْـرُكَ معي! أقولُ لكَ إن قصّتي مع الـماندولين حَقٌّ. بمعنى أنها ليست كما تفهمُ أنتَ الشِعرَ.

أي أنني أتحدّثُ عن ماندولين حقيقيّة، من لوحٍ ودمٍ. ماندولين نائمة بارتخاءٍ في صندوقٍ مبطّنٍ بمخملٍ أزرق. أتستزيدني؟ حسناً! أقولُ لكَ إنني ابتعتُها من شابٍّ كان تدرَّبَ عليها، في ألمانيا الديمقراطيّة، ثمّ هجرَها، هنا، إلى العود (لا مشكلَ في الأمرِ. فمن حقِّه أن يعزف على الآلةِ التي تُطعمه خبزاً).

أَمّا أنا فطعامي أنتَ تعرفُهُ:
قلبُ الشِفَلِّحِ
والحَلْفاءِ
أو، تَرَفاً، رحيقُ ما أنبَتَ البُرديُّ والقصبُ...
كأننا، الشعراءَ، النَّوءُ والسُّحُبُ!

الهامُّ (مَن يدري؟)، أن الشابّ قبِلَ، بعد ترددٍ هيِّنٍ، أن يدرِّسَني الماندولينَ التي ابتعتُها منه. الأجرُ على قَدْرِ المشَقّة (لم يقُلْ هو ذلك...). كان يأتي في الضحى العدنيّ الرطبِ مبتسماً
دائماً. يفتح الصندوقَ، ويُخرجُ الماندولين من نعاسها في المخمل الأزرق. ويقول لي: نبدأ...
نتدرّب على:

آه، يا زين، آه يا زين...
آه، يا زين العابدين
يا وردْ!

يا ورد مفتّح بين البساتين..

يعلِّمني كيف أُمسِكُ بمثلّث البلاستيك الدقيق الذي يصل بيني وبين أوتار الماندولين، مثل ما يصلُ الراهبُ بين المرءِ والله. أمضي معه (طبعاً هي قصّةُ أسابيعَ، وإلاّ كيف؟)...

أبلُغُ: يا ورد...

يا أُمَّ الله المقدّسة!

وبعدَها كيف أمضي؟

يا ورد / مْفَتْ / تَحْ / بين / ال / بسا/ تين...

لكنني سأفِرُّ من عدنٍ إلى البحر المهدَّدِ بالرصاصِ

سأتركُ البيتَ المعرَّضَ للقذائفِ، حيثُ أوراقي تَطايَرُ

في هواءِ السُّمِّ والبارودِ...

خلَّفتُ الحقائبَ كلَّها؛ وهي الخفيفةُ. وارتقيتُ

السُّوَرَ مرتبكاً:

تركتُ الماندولين!

لندن، ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٤

ذِكرياتٌ من هناك

ماذا سأفعلُ هذا اليومَ؟

صاحبتي قد سافرتْ نحوَ روما، الفجرَ...

ما اتَّرَكَتْ على المُلاءاتِ ضوعاً، و انطواءَ مخدّةٍ

أو غضوناً تجتلي، سَحَراً، مَتْنَ الفراشِ؛

لقد مضتْ مثلَ ما جاءتْ

مُنَعَّمةً

قريرةَ العينِ

في سروالِها الذهبُ الصَّفِيُّ غَزْلٌ

وفي أردانها الياسمينُ...

اليومَ، يأخذني الموجُ:

....

....

....

العشيّةَ في باريسَ، منتظِرٌ أنا الفتاةَ التي كانت وراءَ البار منذُ صباحِهِ؛

البنتُ سوف تُتِمُّ الآنَ سابعَ ساعاتِ العبوديّةِ،

الشخصُ ذو العدساتِ السودِ سوف يسلِّمُ البنتَ أجْرَ اليومِ...

قلتُ لها:
ماذا عليكِ لو استخدمتِني؟
أنا، يا نِيكول، أفقرُ من أن أستغلَّكِ...
لا، بل أقولُ... أنا دوماً أُحبُّكِ: : : !
فلْنذهَبْ إلى سان أنطونَ...
النبيذُ والجُبنُ
خبزُ القريـةِ....
المساءُ في حَومة الباستيلِ!
أعرفُ أن الغرفة الآنَ قد تبدو مجازفةً
ونحنُ في سان أنطونَ العجيبِ؛
إذاً
لن أذكرَ الغرفةَ!
الليلُ البطيءُ... يُجَرْ...يُجَر...جِرُ...في الباستيلِ خطوتَهُ...
الناسُ الأُلى هدأوا بعد النبيذِ وخبزِ القريةِ التأموا على الضفافِ؛
وأسألُ نيكولَ:
الطريقُ إلى المَمَرِّ والغرفة العُليا، أنقصدهُ من ههنا؟
....
....
....
رَبِّ، ماذا؟
إنّ صاحبتي قد سافرتْ نحو روما، الفجرَ...
ما اتَّرَكَتْ...

لندن، ١/ ٥/ ٢٠٠٥

أطاعَ غناءَ الحوريّاتِ

هو لم يخسرْ شيئاً حينَ أطاعَ نداءَ الحوريّاتِ...
لقد غامَرَ حقّاً:
حطَّمَ مركبَهُ، عَمْداً، عند صخورِ الشاطيءِ،
فاضطُرَّ إلى أن يسبحَ
كي يمسكَ جِذعاً أنقَذَهُ من غرقٍ حَتْمٍ...
ـ كان غناءُ الحوريّاتِ يهدهدُهُ حتى في الغرقِ الماثلِ ـ
كان سعيداً؛
أغفى، ملتَفّاً بالرملِ الدافيءِ
والأصدافِ
وهدهدةِ الحوريّاتِ؛
ولم يستيقظ إلاّ بعدَ ثلاثِ ليالٍ من حُلُمٍ...
في ليلتهِ الأولى
سارَ إلى سفْحٍ وتَمدّدَ في كوخ رُعاةٍ،
في ليلته الثانيةِ
استَلقى بين زهورِ الخشخاشِ،
وفي ليلته الثالثةِ
اختارتْه الحوريّاتُ السَّبعُ لِيُمسي الأُضْحِيةَ...

....

....

....

البَحّـارُ أفاقَ

ـ كما في القَصصِ الأولى ـ

يفرِكُ عينيهِ، ويشعرُ بالجوعِ وبالعطشِ...

الوقتُ ضحىً

والبحرُ الهادِيءُ كان يُوَشوشُ... وِشْوِشُ... وِشْوِشُ... وِشْوِشُ

ثمّتَ عينٌ يترقرقُ فيها الماءُ

ويكشفُ عن حصباءَ ملوّنةٍ وحصىً أزرقَ؛

واللوتُسُ طافٍ

يلمعُ إذْ يتضوّعُ:

هل تقطفُني يا بحّارُ؟

اقطفْني يا بَحّارُ

اقطفْني أُطعِمْكَ من الجوعِ

اقطفْني!

....

....

....

لم يعُدِ البَحّارُ يرى غيرَ صخورِ جزيرتِهِ

غيرَ السمكِ الميْتِ

وغيرَ طيورٍ متوحشةٍ قد تأكلُهُ يوماً...

لكنّ البحّارَ يفكرُ ثانيةً:
أوَلستُ أرى الآنَ المِرآةَ؟
إذاً وَهْماً كانت سنواتُ الرِّحلةِ...
وهماً كان نشيدُ البحر!

لندن، ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٤

خاطرةٌ عن المِرآة

بضعُ صديقاتٍ أتينَني بالأُصُصِ اللائي تراها الآنَ في بيتي...
لم يأتِ حتى واحدٌ من أصدقائي بِـ...
النوافذُ الأربعُ
والطاولةُ الخفيضةُ
السُّلَّمُ، والركنُ الذي في غرفة النومِ... إلخ
تحفظُ ما جاءت به يوماً صديقاتي؛
....
....
....
إذاً، هل يَصْدُقُ القولُ عن العنقاءِ والغولِ؟
أنا، اليومَ، أُرَوِّي العِرْقَ في مملكةِ الأزهارِ
أغْذوهُ بما أَكْنِزُ من ماءٍ
ومن رنّاتِ أسماءٍ وأضواءٍ ولألاءِ عيونٍ...
إنها حديقتي
مُلْتَجأي في وحشةِ الليلِ
ومِرآتي التي أقرأُ فيها المَشهدَ الآفِلْ.

لندن، ٢١/ ٥/ ٢٠٠٥

الطبيعةُ تلعبُ بي...

هاأنتذا حِلٌّ بهذا البلدْ طقسٌ شتائيٌّ، ويومٌ أحَدْ...
ما أقربَ الجنّةَ!
إن البحيراتِ تَراءى، والنجومَ اللواتي غِبْنَ
يأتينَ
كما تأتي فتاةُ الدَّنَفِ الأوّلِ في الحُلْمِ؛
انتبِهْ!
ساقيةُ البارِ تحيّيكَ...
فأنتَ الرجلُ المُمْعِنُ في التهذيبِ حدَّ اللعنةِ؛
الصِّبْيانُ يصطادون أعشاباً من القاعِ،
وفي بحرالشمال اصطفّتِ الأسماكُ كالسّردين في حاويةِ القبطانِ
....
....
....
سِيْدُورِي!
إذاً...
هاأنتذا حِلٌّ بهذا البلدْ
طقسٌ شتائيٌّ ويومٌ أحَدْ!

فجأةً. يتَنَزّلُ المطرُ بقطراتٍ كبيرةٍ. المطرُ صائتٌ ربّما للمرة الأولى في هذا البلد. لستُ أعرفُ ما أنا فاعلٌ. سأخرجُ إلى ساحة القرية. سأقولُ (لنفسي، فالناسُ في شُغُلٍ عني بشؤونهم) مباركةٌ هذه العشية. مبارَكٌ ما تقوله أيها السيّدُ. مبارَكٌ ما تسكتُ عنه أيها السيّدُ. ومباركةٌ هي الأرضُ التي ترتضيك متسائلاً. لتنتقِعْ كتفاكَ بالغيثِ مدراراً. ولْيَقْطُرِ الماءُ من عينيكَ. إبكِ ولو تحت المطر...

هاأنتذا حِلٌّ بهذا البلدْ
طقسٌ شتائيٌّ ويومٌ أحدْ!

من شواهد «لسان العرب»:
عَدَسْ! ما لِعَبّادٍ عليكِ إمارةٌ نجوتِ، وهذا تحملينَ طليقُ...

هاأنتذا حِلٌّ بهذا البلدْ
طقسٌ شتائيٌّ، ويومٌ أحدْ!

لندن، ٢٥/٨/٢٠٠٤

البريدُ الليليّ

هذه الرسالةُ ـ النصُّ، وصلتني البارحة. كنتُ عائداً من مشرب القريةِ

بعدَ أن أدّيتُ طقسي المسائيّ باحتساءِ كأسي الكبيرة

من البيرة السوداء. عند أُولى درْجات السُّلَّمِ، في منزلي،

وجدتُ المُغَلَّفَ، وكان شِبه مدعوكٍ. كان الأمر مفاجِئاً

إذْ ليس من بريدٍ في مثل هذه الساعة، كما أن المغلّف كان بلا طوابع أو أختامٍ. قلتُ: البريد أمرٌ غامضٌ عبر التاريخ. سككُ البريدِ (كما سمّاها الفرزدقُ) كانت للملِك. للخليفة. لِظِلِّ الله.

إذاً، ثـمّـتَ ما يصلُ بين البريد واللامعقول... خُذْ هذه الرسالة مثلاً...

مَن كتبها؟ المرسِلُ لم يذكر اسمَه. كلّفني المشقّةَ.

ومع قراءتي الرسالةَ، فهمتُ أنّ أُمّةً كاملةً من الجنِّ كانت في المتْنِ.

خمسة عشر قرناً من الجنون... ما شأني أنا بهذا؟ أنا المترهِّبِ في منزلٍ ريفيٍّ، في رَبْضٍ من أرباضٍ لندن؟ النرجسُ البرِّيُّ مبكرٌ جداً،

وأسرابُ السنونو أيضاً. المطرُ المنهمرُ دوماً ينهمرُ دوماً، وأنا شِبهُ

دائخٍ. قلتُ: فَلأَمضِ مع الرسالة. امضِ، فرُبّتَما هدأتْ هواجسُكَ.

على أي حالٍ... أنا لم أتوقّفْ في قراءتي، لأَتَثَبّتَ من النصوصِ،
وأدقِّقَ في روايتِها. خُذي عَبَراتِ عينِكِ عن زَماعـي
وصونِي ما أذَلْتِ من القناعِ. أآلِفةَ النحيبِ كم افتراقٍ أَجَدَّ فكانَ
داعيةَ اجتماعِ. وليستْ فرحةُ الأوباتِ إلاّ لموقوفٍ على ترَحِ الـوداعِ.
أُسائلُها أيَّ المَواطنِ حَلَّتِ، وأيَّ بلادٍ أوطأَتْها وأيَّةِ...؟
وماذا عليها لو أشارتْ فودّعتْ إلينا بأطرافِ البنانِ وأومَتِ. ولي
دونكم أهلونَ: سِيْدٌ عملَّسٌ، وأرقطُ زهلولٌ وعيفاءُ جَيهَلُ. تمنيتُ أني
بين روضٍ ومنهلٍ مع الوحشِ لا مِصراً حللتُ ولا كَفْراً. ولَمّا
قضينا من مِنىً كلَّ حاجةٍ ومَسَّحَ بالأركانِ مِن هو ماسحُ، وشُدّتْ
على حُدْبِ المَطايا رِحالُنا، ولم يعرف الغادي الذي هو رائحُ...
أخذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا، وسالتْ بأعناقِ المَطيِّ الأباطحُ.
لقد زِدتَ أوضاحي امتداداً ولـم أكُـنْ بهيماً ولا أرضى من الأرضِ
مَجْهَلا ولكنْ أيادٍ صادفتْني جِسامُها أغرَّ فأوفتْ بي أغرَّ مُحَجَّلا.
إذا المـلِكُ الجبّارُ صَعَّرَ خدَّهُ مشينا إليه بالسـيوفِ.

كأنكَ لم تسمَعْ بقتلِ مُتَوَّجٍ مليكٍ، ولم تسمَعْ... رمى واتَّقى
رميي، ومِن دونِ ما اتّقى هوىً. ما كان ضرَّكَ لو عفوتَ وربّما
يعفو الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ. ظلّتْ سيوفُ بني أبيه تنوشُهُ
للّهِ أعراضٌ هناكَ تُمَزِّقُ! لَربّيتُهُ حتى إذا آضَ شَيظَماً
أخا الفحلِ واستغنى عن المسحِ شاربُهْ، تَغَمَّطَ حقي ظالماً ولوى
يدي لوى يدَهُ اللهُ الذي هو غالبُهْ. ربّيتُهُ مثلَ... حتى إذا آضَ كالفُحّالِ
شذَّبَهُ أبّارُهُ ونفى عن متنِهِ الكَرَبا، أضحى يمزِّقُ أثوابي
يؤدِّبُني... أبعدَ شيبيَ عندي يبتغي الأدبا؟ أعائشُ: لولا أنني كنتُ
طاوياً ثلاثاً

لألـقـيـتُ ابـنَ أُمِّـكِ هـالـكـا، غـداةَ يـنـادي والـرمـاحُ تـنـوشُـهُ كـوقـع الصياصي، اقتلوني ومالِكا! قومي همو قتلوا أُمَيمَ أخي، فإذا رميتُ أصابَني سهمي

ولَئِنْ عفَوتُ لأَعْفُوَنْ جللاً، ولَئِنْ قسوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمي!

إليكِ، إليكِ يا بغدادُ عنِّي

فإني لستُ منكِ ولستِ منِّي

ولكني وإنْ كثُرَ التجنِّي

يَعزُّ عليَّ يابغدادُ أني...

فلِمَنْ تغنِّي والمقاهي أغلقتْ أبوابَها؟

....

....

....

مطر

مطر

وفي العراق جوع.

لندن، ٤/ ٢/ ٢٠٠٥

لا قهوةَ في الصباح

لليوم الثالثِ
لم أتناولْ قهوةَ صُبحٍ؛
ليس لأني لا أعرفُ كيف أُعِدُّ القهوةَ
أو أني لم أشتَرِ بُنّاً
(لا سُكّرَ)
قد تتساءلُ: «ما شأني؟»
حقاً... ما شأنُكَ أنتَ؟
سواءٌ، كانت لي قهوةُ صُبحٍ
أم لم تكنِ...
الغيمُ، مُسِفٌّ، دانٍ، هذا اليومَ
ولم تَتَراءَ الشمسُ
تماماً، كالقهوةِ، منذ ثلاثةِ أيّامٍ
وأَزِيدُكَ أن فتاتي لم تأتِ، ولم تهتفْ، منذ ثلاثةِ أيّامٍ
وأزيدُكَ أكثرَ أنّ قوائمَ باهظةً للغاز أتتني منذ ثلاثةِ أيامٍ...
....
....
....

وأخيراً:

أنباءُ جنودِ «الحرس الأسـود»

The Black Watch

في بابلَ...

❋

أنتَ صديقي العالقُ، مثلي، بالإنترنت...

أنت صديقي؛

إنْ لم أشْـكُ لكَ البلوى،

فَلِمَـنْ أشـكو؟

لندن، ٢٥/١١/٢٠٠٤

كلامٌ فارغٌ

لكمُ البلادُ،

ولي البَلادَةُ...

إنني لا أفهَمُ الـPolitics

سوف تقولُ لي:

إنْ كنتَ حقّاً هكذا، فاخْرَسْ: : !

لماذا تخلطُ الأوراقَ؟

دَعْنا ننتفعْ من غفلةِ التاريخِ...

دَعْنا نَستفِدْ من أهلِ روما، مالَ روما؛

حِقْبةٌ، وتَمُرُّ...

يا مُتَنَسِّكاً بين «القرى المتهيِّباتِ خطاكَ، والمُدُنِ الغريبةِ»:

نحنُ، نحنُ، رفاقُكَ ـ

انتبِهِ!

الرصاصةُ سوف تكونُ وارِدَةً...

....

....

....

إذاً، فَلأعترِفْ:
لكمُ البلادُ
ولي البَلادةُ...
إنني لا أفهمُ الـ Politics

لندن، ٢٧/ ١/ ٢٠٠٥

بِيانُو كوندوليزا رايس

The Piano of Gondoliza Rice

آهِ يا بوب مارلي...

O, Bob Marley!

كيف أُوقِفُ هذا القطارَ؟

Stop the train!

كيف أُوقِفُهُ؟

أنتَ لا تعرف المرأةَ المستريحةَ عند البيانو...

هي سوداءُ حقاً؛

ولكنها يا عزيزيَ ليست صديقةَ حُلمِكَ، نينا سيمون

آهِ !Nina Simone

هذه المرأةُ المستريحةُ عند البيانو

لم تكن في زمانكَ شيئاً

(هي كوندوليزا رايس)

أمّا المفاتيحُ، أعني مفاتيحَ ما قد نراه البِيانو

فهي أبوابُ مملكةٍ للجحيم...

آهِ، يا بوب مارلي
يا صديقي
يا صديقَ الزمانِ...
يا صديقَ الأغاني التي تتحدّث عن قارة الحُلمِ
والحبّ
والعنفوانِ العظيم؛
أنتَ لن تشهدَ السيِّدةْ
لن ترى كيف تأتي مفاتيحُها بملائكةِ الرّعبِ،
أو كيف تفتحُ أبوابَ أحلامِها لكلاب جهنّمَ...
لن تشهدَ العصْفَ يطوي سماواتِ بغدادَ، مثلي...
O, Bob Marley!

لندن، ١٨/ ١١/ ٢٠٠٤

من ساحة الجمهورية إلى الطُرُق الأربعة

De La place de La Republique a Quatre Chemins

يتنصفُ الليلُ بطيئاً
أبطأَ من آخِرِ كأسٍ تأخذُها قبل رحيلِكَ من دفْءِ البيتِ إلى الشارعِ؛
أحياناً تخرجُ مطروداً في أدَبٍ جَمٍّ...
مثلاً تسمعُ من صاحبِكَ: المترو يتوقّفُ بعدَ قليلٍ،
أو أن امرأةً ما سوف تجيءُ...

....

....

....

عليكَ الآنَ مغالَبَةُ السُّكْرِ
ودقّاتِ الساعةِ
والجوعِ...
عليكَ الآنَ فداحةُ أن تبدأَ خطوتَكَ الأولى
في الليلِ الباريسيّ، عَدُوِّ الفقراءِ؛

الليلِ الباريسيّ، بُحَيرةِ أَحْلاسِ الليلِ، وحُرّاسِ الليلِ
وأَبعادِ الليلِ
وقد صارَ الكيلومترُ الواحدُ إثنينِ...
فأيّانَ، إذاً، تبلغُ تلكَ الطُّرُقَ الأربعةَ؟
الطُرُقَ الأربعةَ...
الغرفةَ حيثُ حَشِيَّتُكَ المُتْرِبةُ
المُنعطَفَ المعتِمَ
حيثُ القَتْـــلِ!

لندن، ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٥

(*) المقصودان هنا: ساحة الجمهورية ومنطقة الطرق الأربعة بباريس.

قصيدةُ مَديحٍ

مبارَكٌ يومُكَ، يا سيِّدَ هذي الغَيْضةِ: المَرْتَعِ للسائل والمحرومِ
واللصِّ،
مبارَكٌ ما كنَزَتْ عيناكَ من نورٍ
وما قد أنبَتَتْ كَفّاكْ من زَهرٍ...
مبارَكٌ لكَ الوِسادُ ناصعاً
مبارَكٌ لكَ المبيتُ في القَفْرِ
مبارَكٌ كلْبُكَ بالوصيد باسطاً مثلَ التماثيلِ ذراعَيهِ
مبارَكٌ ما تشتهيه امرأةٌ عندَكَ في الفجرِ
مبارَكٌ صوتُكَ في تَأْتأةِ الحقِّ
مبارَكٌ قميصُكَ المقدودُ مِن قُبْلٍ
مبارَكٌ بابُكَ مُشْرَعاً
مبارَكٌ مَفْرِقُكَ التاجُ
مبارَكٌ ضَياعُكَ،
القولُ بِـ: «لا»، مبارَكٌ...
مبارَكٌ رِسْغُكَ مغلولاً إلى الصَّخرِ
مبارَكٌ هذا الدمُ النافرُ من عِرْقِكَ كالنبيذِ
المنتهى مبارَكٌ كالبدْءِ

والصمتُ مبارَكٌ كالقولِ...
يا سَيِّدُ
يا عَبْدُ
ويا رَبُّ،
مبارَكٌ منَ يجهلُ الدربَ...
مبارَكٌ من طافَ في متاهة الروحِ بلا عكّازةٍ؛
مبارَكٌ مَن وَدَّعَ الجميع!

لندن، ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٥

طُـهْرٌ

لِـ«كَسْتناءِ الحصانِ»(*) اشتقتُ في سَـفَري
لا نخلةُ اللهِ شـاقَتْني ولا الأَثَـلُ
ولا ذوائبُ لبلابٍ
ولا سَمَكٌ يُلاعِبُ الماءَ...
قالوا: ثَـمَّ فاختةٌ تأوي إليكَ مسـاءً!
قلتُ: مُنْتَبَـذي مأوى العذارى ذواتِ الريشِ؛
لا امرأةٌ قد آنَسَـتْني
ولا ليلى تُرَطِّبُ لي مَتْنَ الفِراشِ
فلا نُعْـمى
ولا قُبَلُ...
كأنّ قُطْنَ فِراشي حينَ ألـمُسُـهُ
سجّـادةٌ بالبياضِ المَحضِ تحتفـلُ.

لندن، ١٩/ ٥/ ٢٠٠٥

(*) كستناء الحصان: شجرةٌ تزهر في الربيع كؤوساً بِيضاً، أو بُنِّيّةً.
في حديقة منزلي، بضواحي لندن، دوحةٌ منها، تأوي إليها الطيورُ، وتتّـخذُها السناجيبُ مسكناً وملعباً دائمَينِ.

استِجابةٌ

في الساحة ينهمر المطرُ
منذ ثلاثة أيامٍ ينهمرُ المطرُ
حتى عَرِيَتْ دَوحةُ تُوتٍ في أعلى البستانِ
وكَفَّ الصفصافُ الباكي عن شُربِ الماءِ من البِرْكةِ،
لا عصفورَ
ولا عَقْعَقَ
لا سنجابَ
ولا قطّةَ...
أحياناً يأتي النورسُ، منفرداً، من جهةِ البحرِ
كأنّ العالَمَ، كلَّ العالَمِ، بحرٌ...
....
....
....
أتُرانا الغَرقى؟
أَمْ أنّا نغرقُ فعلاً...
أمْ أنّا قد نُنْبِتُ أجنحةً فنَطِيرُ!

لندن، ٤/ ١٠/ ٢٠٠٤

نظرةٌ جانبيّةٌ

حين تنظرُ عبرَ الزجاجِ الموارِبِ نظرتَكَ الجانبيةَ
تبصر أن الغيومَ ارتدتْ ورقاً من غصونٍ زجاجيّةٍ...
هل تمادى الرذاذُ على مَسكن النملِ؟
هل هجستْ سلّةُ الزهرِ سنجابَها يترجّحُ؟
هل كنتُ أهذي بأسماءِ مَن رحلتْ أمسِ
تاركةً مخدعي بارداً يتنفّسُ؟
....
....
....
كان القطارْ
مسرعاً بين قُصوى محطّاتهِ والمطار...
انتبهتُ إلى أنني لم أكن في دمشقَ؛
ولا أنا في القاهرةْ ٬
وانتبهتُ إلى أن أمطارَ آبٍ حقيقيّةٌ
مثلَ ما أنني جالسٌ لِصقَ نافذةٍ...
أسمعُ الآنَ صوتَ الرذاذِ الذي صار في لحظةٍ مطراً
أسمعُ الطائراتِ...

الصواريخُ تنقضُّ؛

....

....

....

إني أُقِيمُ الصّلاة.

لندن، ٢٠/٨/٢٠٠٤

سـانْتْ آيفيس St. Ives(*)

ينفتحُ الشـاطيءُ كالحدوةِ...
من أعلى التلِّ تطلُّ كنيسـةُ بَحّارةْ
ويطلُّ الموتى، وشـواهدُهم في أيديهـم، يستافونَ شـميمَ البحرِ
ويضطربون مع الأمواج
ومَن ركبوا هَبَـواتِ الأَمواجِ؛
الريحُ ستهدأُ بِضعَ دقائقَ،
سوف يعودُ الموتى نحو أَسِرَّتهم في الغسـقِ المتَرَذْرِذِ
ناسينَ شـواهدَهم بين مَنابتِ أشـجارٍ قصفَتْها الريحُ...
الآنَ
سيفتتحُ الـمَمشى البحريُّ مطاعمـهُ
ومَشـاربَـهُ،
ولَسـوفَ تجيءُ الفتياتُ من الماءِ مباشـرةً
مبتلاّتٍ
أَنصافَ عرايا...
ستكونُ الموسـيقى صاخبةً.

(*) St.Ives سانت آيفيس: مرفأ صيادين وفنّانين في أقصى شمال كورنوال Cornwall، على الساحل الجنوبيّ الغربي لإنجلترا

....

....

....

أيُّ بيوتٍ ستقولُ لنا: أهلاً؟

لقد انتصفَ الليلُ

وأغفى السامرُ

واستكملت الأبوابُ مَغالِقَها...

لكنّا، نحن الإثنينِ، نتابعُ في الطرقاتِ القَفْرِ، متاهتَنا

لا بابَ لنطرقَهُ

لا شُبّاكَ لننظرَ فيهِ

ولا مِرآةَ لتنظرَ فينا؛

نحنُ، الإثنينِ، علينا أن نستوفيَ دورتَنا...

....

....

....

هل ينفتحُ الشاطيءُ كالحدوةِ

كي نبصرَ في أعلى التلِّ كنيسةَ بَحّارةْ

فنُصلِّي فيها حتى ينبلجَ الفجر؟

سانت آيفيس، ٥/ ٩/ ٢٠٠٤

تعشيقٌ

ليس بالمعنى الدقيقِ، القولُ:

إنّ امرأتي (أعني فَتاتي) هجرتْني فجرَ هذا اليومِ...

حقّاً، خطفتْ سروالَها والصُّدْرةَ الصوفَ، من الكرسيّ

ثمّ اندفعتْ، مُطْبِقةً باباً، لكي تهبطَ كالبرقِ

على السُّلَّمِ...

كانَ المطرُ استجمَعَ ما يَهوي به فوقَ الزجاجِ؛

الريحُ

لم تتركْ على الأشجار إلاّ بضعَ أوراقٍ

كأن الأرضَ كانت، منذُ كانت، ورقاً أصفرَ مبلولاً ومبذولاً...

أقولُ: المرأةُ ـ القطّةُ

حقاً غادَرَتْني... وهي لم تعبأْ بما يعصفُ

لم تعبأْ بما لا يوصَفُ: الرعدِ، وهذا الوابلِ المُنْهَلِّ...

والرجفةِ؛

طولَ الليلِ كانت طائراتٌ تَعْبرُ الأعصابَ نحوَ البصرةِ.

الريحُ هديرٌ معدِنيٌّ

شاحناتٌ هي إيكاروسُ ليليّاً

ومَعنى القولِ...

لم أعرفْ لماذا لم أقُلْ للمرأةِ: اسْتَأني رجاءً!
ولماذا لم أَقُمْ من مضجعي أَتبَعُها...
أنا شخصٌ ساذجٌ
في منتهى التهذيبِ...
يشتدُّ هديرُ الطائراتِ
الريحُ لا تحملُ إلاّ الطائراتِ
الطائراتِ
الشاحناتِ الجُنْدَ في الليلِ إلى البصرةِ.
إن امرأتي أطبقتِ البابَ
لكي أُصغي إلى صمتي وحيداً...

لندن، ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٤

أبْلَـهُ الحَـيّ

النوافذُ
ذاتُ الستائرِ مُحْكَمَةً، والزّجاجِ المُضاعَفِ
والبُخْلِ في النورِ...
هذي النوافذُ
أيّانَ يُمسي ليَ الحقُّ في أن أُزيحَ ستائرَها
وأُخَفِّفَ من هولِ ذاكَ الزجاجِ المضاعَفِ
أو أجعلَ النورَ يشْتَطُّ فيها؟
ليسَ لي مهنةٌ أتَحَصَّنُ في ثوبِها كي أدُقَّ على البابِ...
كي أنصحَ (الساكنَ؟) الساكنينَ
بأنْ يستقبلوني
وأنْ يسمحوا لي
بِخِدْمَتِهِم:
أنْ أُزيحَ الستائرَ... حتى ولو بالكلام!

لندن، ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٥

عَوّامَةُ النِّيل

لا موجَ، ولا ريحَ؛ وثَمَّتَ رائحةٌ من كافورٍ إفريقيٍّ وفَرِيكِ الشِّيحِ.

سريري خشبٌ يتهادَى فوقَ الماءِ، تَهادى... يتهادَى... يتهادَى. النِّيلُ

يتابعُ مَجراهُ شمالاً، يصنعُ جسرَ سُليمان، وكورنيشَ الجامعةِ. العَوّامةُ

من خشبٍ رَطْبٍ، وحديدٍ لم يُصبَغْ منذ سنينَ. العوّامةُ ٨١. ولي طابقُها الأسفلُ،

لي مَعْبَرُها ذو أزهارِ الجَنبَينِ، وهدهدةُ الدَّوحِ، وأغنيةُ المَلاّحينَ. زوارقُهم

تأتيني بالخضرة والفاكهةِ. الفجرَ استيقظتُ فلم ألْقَ ضجيعةَ آخرِ ليلي. لكنّ النيل يُهدهِدُني

ويُهَدِّئني: أَغْمِضْ عينيكَ! فأُغمضُ عَينَيَّ. سأهبطُ نحوَ الوادي.

أَدخلُ مصرَ. إذاً: ! حجرٌ رمليٌّ وغرانيتُ، وأصباغٌ من نَبْتٍ منقرِضٍ،

وتماثيلُ لآلِهةٍ بَشَرٍ، وطيورٍ، وتهاليلُ إلى قططٍ، وتماسيحُ،

وصحنٌ من أَلْسِنةِ العصفورِ.

العوّامةُ ٨١، أقاربَ شمسٍ أُبْصِرُ؟ قاربَ شمسٍ يتهادَى... هادَى... يتهادَى... هادَى؟

لم يتركْ لي كافافي شيئاً أفعَلُهُ. لكنّ الشيخَ اليونانيّ هنالك عند البحر يُصمِّم

مستوطنةً للإغريقِ الآتينَ من التاريخِ و لا بيتَ لهم. سأنامُ سعيداً في العوّامةِ ٨١، أنامُ

وأركضُ بين الوادي والبحرِ...

....

....

....

سبيلي الأوحَدُ: ماءٌ يتهادَى... هادَى... يتهادَى... هادَى.

لندن، ٣/ ٥/ ٢٠٠٥

النَّقيضُ

هو: حانةٌ صغرى

(أظنُّ نِزار قبّاني بـ «طوقِ الياسمينِ» استعملَ التعبيرَ: أعني حانةً صغرى، لأول مرةٍ...)

لكنّ هذا البارَ في غربيّ إيلنغَ الفقيرةِ

(Poor West Ealing)

ليس كما أحَبَّ نِزارٌ!

البابُ الموارَبُ سوف يَدخلُهُ الزبائنُ منذ مقتبَلِ الضحى؛

لا ظِلَّ لامرأةٍ تُراقِصُهم،

ولا مرأىً لخاصرةٍ تَكَسَّرُ في الضياء النّزْرِ،

لا زهرٌ يباعُ موزَّعاً بين الموائدِ

لا حديثَ يدورُ

لا جازٌ ولا لَعِبٌ...

....

....

....

و منذ سنينَ خمسٍ كنتُ ألقى في الضحى أشياخَ إيرلندا

متكأِكِئينَ إزاءَ ساقيةٍ وراءَ النُّضْدِ

مبتسمينَ...
كانوا، شأنَـهمْ دوماً، يلفّـونَ السجائرَ صامتينَ
ويحتسونَ البيرةَ السوداءَ.
أحياناً، أُحَيِّيهِم فأسْـتأني
وأحياناً أُتابعُ خطوتي، متعجِّلاً، لأكونَ عندَ النُّضْـدِ...
لكنّ الشيوخَ يتابعونَ الصمتَ والتدخينَ
أشباحاً
كأني ما مررتُ بهم...
وكأنني شبحٌ سيدخلُ في الجدارِ ويختفي...
....
....
....
ما أطولَ السنواتِ!
ما أنأى الـمَدى!

....
....
....

أمسِ انتهيتُ إلى حقيقةِ ما ظننتُ المستحيلَ:
عرفتُ أني صِرتُ
شيخاً

صامتاً

متطامنَ الحركاتِ

من أشياخِ إيرلندا...

Lancaster 12/11/04

القصيدةُ قد تأتـي...

يوماً، فَيومينِ، تعوي الريحُ
والمطرُ الكبيرُ ذو القطراتِ المُشْبَعاتِ كحبّاتِ المَسابحِ
والزّعـرورِ
يَطرُقُ شُبّاكي
وينهمرُ
مُغَلْغِلاً تحتَ جِلْدي بَرْدَهُ؛
أهِيَ الرطوبةُ الآنَ،
أَمْ أنّ العِظامَ غدتْ قبلَ الرميمِ رميماً؟
أَمْ هوَ القَـدَرُ
أن يستَديمَ معَ الأرواحِ مُضطَرَبي
ومستَقَرِّيَ أقصى الغابةِ؟
....
....
....
ابتَعِدي عنِّي، إذاً، يا فتاةَ البحرِ...
واتَّرِكي على المُلاءاتِ عَرْفاً منكِ، أكنِزُهُ مُضَوَّعاً،
ضائعاً بين الجدارِ وباب الجنّةِ!

....

....

....

الشجرُ المبْتَلُّ
يبدو شفيفاً
ثَمَّ أُغنيةٌ من طائرٍ مُسرِعٍ
والغَيمُ ينحسرُ.

لندن، ١٠/١/٢٠٠٥

إذاً... خُذْها عندَ البحرِ

قد جاءتكَ، متوَّجةً، فارعةً
متهلِّلةً
وعلى مَفرِقِها النجمُ القُطبيُّ...
مزركشةً
أغصاناً وغلائلَ، دوحةَ ميلادٍ، في لحظةِ ميلادٍ
ستدقُّ البابَ، لينفتحَ البابُ؛
أتأخذُها في أدنى السُّلَّمِ
منتصبَينِ وملتصقَينِ
كصندوقِ كمانٍ...
أَمْ تُمهِلُها كي ترقى السُّلَّمَ ذا الدّرْجاتِ السَّبعِ؟
تفكِّرُ أنتَ:
المَمشى بين نهايةِ هذا السلَّمِ والغرفةِ
أطولُ من أن تتحمّلَهُ
من أن تصبرَ...
هل تأخذها في المَمشى؟
هل تهصرُها لِصقَ الحائطِ؟
لكنْ ستفكِّرُ أنتَ:

لماذا لا تتبعُها حتى الغرفةِ
حتى متنفَّسِ ضَوعِ أراكٍ، ومَجَسِّ حريرِ أرائكَ...؟
سوف ترى شمساً بينكما
شمساً ومجرّةَ أقمارٍ
ونَشيئاً من طَلٍّ سرّيٍّ...
ولسوفَ تكونانِ سعيدَينِ ومرتجفَينِ؛
....
....
....
تفكِّرُ أنتَ:
ولكنّ بهاءً كبهاءِ الزائرةِ العُليا أقدسُ من أن يؤخَذَ
بين أراكٍ وأرائكَ...
إنّ بهاءً يستغرقُ كوناً لا يتحمّلُ ضِيقَ مكانٍ؛
....
....
....
حسناً يا ولدي!
الآنَ تعلَّمتَ من الغائبِ شيئاً
وعرفتَ...
إذاً، خُذْها عندَ البحر.

لندن، ٨/ ١٢/ ٢٠٠٤

النَّمِر

وِلْيَمْ بْلَيْك William Blake

١٧٥٧ ـ ١٨٢٧

نَمِرُ، يا نَمِرُ، يا مُتَّقِداً وَهَجاً

Tyger , Tyger , burning bright

في غاباتِ الليل

In the forests of the night

أيُّ يدٍ آبِدةٍ أو عَينٍ تحيطانِ بتناسُقِكَ الرهيبِ؟

What immortal hand or eye, Dare frame thy fearful symmetry?

في أي أعماقٍ أو سماواتٍ

In what distant deeps or skies.

تشتعلُ نارُ عينيكَ؟

Burnt the fire of thine eyes?

بأيّ جناحَينِ يجرؤُ على التحليق؟

On what wings dare he aspire ?

وبأيّ يدٍ يجرؤُ أن يقبضَ على النار؟

What the hand , dare seize the fire?

وأيُّ كتِفٍ، وأيّ مهارةٍ

And what shoulder ,& what art ,

قادرتانِ أن تلويا نِياطَ قلبِكَ؟

Could twist the sinews of thy heart ?

وآنَ شرعَ قلبُكَ ينبِضُ

And when your heart began to beat ,

فيا لَها من رهبةِ يدٍ؟ ويا لَها من رهبةِ قَدَم؟

What dread hand ? & what dread feet?

بأيّ مِطْرقةٍ؟ بأيّ سلسلةٍ

What the hammer ? what the chain,

وبأيّ أتُّونٍ كانَ دماغُكَ؟

In what furnace was thy brain?

أيُّ سندانٍ، وبأيّ مَمْسَكٍ

What the anvil ? what dread grasp,

يُطْبَقُ على إرعاباتهِ المُهلِكة!

Dare its deadly terrors clasp!

آنَ ترسِلُ النجومُ رماحَها

When the stars threw down their spears

وتُرَوِّي السماءَ بدموعِها:

with their tears¤ And water'd heaven

أتُراهُ سيبتسمُ لِمَرأى ما فَعلَ؟

Did he smile his work to see ?

أ مَن خلَقَ الحَمَلَ خَلَقَكَ؟

Did he who made the Lamb make you ?

نَمِرُ، يا نَمِرُ، يا متّقِداً وَهَجاً

Tyger Tyger , burning bright ,

في غابات الليل

In the forests of the night:

أيُّ يدٍ آبِدةٍ أو عَينٍ

What immortal hand or eye ,

تحيطانِ بتناسُقِكَ الرهيب؟

Dare frame thy fearful symmetry ?

(*) تمّت ترجمة القصيدة بلندن يوم ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٥

تعليقُ حَواشٍ :

يمكنُ القولُ إن وليم بْلَيك، كان بروليتاريّاً قبل المصطلَح. كان متدرِّباً، ثمّ حفّارَ كلائشَ معدنيّةٍ، طَبّاعاً بتعابيرَ من زماننا. ولأنه بروليتاريّ في سوهو القديمة، قريباً من سانتْ مارتن كَلِجْ الحالية، بلندن، أيّدَ الثورةَ الفرنسيةَ، واعتبرَ نفسَه مناضلاً في سبيل الحقّ. كان متّقدَ الإيمانِ، معتقداً أنه سيطير مع الملائكة. وفي احتضاره، ظلَّ يغَنّي، وقد رأى نفسَه مع الملائكةِ، حتى توَفّاه الله الذي آمَنَ به جداً. قصيدته الشهيرة «مُنظف المداخن» The Chimney Sweeper التي كتبها في العام ١٧٨٩ (عام الثورة الفرنسية)، تُعتبَر لدى الأوساط اليسارية، بشيرَ الأدب البروليتاري.

لكنّ لقصيدة «النمِر» أهميةً مختلفةً، بسببٍ من الخلفية المعقّدة التي استندتْ إليها مرجعيّةُ النصّ، وبسببٍ من الروح السحريةِ التي تَسِمُ العملَ، والانسيابيةِ التي اقتربتْ بالنصّ المعقّد من الأغنية. لم يكن ميلادُ «النمِر» سهلاً، ولم تأتِ القصيدةُ عفوَ الخاطر. إنها قصيدةٌ محكّكةٌ.

لقد أعادَ كتابةَ مقاطعَ منها، وغيَّرَ في مواضع مقاطعَ، معيداً الترقيمَ، حتى استقرَّ على النص النهائي المتوافر لدينا، عِلماً بأن مسوَّدات القصيدة لا تزال في متناول الدارسين.

لقد حفرَ «كليشة» النصّ النهائي، وزيّنه بتخطيطِ نمِرٍ مضحك!

أنا أحتفظُ بنسخةٍ من «النمِر» بخطّ وليم بْلِيك، مع تخطيطه الشهير للنمِر المضحك.

س.ي

تجربةٌ ناقصةٌ

أنا منتظِرٌ ما يمحوه الليلُ؛
اختفت الزّرقةُ منذ الآن
ولستُ أرى إلاّ طيراً مَسْكنُهُ سقفي القرميدُ،
ستُمسي كلُ سقوفِ القرميدِ رماداً
وستلبسُ حتى ساحةُ سياراتِ الحيِّ حِداداً
تلبسُ حتى الأشجارُ سواداً مُلْتبساً...
مَنْ ستُغَنِّي؟
هل أُرهِفُ سمعي للرعدِ بأرضٍ أخرى؟
هل ألجأُ للهاتفِ:
غَنِّي لي يا ساقيةَ المقهى البحريّ!
وغَنِّي لي يا صاحبةَ المطعمِ...
غَنِّي لي يا دُمْيةَ محرابٍ زمنَ العبّاسيينَ؛
البصرةُ ما صلّتْ لأذانٍ يرفعُه بشّار
البصرةُ لم يُرعِشْها مقتلُ بشّار
لكنَّ الأَمَةَ السوداءَ ـ فريدةَ أُمَّتِها ـ سارت تبكي بشّار...
....
....
....

اختفت الزُّرقةُ؛
ها هوذا الليلُ الماحي كلَّ الأفوافِ
المُغْلِقُ كلَّ الأفواهِ
الهابطُ، كالرمل البركانيّ على الأمواهِ...
الليلُ المُعْلَنُ، هذا الليلُ
المُعلَنُ، والملعونُ
القاتلُ
والمجنونُ؛
الليلُ السيِّدُ هذا الليل
الليلُ الأبيضُ هذا الليل...
الليلُ النّصلُ
الصِّلُّ
الصافرُ...
ليلُ قطاراتِ القتلى المشحونينَ إلى قمرِ الكثبانِ
....
....
....
اختفت الزرقةُ؛
والليلُ يغور
أعمقَ حتى من تهجئة الدَّيجـور.

لندن، ٦/ ٧/ ٢٠٠٤

تنويعٌ ثالثٌ

أنا منتظِرٌ ما يمحوه الليلُ

اختفت الزرقةُ منذ الآن،

ولستُ أرى إلاّ طيراً مسكنُهُ سقفي القرميدُ...

أ جِسرٌ في حمدانَ، يعِيدُ مياهاً كانت تجري تحت الماءِ؟

يُغَربِلُها ويُعِيدُ...

أَم الصيفُ الساخنُ في المِرآةِ؟

أَم الرعدُ؟

الطَيَرانُ الحربيُّ يُقَطِّرُ في الدمِ رائحةَ البارودِ

ولكنْ... في هذي القرية يربطُ ملاّحونَ قواربَهم عند سياجِ الحانةِ؛

حتى صيّادو السَّمَكِ ابتدأوا يطوونَ خيوطاً وشِباكاً...

....

....

....

مَن دقَّ على الشُّبّاكِ ثلاثاً:

متتابعتينِ

وثالثةً بعدَ ثوانٍ...؟

(كان العمّالُ يجيئون إلى منزلنا، بالبصرةِ، سرّاً في الليل،
ويرتحلون الفجرَ)

سأفتحُ!

أرجوكَ، تَمَهَّلْ...

لا ترحلْ!

سنكون معاً، مثل رفيقَينِ، على طرقاتِ الفجرِ

سنحملُ بَيرقَنا

وندقُّ الصّنجَ الهائلَ...

....

....

....

لا ترحلْ!

أرجوكَ، تَمَهَّلْ...

لندن، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٤

وَشْـمُ الذئبِ

كان مساءُ القريةِ في أوّلِـهِ

والحانةُ كانت في أولِ مُقتَرَباتِ القريةِ؛

في كل مساءٍ أتمشّى من بيتي كي آخذَ كأساً في حانة قريتِنا

وأعود لأدخلَ في ليلي وكوابيسي...

....

....

....

حين دخلتُ اليومَ الحانةَ

قلتُ: اختلفَ الأمرُ!

فقد وقفتْ خلفَ البارِ المتواضعِ ساقيةٌ أخرى...

....

....

....

عندَ الفِقْراتِ السُّفلى

من ظَهرِ فتاةِ الحانةِ،

في مفترَقِ الإلْيةِ هذي

عن تلك الأخرى:
يتمشّى وشمُ الذئبِ الأزرقِ...
أحياناً يتخفّى الذئبُ الأزرقُ تحت حريرِ قميصٍ حُرٍّ
فتلوبُ فتاةُ الحانةِ،
باحثةً بين الروّادِ عن الذئبِ...
وباحثةً بين رماد سجائرِهم عن جَمْرِ العينينِ؛
وماذا لو سقَطَ الثلجُ الآنَ؟
أترقصُ في الساحةِ إذْ تَبْيَضُّ الساحةُ؟
أَمْ تُسرعُ كي تبلغَ غرفتَها
فَتُدَفِّيءَ، عاريةً، إلْيَتَها
تحتَ الشرشفِ
حيثُ يلوبُ الذئب؟

لندن، ٢٢/ ١/ ٢٠٠٥

الشيوعيّ الأخير
يدخلُ الجَنّة

العواصمُ تتداعَى

كلما جئتُ واحدةً من عواصمنا العربيةِ صلَّيتُ...

ها أنتِ ذي!

أنتِ ما زلتِ حاضرةً (مثلَ ما كنتِ في الكتبِ الجِلْدِ مخطوطةً

أو مُرَنَّحةً في الأغاني..)

السلامُ عليكِ...

السلامُ على مَن رأى في خرائطِكِ الحُلمَ

واستافَ في خَلْجةٍ من هوائكِ والماءِ ذاكَ الشميمَ

المُضَوَّعَ من جنّةٍ؛

ولتكوني حلَبْ

لتكوني المعرّةَ، والقاهرةْ

لتكوني الرّباطَ

دمشقَ

طرابُلسَ الغربِ

والقيروان...

ولتكوني التماثيلَ (آلِهةَ البدوِ) مطمورةً في الرمال.

ولتكوني السجون

ولتكوني الدياميسَ تُسمَلُ فيها العيون

ولتكوني التي قطّرَتْ عرَقَ الـمَوزِ
أو عرَقَ التَّـمرِ
أو عصرتْ خمرَها في الخريفِ الـمُبَكِّرِ
أو شنقَتْ في الصباحِ المبكِّـرِ عشّاقَها...
ثم أضحتْ تُصَلِّي على طبقٍ من ثريدِ الرؤوسِ.

....

....

....

النساءُ بِمُـرّاكشَ اعتدْنَ أن يتنقّبْنَ،
والطارقيُّ
ومن شاءَ أن يكتبَ الشِعرَ كي يتكسّـبَ...

....

....

....

تلك البلادُ لنا
والعواصمُ فيها عواصمُـنا
نحن أشرارُها
نحن أخيارُها
نحن عشّـاقُها المنتهونَ إلى القتلِ؛
لكنّ تلك العواصمَ نحنُ،
العواصمُ (حتى ولو لم نشأْ) نحنُ... نحنُ

فإنْ سُلِّمَتْ لسوانا

أو استسلمَتْ،

هل سنذكرُ أُغنيةً عن دمشق؟

هل ستذكرُ مَن كانَ منّا، ومَن لم يكنْ بَعدُ، أغنيةٌ من دمشق؟

٧/ ١/ ٢٠٠٦

العـودةُ

قمرٌ، مثلَ قِشرٍ من الموزِ طافٍ على جَفنةٍ من رصاصٍ مُذاب

قمرٌ بارعٌ

قمرٌ باردٌ، يصطلي بأظافِرنا وهي تخمشُنا كالقطط...

أمسِ

حينَ دخلْنا المدينةَ، قُلْنا انتهَينا من الباديةْ

هكذا

وبلا أيّ لَعثمةٍ

مثل ما يفعلُ الواثقون

مثل ما يفعل الغافلون

مثل ما يفعل المُدمنونَ السُّرى...

....

....

....

غيرَ أنّا سنسكنُ (حتى ولو عانَقَتْنا المدينةُ) ليلَ القرى:

قمرٌ من تراب

قمرٌ من رصاصٍ مُذاب

قمرٌ في البلادِ الخراب...

لندن، ١٧/١١/٢٠٠٥

الفرات

يغيضُ عن «الرّقةِ» الماءُ كي يدخلَ الطبقاتِ الخفيّةَ من لحمِنا، نحن أبناءِ تلكَ الضفافِ التي أنبتتْ قصباً للأسِنّةِ والأغنياتِ. الفراتُ هنا ضلّلَ النورسَ. السمَكُ المتحدِّرُ من فُوّهاتِ الجبالِ ارتـضى في الفراتِ مراعيَهُ، وارتدى الفضّةَ. الخيلُ تعبرُ، غرثى، مَخاضاتِهِ. والجِمالُ الأبيّةُ تعلِكُ في الصّهَدِ، الشيحَ. ماءٌ تغلغَلَ في الرملِ. في وجْنةِ الطفلِ. ماءٌ يَظلّ بكفّيكَ، لا يتبدّدُ. ماءٌ هو البَسْمَــلةْ.

*

سلامٌ على جسدَينِ استحالا بهِ جسـداً واحداً. والسلامُ على القاعِ حيثُ
الحصا يترقرقُ. يا بردَ مائِكَ! أقسمتُ بالطيرِ أن أرتـدي كلَّ فجــرٍ جناحَينِ، أقسمتُ بالطينِ أن أبلغَ الطينَ في صبوةٍ، غائصاً... أيها النهرُ
يا خيطَ أسمائنا وتواريخِنا، يا قرانا، وذكرى مَمالكِنا. يومَ جئتُكَ أحمِلُ أوزارَ خَطوي تحمّلتَني، وانتظرتَ إلى أن وثبتُ خفيفاً من القاعِ.
ضوءٌ على جسدَينا. وضُوءٌ. أهذا هو السلسبيلُ؟ أهذي هي السّنبلةْ؟

*

فيافيكَ، حيثُ الذئابُ التي تأْلَفُ النارَ. جنّاتُ عدْنِكَ حيثُ الصقورُ التي
تأْلَفُ الناسَ. مَرْعاكَ حيثُ الزهورُ به كَمْأةٌ. والنساءُ اللواتي يَخُضْنَ
بأثوابِهِنَّ المُوَيجاتِ إذ يتبرّدْنَ. هل كان صوتُ المُغَنِّي شبيهَ عرائسِكَ؟
الليلُ يهبطُ، سمْحاً، خفيفاً. شِباكٌ بلا سَمَكٍ في ثيابِ الصغارِ. ويأتي
الشّميمُ: أقهوتُكَ المُرّةُ الآنَ، أمْ وترٌ يتقطّعُ؟ ألمُسُ أحجارَكَ الناعماتِ
الثقالَ... وأُصغي إلى ضجّةٍ. أهيَ مفتاحُ كنزِكَ أم أنها الصّلصلةْ؟

*

تسيلُ الهُوَينى...
قروناً تسيلُ الهُوَينى...
وتمنح أهلَكَ خبزَ الضفافِ وقثّاءَها
والأغاني.
تسيلُ الهوينى...
قروناً تسيلُ الهوينى...
يمرُّ بك العابرون:
الجيوشُ، اللصوصُ ذوو الخُوَذِ، السائرونَ إلى حتفِهِم في الظلامِ... السماسرةُ،
السُّحُبُ الصيفُ، أوباشُنا، والقياصرةُ، الطامعونَ...
وأنتَ تسيلُ الهوينى

قروناً تسيلُ الهوينى....

وتمضي

كأنك لا تعرفُ المسألةْ.

لندن، ٦/٧/٢٠٠٦

المتاهة

أين أذهبُ في مهبِطِ الليلِ؟

قد هبَط الليلُ:

ليلٌ طويلٌ (وفيهِ امرؤ القيسِ)

ليلٌ عريضٌ (ونابغةٌ فيهِ)

ليلٌ / رصاصٌ / ثقيلٌ...

....

....

....

قليلٌ من الليلِ يكفي.

❊

إلى أينَ أذهبُ؟

في حانة القريةِ، الآنَ، يدعو الزبائنُ أشباهَهم

ويغَنُّونَ أغنيةً للمعسكرِ،

أو للنساءِ اللواتي انتهَينَ...

❊

استَرِحْ لحظةً

ولنُفَكِّرْ قليلاً: إلى أين تذهبُ؟

ثمّتَ، في أسفلِ التلِّ، تلمحُ ضوءَ المحطّةِ؛
إن القطاراتِ تَصْفِرُ
والضوءَ يَصْفَرُّ
والمطر النّزْر يرسُمُ لألاءهُ في الزجاجِ المُضاعَفِ...
ما أجملَ السفرَ!

*

الليلُ يجلسُ، كالمتسوِّلِ، يرفو ثياباً مبلّلةً
وقطاراً مضى منذ عشرينَ عاما!

....

....

....

إلى أين تذهبُ؟
في البُعدِ
بين الجذوع التي تتقطّر ماءً وعشباً
تلوحُ ضفافُ البحيرةِ...
إن البحيرةَ تُفضي إلى النهرِ
والنهرَ يفضي إلى البحرِ؛
ما أجملَ الرِّحلةَ!
السلّةُ الخُوصُ تدنو من القصبِ اللدْنِ
والسلّةُ الخوصُ تدنو
هي السلّةُ الخوصُ تدعو
تناديكَ...

ما أجملَ الرِّحلةَ!

....

....

....

السلّةُ الخوصُ... حقّاً

ولكنْ، أتحسَبُكَ الطفلَ؟

*

ثَمَّ سماءٌ سماويّةٌ

هي أبعدُ من جامعِ القيروانِ

ومن سورِ مُرّاكشِ اللانهايةِ

أبعدُ من زنجبارِ البهارِ

ومن كلِ شاطيء شرقيِّ إفريقيا

ومن مَرْكَبِ الهندِ...

إنْ شِئتَها جِئتَها،

ولكنّها، يا بُنَيَّ، العزيزةُ

مَن ليس يُنْكِرُها ليسَ يدخلُها...

فاتَّئِدْ

يا بُنَيّ!

واتَّئِدْ

يا بُنَيّ...

لندن، ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٥

القرصان والسلطان

القرصان فرانسس درَيكْ (١٥٤٢ ـ ١٥٩٦)

كان يُغِذُّ الإبحارَ حثيثاً في رحلةِ عودتهِ...
القرصانُ تمادى وتـمَدّدَ في غزوتهِ أكثرَ من عامَينِ
وهاهو ذا الآنَ يعودُ
إلى تلك المملكةِ المجبولةِ من ثلجٍ وضبابٍ
وإلى قريتهِ Tavistock
لكنّ سفينته مثقلةٌ بغنائمهِ
مثقلةٌ بالذهب الإسبانيّ، وبالفضّـةِ من بيرو
مثقلةٌ باللؤلؤ والأسرى
مثقلةٌ بالبحّـارةِ والضبّـاطِ الضّـجرينَ
ومثقلةٌ بمكائدهِ...
حتى لم يتبقَّ بها أكثرُ من برميلٍ للخمرِ
وأكثرُ من ١٠ براميلٍ للماء؛
القرصانُ فرانسس درَيك
يرسو عند جزيرة «باب الله» السلطانِ المسْـلِمِ:
بادِلْني بالفضةِ ماءً

بادِلْني بالتبرِ غذاءً

وكُن الليلةَ ضيفي...

قال له «بابُ الله» السلطانُ:

سأبادِلُ

لكنْ، كُنْ أنتَ الليلةَ ضيفي...

....

....

....

أقلعت السفنُ الموسوقةُ ماءً وغذاءً.

لم يصعدْ «بابُ اللهِ» إليها.

لم ينزلْ منها القرصان!

لندن، ١٦/ ٢/ ٢٠٠٦

أنا وصاحبي نؤلِّفُ نصّاً للغناء

أن تكونَ مع امرأةٍ في شتاءِ الشمال
وتكونا بغُرفةِ نُزْلٍ على شاطيء البحرِ
آنَ الستائرُ مسدلةٌ
والشواطيءُ مهجورةٌ...

*

ها!

ها!

ها!

هل أتاكَ المُغَنِّي الفرنسيُّ منذ البدايةِ؟
كم كنتُ حذرتُكَ اسمعْ (ولا تحفظ) الأغنيةْ!
فلْنُغَيِّرْ كثيراً من النصِّ:
أيُّ امرأةْ
سوف تفرحُ بالياسمين!

*

انتبِهْ!
بعد سطرٍ سيأتي نِزارٌ...

*

إذاً، خَلِّنا نمْضِ:
أيُّ امرأةْ
سوف تنزعُ عنها غلائلَها
وهي في نُزُلٍ مع مَن سوف يأخذها
كلَّ ليلٍ إلى موجةِ البحرِ...
....
....
....
أيُّ امرأةْ!

لندن، ٢٠٠٦/٦/١٣

الطبيـعـة

لا دوحةَ ميلادٍ في الساحةِ

كي يلتفّ الناسُ لدَيها ويدوروا في رقصةِ رأسِ السنةِ؛

الساقيةُ الإيرلنديةُ قالتْ لي:

«لندن ليستْ دَبلِـنَ».

حقاً لندنُ ليست دبلنَ، لكنّ الناسَ هنا ودُّوا أيضاً

لو داروا في رقصةِ رأسِ السنةِ...

الساحاتُ ـ وقد أمستْ تقفرُ والساعاتِ ـ

تـموءُ

السياراتُ تمـوءُ

الليلُ سينتصفُ...

الألعابُ الناريةُ تعلِـنُ عند النهرِ حلولَ العامِ

....

....

....

وفي تلك اللحظةِ

في تلك اللحظةِ بالضبطِ
انـهَـمَـرَ الـمطرُ!

*

الألعابُ الناريّةُ لم تعلِنْ عندَ النهرِ حلولَ العامِ
تماماً...

٢٠٠٦/١/١٦

ظهيـرةُ صيفٍ إفريقيّ

السماءُ

وأسماكُ بحرِ الشمالِ

مُلَوَّحةٌ بالمُلوحةِ...

كان الهواءُ الثقيلُ

يُدَلِّي كُرَيّاتِ مِلْحٍ عليالعشبِ،

كان اليمامُ الذي وردَ الماءَ عند البحيرةِ

مستنفدَ الصوتِ:

ياقوتتي

أنتِ أختي...

وياقوتتي

أين بِنتي؟

وياقوتتي

كيف أبْلغُ في الليلِ بيتي؟

*

السماءُ

وأسماكُ بحرِ الشمالِ

مُلَوَّحةٌ بالملوحةِ...

كانت صنوبرةُ الساحةِ
الأخضرَ المستحيلَ؛
العصافيرُ تهدأُ فيها
وتأوي إليها السناجيبُ
والنحلُ
تأوي إلى ظِلِّها الخيلُ...
يا جارتي
يا صنوبرةَ الساحةِ:
اتّرِكي لي، ولو لحظةً، هدأةً في الظلال...
*
السماءُ
وأسماكُ بحرِ الشمالِ
مُلَوَّحةٌ بالملوحةِ
لاشيءَ،
حتى فتاتي التي هجرتني تلاشت ملامحُها...
والكنيسةُ
تعلنُ في التلِّ أرباعَ ساعاتِها
كأنْ لم يكنْ في العروقِ الخفيّاتِ شيءٌ،
كأنّ الخليقةَ قد تبدأُ الآنَ....
إن الخليقةَ تبدأ
إنّ الخليقةْ...

لندن، ٣/ ٧/ ٢٠٠٦

الزانُ النحاسيّ(*)

سأكونُ، مثلكِ، شاهداً عدْلاً

سأذكرُ:

يعرفُ الزانُ النحاسيُّ، الحقيقةَ؛

أنه شجرٌ

وأن نحاسَهُ غيرُ النحاسِ،

وأنه شجرٌ، بهِ (لا حولهُ) أسماؤهُ الحسنَى

وأن الوصفَ، مهما طالَ، يَقْصُرُ عن بلوغِ النُّسْغِ.

....

....

....

كنتُ أقولُ لامرأةٍ

أبتْ أن ترتقي صدري، إلى رِعشاتِ ذِروتِها:

اطمئِني!

قد يكونُ القاعُ قِمّتَنا

كما كان المتاهُ سبيلَنا...

الأسماءُ ليستْ كالمسمّى؛

إنها ما قد نراه...

لندن، ١٦/٦/٢٠٠٦

(*) الزان النحاسيّ Copper beech شجر.

في عيد الميلاد

كم ساءلَتْني، مثلكِ، امرأةٌ:
هل استمتعتَ بالميلادِ؟ أينَ ذهبتَ؟ هلْ...؟
يا صوتيَ الآتي إليَّ، مُطوَّحاً، بردانَ، من طرفِ المدينةِ
أنتَ تسألني
(الحقيقةُ أنتِ)
هل لامستُ نجماً في نهارِ العيدِ؟
تِبْراً
أو لُباناً...
هل مررتُ ببيتِ نارٍ كي أُزَمزِمَ؟
هل بكيتُ بحائطِ المبغى لأدفعَ عنهُ أحجاراً ورَجّامينَ؟
هل أشرعتُ نافذتي ليدخلَها غناءُ السائرينَ إلى خنادقِهم؟
وهل...؟
يا صوتيَ الآتي إليَّ:
أقولُ، في الميلادِ كنتُ أسيرُ وحدي في الضواحي؛
استوقَفَتْني، ثَمَّ، عابرةٌ
وقالت لي: غريبٌ أنتَ؟
لا امرأةٌ، ولا ولَدٌ لديكَ... لتعرفَ الميلادَ عندهما...

فَكُـنْ عندي
تكُـنْ في بهجةِ الميلادِ
والأعيادِ...
كنْ عندي لتعرفَ أن مائدةَ الفقيرةِ خيرُ ما في الكونِ
كنْ عندي لتعرفَ أنّ ما يُدْعى الضـياعَ هو السبيلُ
وأنّ نجماً ليس يطلُعُ من فراشـي، مستحيـلُ.

لندن، ٤/ ١/ ٢٠٠٦

بعدَ أن انتهى الخريفُ الخامسُ

مِمّا أُسـمِّيهِ، أنا، الشُّرفةَ، أرهفتُ أناملي كي تلمُسَ الـريحَ.

الشتاءُ الواقفُ الآنَ تماماً عندَ صفصافِ البحيراتِ... اصطفاني شـاهداً. لم أَدْرِ

ما أفعلُ! في باطنِ كفِّـي نملةٌ تسعى... وفي البستان غطّى الورقُ الأحمرُ والبُنِّيُّ

والأصفرُ ما شكّـلهُ العشـبُ. غيومٌ لا تُرى صارت سـماءً. أينَ راحَ الطيرُ؟

هل عُرِّيتِ الدوحةُ كالمرأةِ في الحُلمِ؟ أأفراسُ الصِّـبا تعْدو؟ يلوحُ الماءُ

من بينِ جذوعِ الشجرِ. السنجابُ ذاكَ الدائبُ، الدهرَ، على قولِ: «صباح الخيرِ» لي، لم أرهُ.

ربّتَما أخْـلَدَ، كالثعلبِ مقروراً، إلى غرفته في دوحة البلّـوطِ. لم تأتِ التي قالت

ستأتي الساعةَ الرابعةَ ب.ظ، والبردُ الذي لم يكنِ البتّةَ برداً صار برداً. إنني أستحلبُ

القاتَ... أهذي مكّةٌ أَم يافعٌ؟ كان هديرُ السيلِ يأتي غامضاً في هَبّةٍ ساخنةٍ

للريح. لن آوي إلى معتصَمٍ أو نَشَزٍ في الأرضِ... إني ذاهبٌ في السيلِ. إني السيل.

لندن، ٢٠٠٥/١٠/٢٢

خـديـعـةٌ؟

أنا أسكنُ، حقّاً، في مأوىً لِكبارِ السـنِّ.
(لقد جاوزتُ السبعينَ)
ولكنّ مُقامي، يُقْـرأُ: Sheltered House
ليس تماماً ما كان يُسـَمّى «دار العَجَـزةْ...»
أعني أنيَ في منزلـةٍ بين المنزلـتَين!

*

عجيبٌ!!!

*

إنْ كان مقامُكَ هذا، فلماذا تخدعُنا؟
تكتبُ عن بيتٍ في الريفِ (كأنكَ من عائلةٍ مالكةٍ!)
وتداعبُ غفلتَنا إذ تحكي عن مَرْجٍ وحدائقَ
عن ثعلبٍ فجرٍ
وغزالٍ برِّيٍّ عبْرَ سياجٍ
وسناجيبَ
وتكتب عن شُرفاتٍ ونوافذَ
عن أشجارٍ غامضةٍ
وخيولٍ تقتطفُ الزعترَ عِلْفاً

وبُحيراتٍ يترقرقُ فيها سمكٌ ذهبيٌّ، وحَصاً
ومراعي أشَناتٍ، و... إلخ...

....

....

....

أنا أسكنُ، حقّاً، بين المرئيّ وما ليسَ يُرى.
أسكنُ في اللحظةِ
حيث الشيءُ سواهُ
وحيث المرأى لستُ أراهُ.

*

عجيبٌ!!!

*

هل لي أن أسألَكَ؟
الناسُ، جميعاً، من أدنى البصرةِ، حتى أقصى المغربِ
أدرى بكَ حتى منكَ...
إذاً، فِيمَ خديعتُهُمْ؟
ولماذا تمنح كلَّ نحاسٍ صدِءٍ لوناً ذهَباً؟

*

أنا أسكنُ، حقّاً، في ما لا يُسكَنُ أكثرَ من يومٍ...
وأنا ـ إنْ شئتَ الحقَّ ـ أغادِرُ ما أنا فيهِ، اللحظةَ تِلْوَ اللحظةِ.
أي أني أحملُ تربةَ هذي الأرضِ إلى أرضٍ أخرى
أرضٍ لا تخدعُنا؛

أرضٍ فيها ألوانُ مَجَرّاتٍ
وخيولٍ
وبحيراتٍ يترقرقُ فيها سمكٌ ذهبيٌّ...
يترقرقُ فيها الناس!

لندن، ٢٧/١١/٢٠٠٥

الشيوعيّ الأخير يذهب إلى البصرة

وقالتْ له: أسرفتَ!
كلّ مدينةٍ حللتَ بها أغفلتَ عن أهلِها الفكرةْ
كأنّ مدارَ الكوكبِ اختلَّ سيرُهُ
فلم يبقَ من ذاك المدارِ سوى البصرةْ!

ولكنني فكّرتُ...
إن صديقتي تقول صواباً؛
كيف أنسى ديارَها؛
حديقتَها، والشرفةَ؟
الصيفُ أرسلَ الرسائلَ.
والكرسيُّ ما زال يقصدُ البيانو.
الفتى الهنديُّ يلقي سلامَه سريعاً
وأعلى دوحةِ السّرْوِ حطَّ طائرٌ عجيبٌ...
أمِن فردوسِ ليزا أسافرُ؟
تعلّمتُ أن أحكي، فلستُ مكتِّماً هواجسَ ليلي الأربعينَ:
أنامُ في جناحَي غرابٍ.
والسعالي ضجيعتي.

ومن دميَ المسفوحِ لونُ الحوائطِ.

انتهيتُ إلى أن أرضعَ التيسَ. أن أرى تماسيحَ من قارٍ تغنّي. وأن أرى خيولاً عليها من عيونٍ حوافرُ.

وتسألني ليزا، وقد أطبقَ الدجى:

سمعتُكَ تهذي...

كنتُ أحسبُ أنني أهيمُ بوادي الجنّ!

هل كنتَ نائماً بوادي الذئابِ؟

الليلَ تختضُّ... ناضحاً شفيفَ دمٍ، مستنفدَ الصوتِ.

كأننا سنفعلُ شيئاً في الغداةِ. كأنني أراكَ إلى حيثُ انتويتَ تسافرُ!

القصةُ وما فيها، يا أصحابي، ويا رفاقي (لا أدري إن كنتم لاتزالون تستعملون كلمة «رفيق...» **لا يهمّ!)**

أن الشيوعيّ الأخير ذهب قاصداً البصرةَ

بعدَ أن ودّعَ حبيبتَه ليزا

التي أوصتْهُ ألاّ يدخل البصرةَ

بعدَ طولِ غيابٍ

إلاّ تحت الرايةِ الحمراء...

في البصرة راياتٌ سود

في البصرة راياتٌ بيض

في البصرةِ راياتٌ من نخلٍ ذي أعجازٍ خاويةٍ...

لكنْ في البصرةِ، أيضاً، وبلا أيّ كلامٍ
(أرجوكم!): رايات الملِكةْ
أعلى من كل الرايات!
(المقصود بالملكة هنا، إليزابث الثانية)، الأولى كانت
تموِّل القرصان فرانسسْ دْرَيكْ في القرن السادس عشر الميلادي (طبعاً)
وإليزابث الثانية هي ملكة انجلترة والبصرة وما جاورَها في القرن اتلحاديس والعشرين.

*

وهاهيَ ذي، إذاً...
أسطورةُ الراياتِ تتبعُ فُوّهاتٍ من بنادقِ أهلِها!
لكنني، وأنا الشيوعيّ الأخير، أظلُّ أحملُ رايتي الحمراءَ...
هل ضاعتْ بنادقُنا؟
نسيناها؟
اتّخذْنا غيرَها؟
أمْ أننا ضعنا وقد ضاعتْ بنادقُنا؟
سلاماً للنصيرةِ!
للنصيرِ!
لِفِتيةٍ رفعوا على القُنَنِ الغريبةِ والروابي
الرايةَ الحمراءَ.
سوف نعودُ للقمم!
الصباحُ الجهْمُ يطْلِقُ بوقَنا:

بوقُ القيامةِ نحنُ...

أحراراً

شيوعيينَ

نرفعُ رايةً مرْويّةً بدمٍ وأوحالٍ

وندخلُ أرضَنا...

....

....

....

سنكون أجملَ من نهايتِنا!

لندن، ٢٥/٥/٢٠٠٦

الشـيوعيّ الأخير يقرأ أشعاراً في كندا

ضاقت به الدنيا،

ولكنْ لم يَضِقْ، هذا الشيوعيُّ الأخيرُ، بها...

وكان يقول: للأشجارِ موعدُها، وإنْ طالَ الخريفُ سنينَ أو دهراً!

وكان يقول أيضاً: خمسَ مرّاتٍ تَلَوتُ الشِّعرَ في وطني، لأبتدِئ الرحيلَ...

وكانَ...

لكني سمعتُ بأنه قد كان في كندا

لأسبوعَينِ؛

ماذا كان يفعلُ؟

ليس في كندا، شيوعيون بالمعنى القديم،

وليس في فانكوفرَ امرأةٌ معيّنةٌ ليسبقَ ظِلَّها أنّى مضتْ...

بل ليس في «الروكي» نخيلٌ، كي يقولَ اشتقتُ للشجرِ المقدّسِ؛

قلتُ: خيرٌ أن أُسائلَ أصدقاءَ لهُ...

أجابوني: لقد كان الشيوعيُّ الأخيرُ، هنا، نقولُ الحقَّ... بل إنّا سهرنا ليلةً في مطعم معهُ. وقد

كنا نغَنّي، والنَّبيذُ القبرصيّ يشعشعُ الأقداحَ والوجَناتِ. ماذا؟ نحن في فانكوفـرَ الخضـراءِ

لا بغداد...

لكنّ الشيوعيّ الأخيرَ مضى!

إلى أينَ؟

اشترى، صبحاً، بطاقتَه، إلى عَبّارةٍ تمضي به، هُوناً، إلى جُزُرِ المحيطِ الهادئِ...

*

الأيامُ، في أيّامنا، عجَبٌ!

وأقرأُ في رسالته الأخيرةِ:

أيها المسجونُ في أوهامكَ السوداءِ، والكتبِ التي ليست بلون قميصِكَ!

اسمعْني... ولا تقطعْ عليَّ سرابَ أسفاري. لقد هبطتْ بيَ العَبّارةُ البيضاءُ

عند جزيرةٍ بالباسِفيكِ... أقولُ: فِكتوريا! فيندفعُ الشميمُ، وتخرجُ الخلجانُ

سابحةً. ستأتي عندنا الحيتانُ فجراً، أو أسُودُ البحرِ. لا تتعجّل الأنباءَ....

فِكتوريا هي الأمُّ العجيبةُ، جَدّةُ الهنديّ والملهوفِ، والأنثى المقدّسةُ. الطواطمُ

عندها حرسٌ، وروحُ الدبِّ. والأسماكُ هائلةً تَقافَزُ بينَ كفَّيها.

....

....

....

وماذا كنتُ أفعلُ في الجزيرةِ؟

أنت تعرفني. تماماً.

كنتُ، مثلَ نضالِ أمسِ، أُحَرِّضُ الطلاّبَ...

كيفَ؟

قرأتُ من أشعارِ سعدي يوسف...

البَحّار، صاروخ توماهوك، إعصار كاترينا، وقتلى في بلاد الرافدَينِ.

ولحيةُ القدّيس والْت وِيتمان. أشجار البحيرات العميقةِ. والبارات عندَ

إجازةِ الجنديّ. تبدو بغتةً عَوّامةٌ في النيلِ. يبدو النخلُ أزرقَ في البعيدِ.

النسوةُ الغرثى يَلُبْنَ. عُواؤنا؟ أمْ أنها تلك القطاراتُ التي تمضي إلى

ليلِ المَدافنِ في الصحارى... أيها الجنديّ دَعْ بلدي، ودعْني في الجحيم.

قرأتُ من أشعارِ سعدي يوسف...

الأمرُ الغريبُ: كأنّ هذا الشاعرَ الضِلّيلَ يعرفُني، ويعرفُ ما أريدُ....

كأنه أنا!

لستُ أفهمُ ما أقول...

لندن، ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٦

أغنيةُ صيّادِ السّمَك

كُتِبَتْ قصائدُ الديوانِ بين الثاني عشر من تشرين ثان ٢٠٠٦
والأول من أيلول ٢٠٠٧ في لندن ونيويورك

هِـجـرانٌ

اهدأ الآنَ...
عطلةُ أسبوعِكَ ابتدأتْ،
أمْ تُراها انتهتْ؟
فالفتاةُ التي أنتَ أدرى بما في سراويلِها،
قرّرتْ، دونما نزَقٍ، أن تغادرَكَ...
اختطفتْ شالَها الصوفَ
والهاتفَ «الفودافونَ» الذي طالما صوّرتْكَ بهِ
في مقاهي الشمالِ، وليلِ الفنادقِ،
ـ كانت حقيبتُها الخَيشُ خارجَ غرفةِ نومِكَ ـ
ثمّ اختفتْ تهبطُ السلّمَ الأخضرَ...
انطبَقَ البابُ؛
فاهدأْ قليلاً
ولا ترتبكْ...
لا تقُلْ إن عطلةَ أسبوعِك
التحقتْ بالعراقِ وإنْ كنتَ في لندنٍ؛
لا تقُلْ للفتاةِ التي غادرَتْكَ: الوداع
(المغادِرُ ليسَ المُهاجِرَ)

فاهدأْ...

وأنصِتْ إلى دوحةِ الجوزِ في مَوْهِنِ الليلِ...

أنصِتْ

أتسمعُ تلكَ التهاليلَ؟

ذاكَ المغَنّي الذي يصلُ النجمَ بالنجمِ؟

تلكَ الرياحَ الخفيفةَ؟

قُمْ وافتح البابَ...

قُلْ: مرحباً!

وانتظِرْ مَن يجيءُ؛

انتظرْ مَن تجيءْ...

لندن، ١٢/١١/٢٠٠٦

هديّـةٌ صباحيّة

لصبّاغي جزمةِ جورج بوش، وَلِيِّ النجفِ الذِّمِّيّ
و لأحفادِ لصوصِ الحربِ
وأبناءِ الإقطاعيينَ العربِ الأغرابِ؛
لِمافيا التهريبِ
وزهرةِ لورداتِ الحربِ
وأبناءِ الإقطاعيينَ الكُرْدِ الأغرابِ؛
لرجالِ الدين المُخْتَرَمين،
ولخرِّيجي كلّياتِ الجاسوسيةِ في واشنطنَ
أو لندنَ
أو بودابستَ...
لأحزابٍ تشربُ نفطاً أخضرَ
للكتّابِ المأجورينَ بدولارٍ للصفحةِ
للوزراءِ الأوباشِ
لزبانية التزويرِ، ونجّاري كرسيّ النائبِ
للنسوةِ ممّنْ أدْمَنَّ معاشرةَ النسوةِ أو ضبّاطِ المارينز
لِحُسينيّاتِ الطلقةِ، واحدةً، بمؤخّرةِ الرأس،
لمساجدِ قطْعِ الرأسِ...

لكُمْ

لي

للناسِ جميعاً في كوكبنا الأرضيّ؛

أقولُ:

ليأخُذْ كلٌّ منكم، هذا الصُّبحَ، هديّتَهُ...

رأساً، في طبَقٍ مضفورٍ من حيّاتِ جهنّمَ.

*

أيُّ عراقٍ هذا؟

أيُّ عراقٍ جاءَ بهِ السُّفَهاءُ الخَوَنـةْ

ورجالُ الدين المُخْتَرَمون؟

أيُّ عراقٍ جاءَ بهِ أردأُ مَن سكَنَ البيتَ الأبيضَ؟

أيُّ عراقٍ يخذلُهُ، في الغابةِ، حتى الله!

لندن، ٦/١١/٢٠٠٦

... في البحر الكاريبيّ، في يومٍ ما

في البحر الكاريبيّ...
بين جامايكا، وهاييتي، وبَربادوسَ،
وفي قَمْرةِ قُرصانِ الملِكِ
الْتَمَّ ثلاثةُ أوباشٍ:
أوّلُهم ـ قرصانُ الملِكِ الإسباني فيليب الثاني
(أميرالٌ في الأسطول الملكيّ)
ثانيهم ـ قرصانُ إليزابَث الأولى، فرانسِسْ دْرَيك
ثالثُهم ـ قرصانٌ أبحرَ من مرسيليا... ذئبَ بِحارٍ حرّاً؛
....
....
....
بَسَطَ الأميرالُ خرائطَهُ
(عبدٌ أسودُ في بدْلةِ ليلٍ بيضاءَ موشّاةٍ ذهباً أبعَدَ أقداحَ الخمرِ)
قالَ الأميرالُ: البحرُ الكاريبيّ بُحَيرتُنا،
ذهباً
وعبيداً
وثماراً...

لكنّ سفائننا، أحياناً تتصادمُ.
ليست كلُ رياحِ الكاريبيّ مواتيةً،
ولا كلُّ قباطنةِ
السفُنِ اللائي تُبحرُ عبرَ موانيءِ هذا البحرِ مسيحيينَ تُقاةً.
أنتم ملاّحونَ
كما أنا ملاّحٌ.
فلْنتفاهَمْ!
أوَ ليس الخيرُ لنا أن نتقاسمَ؟
أعني: هل يمكنُ أن
نقتسمَ البحرَ؟
لفيليبَ الثُّلثُ.
لإليزابَثَ ثُلْثٌ.
والثلثُ الباقي لحُثالةِ أوروبا...

*

قال له فْرانسِسْ دْرَيك:
حسناً!
لكنْ كيف نسمِّي البحرَ ثلاثةَ أسماءٍ؟
كيفَ يَبِيْنُ مُكلأٌ هذا، ومُكَلأٌ ذاكَ؟
ومَن سوف يُهيِّيءُ للبحّارةِ خمراً ونساءً؟
مَن سيُمَسِّدُنا، ويُقَبِّلُ أرجُلَنا قَبْلَ
الأيدي؟
مَن سوف يُجَنِّدُ حمّالينَ ونخّاسينَ لنا؟

هل سنُسمِّي الأقسـام؟

*

كان الأميرالُ أعَدَّ لكل سؤالٍ عِدّتَه.

قالَ: القسمُ الأولُ سوف يسمّى كُورديولان،

أي مِن كُوردِيالِتِي Cordiality

والقسمُ الثاني سيُسَمّى سنِيستان،

أي مِن .Sun & Stance وقفة الشمس.

أمّا القسمُ الثالثُ فالأفضلُ أن يدْعى شيئِستان،

أي مِن Shy & Stance

والمعنى: وقفةُ الخجل.

(التأويلُ باللغة العربية من المخطوطِ الأصلِ قام به، مشكوراً، الشاعرُ

العراقيّ المقيمُ في لندن، سعدي يوسف).

*

أخرجَ أوّلُهم خاتمَهُ.

أخرجَ ثانيهم خاتمَه.

أخرجَ ثالثُهم خاتمَهُ.

خُتِمَ الأمرُ:

لقد قسموا البحرَ ثلاثةَ أقسامٍ.

والعبدُ الأسودُ في بدلتِه البيضاءِ الذهبيةِ عاد ليملأ أقداحاً ذهباً...

*

كان الليلُ الكاريبيُّ مليئاً بالأقمارِ

وبالأسماكِ الفضّةِ

والقيثاراتِ

وكانت قَمْرةُ قرصانِ فيليب الثاني الخضراءُ متعتَعةً.

*

نامَ ثلاثتُهم في الفجرِ...

*

لم يعرفْ حتى البحّارةُ كيف جرى الأمرُ...

البحرُ الكاريبيُّ تلاشى مثل سرابٍ،

وسفينتُهمُ تتقلّبُ، سادرةً، هائجةً، نحو مثلّث برمودا...

لندن، ٢٠٠٦/١٠/٩

وقــتٌ ثقيــلٌ

كلُ شيءٍ يهدأُ الآنَ
أغاني الجازِ في المذياعِ
والأشجارُ في الدّغْلِ القريبِ
السَّمـَكُ الفضّةُ في القاعِ،
وتـلك المرأةُ / القطّةُ في الهــاتفِ...
هل يأتي مساءُ الأحدِ الباهتُ، والهاديءُ حتى الموتِ، بالبوقِ؟
هل القرميدُ في السقفِ، هو الصّنجُ الذي ينتظرُ الضربةَ؟
أَمْ أنّ نسيجَ العنكبوتِ المَرْسُ والمرسى؟
هواءٌ ناشفٌ يدخلُ بين البابِ والممشى
ومن لاجهةٍ يَخفُقُ طيرٌ...
نغمةٌ واحدةٌ تهبطُ.
نجمٌ واحدٌ.

لندن، ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٦

شـهادةُ جنسيّـةٍ

في العراق، يتعيّن على الفردِ، كي
يُثْبِتَ انتسابَه إلى بلدِهِ،
استصدارُ وثيقتينِ: الأولى تدعى
الجنسية، وتتضمّن معلوماتٍ
عن مكان الولادةِ وتاريخِها... إلخ.
أمّا الثانية فتُدْعى شـهادة
الجنسية، وهي لازمةٌ للقبول في الجامعة،
والوظيف العمومي،
والانتساب إلى الجيش والشرطة والأمن،
وتتضمّن معلوماتٍ عن
أصل العائلة، وعمّا إذا كانت من التبعية
العثمانية أو الإيرانية.

عربيٌّ من العراقِ...

أنا: البصرةُ، بـيتي ونخلتي. وأنا النهـرُ الذي سُـمِّيَ باسمي
ورملةُ اللهِ دربي وخيمتي. الأَثَـلُ الشاحبُ سـقفي وملعبي،
وخليجُ اللآليءِ ـ الوعدِ لي. والبحرُ لي. والسماءُ دوماً سمائي.

عربيٌّ من العراقِ...

أنا: البصرةُ، بـيتي ونخلتي. وأنا النهـرُ الذي سُمِّيَ باسمي
ورملةُ اللهِ دربي وخيمتي. الأثَلُ الشاحبُ سـقفي وملعبي،
وخليجُ اللآليءِ ـ الوعدِ لي. والبحرُ لي. والسماءُ دوماً سمائي.

❋

عربيٌّ من العراقِ...

أنا: الكوفةُ، ما خُطَّ في العــروبةِ خَطٌّ قبلَها. والعواصمُ
الألفُ
ما كانت سوى من كِنانتِها. بيتُ عليٍّ، والمسـجدُ الجامعُ،
والنهرُ. هل تخَطَّينا الكتابةَ؟ الحرفُ كوفيٌّ، وقرآنُنا وصيٌّ عليها.

❋

عربيٌّ من العراقِ...

أنا: المَوصلُ، خيلٌ وخُضرةٌ. كان سيفُ الدولةِ الأميرَ، وكانت
حلبٌ
أُختَها. السفائنُ في النهرِ. المُغَنّونَ في الضفافِ. هنا صاحبُ البريد
أِبو تمّامٍ. المرمرُ الصقيلُ هي الموصلُ، والأهلُ، والنضالُ الطويلُ.

❋

عربيٌّ من العراقِ...

أنا: هذا الفراتُ، الذي يوحِّدُ أهلاً، وبلاداً، وأُمّةً. كلُّ كفٍّ

من مائهِ
موعدٌ في جنّةِ الخُلْدِ. يا صبايا الفراتِ، صبراً! لكُنَّ النهرُ
والفخرُ...
سوف يأتي زمانٌ للتهاليلِ. نحن نُقْسِمُ بالنهرِ، وباللهِ، والسوادِ
الأصيلِ.
*

عربيٌّ من العراقِ...
أنا: بغدادُ، موصوفةً بما ليس في الوصفِ. الكتابُ العصيُّ. والجنّةُ.
الدربُ المؤدِّي إلى الدروبِ. أتاها كلَّ عصرٍ برابرةٌ. لكنّها أحكمتِ
الأنشوطةَ.
العزيزةُ بغدادُ.
والأسيرةُ بغدادُ،
والأميرةُ بغدادُ...
والجدارُ الأخيرُ.

لندن، ٢٠/٩/٢٠٠٦

رياح الأطلسيّ

تأتي رياحُ الأطلسيّ وقد جلبْنَ الماءَ
محمولاً بآلافِ الصهاريجِ التي صُبِغَتْ بلونِ الغيمِ...
ثمّتَ سِربُ طيرٍ جاءَ من إفريقيا
ومصائدٌ للأرنبِ البرّيِّ؛
ثمّتَ غفلةٌ،
وسعادةٌ ليستْ تبِيْنُ
ومَوطِيءٌ في مَسْلَكِ الأحراشِ للسّارينَ في الليلِ...
الرياحُ وئيدةٌ
حتى كأنّ الغيمَ يَثْقُلُ فوقَ داري
ثم يدخلُ في الحديقةِ...
كانت الأزهارُ (جيرانيوم) تلمُسهُ، وتشربُ ماءَه العذْبَ،
العناكبُ لا تزال تُقِيمُ، واثقةً، مصائدَها
وتَكْمُنُ...
والرياحُ وئيدةٌ
ماذا سيَحْدُثُ لو أخذتُ عصايَ، بعد دقيقةٍ،
وهجرتُ ما أنا فيهِ
منطلقاً إلى ما لستُ أدري؟

كلُ ما في الكونِ يرتحلُ:
الكواكبُ، والأفاعي، والثعالبُ، والضفادعُ، والزرازيرُ
الذئابُ، ودودةُ الأرضِ، الخنافسُ، والجذورُ، وزهـرةُ
الخشخاشِ، والموتى، وأوراقُ الخريفِ، وبذرةُ الـتفّاحِ
إني الآنَ أخطو خطوتي الأولى
الرياحُ وئيدةٌ
وعصاي تمضي بي إلى ما لستُ أدري...

لندن، ٢٠٠٦/٩/٣٠

الجحيم

تجلسُ امرأةٌ في المسافةِ ما بين مطبخِها الأمريكيّ
والكهفِ حيثُ السريرُ الذي قُدَّ من خشبِ الوردِ.
تجلسُ دُمْيةُ قُطنٍ على مقعدِ المَدرسةْ.
يجلسُ الكاتبُ المشترى في حذاءِ المحاسِبِ.
يجلسُ كلبُ الأميرةِ مستمتعاً بالطنين الذي يتدفّقُ من شاشةِ التلفزيونِ.
يجلسُ جنديٌّ روما على الرمحِ في ساحةٍ.
يجلسُ القردُ، وهو يَلُوْثُ العمامةَ، في مَعْبدٍ.
يجلسُ العاطلون عن العملِ، الآنَ، في مَرْكَبٍ للعبيدِ...
وفي البحرِ يخْفت ضوءُ المناراتِ.
يجلسُ طيرُ الفينيقِ على السيخِ في حفلةٍ للشواءِ المغوليِّ.
تجلسُ سيِّدةُ الهورِ
في طلْعِ بُرْديّةٍ يابسةْ...
يجلسُ الماءُ، محتدِماً، في هشيمِ القصبْ...

لندن، ١١/٨/٢٠٠٦

في أصيلٍ غائمٍ

يَسّاقَطُ دَوحُ البلّوطِ ثماراً ناشفةً
لامعةً
مثلَ رصاصِ مسدّسِ ماغنوم...
العشبُ طريٌّ
وعلى المسْربِ آثارُ خيولٍ متخَمةٍ،
والأشجارُ اللائي صرنَ سفائنَ في بحريّةِ هنري الخامسِ(*)
خلّفْنَ بناتٍ يَحْفُفْنَ بيَ الآنَ:
كاثدرائياتٍ
وخياماً هائلةً لبرابرةٍ يشوونَ خنازيرَ البرِّ، سكارى
ومجرّاتٍ خُضراً...
....
....
....
كنتُ على مفترَقٍ لثلاثِ دروبٍ؛

(*) هنري الخامس: ملك انجلترا بين ١٤١٣ ـ ١٤٢٢، قطع غابات انجلترا ليبني اسطوله. مات الأولى: تأخذني نحو البحرِ.

بحمّى المعسكرات.

الثانيةُ: اتّجهتْ نحو الجبلِ.

الثالثةُ: انطمستْ أيُّ علاماتٍ فيها...

....

....

....

قلتُ: «ليَ الثالثةُ المطموسةُ...»

*

نهرٌ يتدفّقُ فوق الأشجارِ

عموديّاً

فتَئِنُّ الأشجارُ

وتنقصفُ الأشجارُ

وتنتشرُ الأشجارُ على الدربِ الريفيّةِ

عائمةً في موجٍ من بَرَدٍ منحدرٍ،

كان الرعدُ يدمدمُ

والبرقُ الصاعقُ يحملُ كلَّ الغابةِ في مشعلِهِ...

ثمّتَ كوخُ الحطّابينَ

يكاد يطيرُ مع الأغصانِ المتدافعةِ،

الريحُ غدتْ جسداً من ماءٍ ولحاءٍ

مكنسةً تجرفُ هذا المشهدَ

نحوَ الوديانِ المرسومةِ في كتبِ الطّوفانِ...

*

الكوخُ تلألأَ...
أدخلُ مرتبكاً
مرتعشاً؛
سوف أقيمُ هنا
في بيت العاصفةِ...
....
....
....
الكونُ تنَفّسَ في زاويةِ الكوخِ
الكونُ يسـير...

لندن، ١٦/٨/٢٠٠٦

نهر الدانوب

سيكون المساءُ مديداً على ضفةِ النهرِ...
مَن قال إنّا سنشعلُ نيراننا في رؤوسِ الجبالِ؟
القلاعُ صليبيّةٌ
من مَقالِعِ أرباضِ لِنْتس (Linz)
إلى القدسِ.
كان الملوكُ ورُهبانُهُم يسبقون المياهَ إلى حفلةِ القتلِ
حيثُ البلادُ البعيدةُ تطوي مآذنَها بانتظار البرابرةِ...
الشمسُ تلمع فوق الدروعِ
وفي تاجِ ريتشارد قلبِ الأَسدْ....
....
....
....
والمساءُ مديدٌ على ضفةِ النهرِ:
هل آنَ أن نستريحَ؟
الكرومُ مُعَرِّشةٌ، جوسقاً في الضفافِ
ومصطبةً في السفوحِ...
الكرومُ مُعَرِّشةٌ في النبيذ الجديدِ،

الكرومُ معرِّشةٌ في مقاهي القرى، وخدودِ البناتِ؛

❋

العشيّةَ كنّا ضيوفاً على ابنةِ مزرعةٍ للكرومِ...
أتاحتْ لنا غرفةً
في السماءِ التي شرعتْ تدلهِمُّ،
العشيةَ كنا لَصيقَي حرارةِ أوردةٍ أُتْرِعَتْ بالنبيذِ؛
السريرانِ نهرٌ يموجُ.

❋

ابتدأنا لكي نتّقي أننا بالغانِ النهايةَ.
كانت حقولُ العناقيدِ مثقلةً بالرطوبةِ والعسلِ،
الطيرُ، عند الصباحِ المبكِّرِ، سوف يفيق من السُّكْرِ
كي ينقرَ الخمرَ ثانيةً من عناقيدها...

❋

النهرُ يجري سريعاً،
ومثل الجيوش القديمةِ، يرتاح عند المَعابرِ، حيث القلاعُ
وأديِرةُ المتَرَهِّبةِ الضامرينَ؛
النهارُ لهُ
والمساءُ لِما في الأساطيرِ...
للغرفِ المتضوِّعِ تَنُّوبُها كالبَخورِ،
المساءُ لمَملكةٍ لا تدور عليها الدوائرُ...
مَملكةٍ من جذور.

لندن، ٢٠٠٦/٩/١٢

مسـرح دُمى Puppet Theater

الفتاةُ التي ستُغَنّي قصائدَها بلسانِ العصافيرِ
تصعدُ درْجاتِها الستَّ
عاقدةً، من حريرٍ رخيصٍ، ستارةَ مسرحِها
وهي تضحكُ...
ناولتُها طرَفَ الخيطِ. كانت تمازحُني: أنتَ تعبدُ ساقَيَّ!
أضحكُ...
في مدخل الخيمةِ، العلبةُ الخشبيةُ حيث العصافيرُ تنتظرُ الآنَ
لحظةَ ميلادِها من ركامِ مناقيرَ غـرثى
وأجنحةٍ متكسِّرةٍ، وغصونٍ ستُصبَغُ. في العلبة الخشبيةِ
تاجٌ من الورقِ المُذْهَبِ.
المَلِكُ الوغْدُ
ينتظرُ الإصبعَ. الشمسُ ترخي شآبيبَها.
والحديقةُ تصغي إلى النبضِ في صيحةِ الطفلِ. ها أنتذا
واقفٌ، حاجباً،
والمسَرّاتُ والأغنياتُ وشَرشَحةُ التاجِ تبدأُ في لحظةٍ.
والفتاةُ التي صعدتْ، تستريحُ.
سوف يأتي الصغارُ إلى العَرضِ...

لكنهم سيعودون منه إلى العالَمِ الفظِّ
حيث الملوكُ ملوكٌ
وحيثُ الفتاةُ التي تُنطِقُ الطيرَ تسكنُ بيتَ العراء...

لندن، ٢٠٠٦/٩/٢٤

مرحباً!

مرحباً!

كيف جئتَ إليّ؟

وكيف اهتديتَ إلى مَكْمَني (منزلي) في الضواحي القصيّةِ

حيثُ التلالُ التي تشبه الغيمَ، تُخفي المنازلَ والناسَ؟ حيثُ

البحيراتُ تُنْبِتُ أشجارَها وهي مقلوبةٌ في المساءِ المبَكِّرِ،

حيثُ الطيورُ تُحَدِّثُني (مثل ما في الأساطيرِ). حيثُ الأغاني

كلامْ...

مرحباً!

بَعُدَ العهدُ والودُّ. حتى المِهفّةُ من سعفةِ البيتِ

(تلك التي قد أتيتَ بها لتُصالِحني) فقدتْ في الطريقِ

الطويلِ الروائحَ والنقشَ. أرجوكَ ألاّ تحاولَ... لكنك الآنَ تَطرقُ

بابي. المساءُ هنا موحشٌ. والرياحُ من الأطلسيّ.

وما عادَ يملأُ هذي السماءَ الثقيلةَ

إلاّ الغمامْ...

مرحباً!

لا رياحينَ عنديَ أفرشُها في طريقِكَ. لا ناقةٌ لي ولا جَمَلٌ.

فادخُلِ الآنَ. أبوابُ بيتيَ مفتوحةٌ دائماً. ثمّتَ الخبزُ والماءُ

والدفءُ. لكنني أتوسَّـلُ: إنْ أنا أغمضتُ عينيَّ دَعْني...
ونَمْ أنتَ!
أرجوكَ، دعني وشأني، ولا تَدخل الحُلْمَ.
أرجوكَ
دعْني أنام...

لندن، ٦/١٠/١٠٠٦

بعد عاصفةٍ مطريّـةٍ

الآنَ غيومٌ بيضٌ، تعْبُرُ، هادئةً، تحتَ سماءٍ زرقاءَ.

وأشجارُ الزانِ مُعَرّاةٌ

والعشبُ الأخضرُ يَخْضَرُّ عميقاً...

والساحةُ تُقْفِرُ.

من أعلى السورِ الخشبِ انحدرَ السنجابُ

وحطَّ العصفورُ على السـورِ

الشمسُ تكادُ تَبِيْـنُ

وفي البُعدِ

ومن خلَلِ الأغصانِ العاريةِ التمعَ الماءُ

(بُحيرةُ صيّادي الأسماكِ)

الساحةُ ما زالت تُقْفِرُ

لم يأتِ العمّالُ إلى مشروعِ المبنى

(لا عطلةَ هذا اليومَ)

ولا خيطَ دخانٍ يعلو بين مداخنِ هذا الحيِّ.

انتصفَ اليومُ:

رعاةٌ مجهولونَ يجوسونَ الغاباتِ بلا سببٍ،
ويجيئونَ إلى الحانةِ ظُهراً،
بسراويلٍ لم يُحْكَمْ شَدُّ مَساحِبِها
ووجوهِ صغارٍ مرتبكينْ...

لندن، ٢٤/١١/٢٠٠٦

قصيدةٌ أخرى عن «باب سُليمان»

أ «بابَ سُلَيمانٍ» رأيتَ، أَم الرؤى مُشعشَعةٌ؟
أَمْ أنّ ما كانَ لم يكُنْ؟
تقولُ: رأيتُ الجسرَ...
كانت حمامةٌ تقولُ لأخرى: التّوتُ في الماءِ.
والجسرُ عابرٌ مع النهرِ.
والوَزُّ العراقيُّ عابرٌ.
أتلكَ سماءٌ أَمْ مرايا؟
أَلَم أكُنْ
ألوذُ بها إنْ ضاقت الأرضُ؟
أيُّها السبيلُ الذي يُسْمى، ويا أيّها الفتى
الغنيُّ بصُنّاراتهِ،
الخيطُ واهنٌ... أتعْقِدُهُ؟
هل تَبلغُ الفجرَ مرّةً
بـ «بابِ سُلَيمانٍ»؟
خفيفاً،
مُضَوّعاً بِطَلْعٍ،
ومحمولاً على الغيمِ.

ربّما ستأخذُ من حوريّةِ النهرِ خُصلةً.
وقد تنتهي في القاعِ.
ما أجملَ
الفتى، خفيفاً... خفيفاً، هابطاً في المياهِ،
لا يرى سوى خُصلةِ الحوريّةِ.
الماءُ دافيءٌ
وثَمَّ غناءٌ...
لا ـ لَ ـ لا ـ لا
لَ ـ لا ـ لَ ـ لا...
و«بابُ سليمانٍ» هو الجسرُ
أولُ الندى
وآخِرُهُ
والسدْرةُ التي لها الثمارُ الفراديسُ...
المآبُ المقدّسُ...

لندن، ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٦

(*) باب سليمان: جسرٌ تاريخيّ في أبي الخصيب جنوبيّ البصرة، تعرّضَ مؤخراً إلى قصفٍ بالهاونات.

سأحاوِلُ ألاّ أقولَ شيئاً

كانت غيومُ الصُّبحِ باردةً، مخلخَلةً
وكان الماءُ يصعدُ من حشيشِ المَرْجِ نحوَ الغيمِ،
ثَمَّتَ ترتعي الخيلُ...
المَراكبُ في القناةِ
وفي المَراكبِ كان شايُ الصُّبحِ خيطاً من دخانٍ في المَداخنِ؛
لا طيورَ هُنا.
غرابٌ كان يَنقرُ، باحتدامٍ، جُثّةَ السنجابِ.
والورقُ الذي قد كانَ حتى أمسِ بُنِّيّاً على وجه الحديقةِ، صارَ يَسْوَدُّ.
النوافذُ رُقِّطَتْ بِنَثِيرِ بلّورٍ.
أيأتي الثلجُ؟
سوف يدورُ في دفءِ القناني
في جذورِ الكَرْمِ
والليلِ
النبيذُ...

لندن، ١١/١٢/٢٠٠٦

قصيدةٌ مبتلّةٌ

لثلاثةِ أيامٍ، وثلاثِ ليالٍ، ظلَّ المطرُ الصامتُ
يدخلُ في الجِلْدِ، ويسري في الدمِ،
حتى ابتلَّ إطارُ الألمنيومِ وأوشكتِ الصورةُ
ـ مجرىً جبليٌّ ـ أن تغرقَ. كان العشبُ يميلُ
ويَخفُقُ، كان يسيلُ. الغرفةُ باردةٌ. لا صوتَ
ولا امرأةٌ. والغرفةُ باردةٌ تَلتفُّ بزُرقتِها وتنامُ.
السجّادةُ تُنْبِتُ أزهارَ البوشْناقِ الواسعةَ. الضوءُ
الذّرِّيُّ يرشُّ على الأزهارِ غباراً ذهباً. تَسّاقَطُ
أوراقٌ بيضٌ من سقفِ الغرفةِ. والريحُ تدقُّ
على الشبّاكِ. المطرُ الصامتُ ينطقُ. ماءٌ في
المرآةِ، وماءٌ سِرّيٌّ في العينينْ.

لندن، ٩/ ١/ ٢٠٠٦

في المَهَبّ

ربما انقصفتْ دوحةُ الجوزِ في لحظةٍ...
ربّما انْهَدَّ سورُ البنايةِ
أو ربّما غرقَ المرْكبُ الضيِّقُ؛
القنواتُ التي طالَ ما أغرقَتْها طحالبُها، الصيفَ
تَعْبرُ، هذا الصباحَ، مَمَرَّ المُشاةِ...
الرياحُ من الأطلسيّ
الرياحُ شماليةٌ
والرياحُ جنوبيةٌ
والرياحُ لها أن تكونَ الرياحَ،
لها أن تُزعزعَ
أن تُفزِعَ...
....
....
....
النبتةُ المنزليةُ منسيّةٌ،
بينما تتخاطفُ ألسِنةُ البرقِ في دوحةِ الكستناءْ.

لندن، ١١/١/٢٠٠٧

الصـورةُ الفوتوغرافيّـةُ

صورتُكَ :
الخصلة فاحمةٌ، مُسْدَلةٌ فوقَ جبينِكَ
والعينانِ الواسعتانِ،
قميصُكَ ذاكَ المفتوحُ لِريحِ الصيفِ
وسروالُكَ غيرُ المَكْوِيّ...
وصورتُكَ :
الخُصلةُ ثلجٌ
والعينانِ هما الواسعتانِ،
لكنّ قميصَكَ لم يَعُد المفتوحَ
(قميصُكَ كَنْزةُ صوفٍ مغلقةٌ سوداءُ)
وسروالَكَ أمسى مَكْويّاً كالمسْطرةِ...
....
....
....
انتبِه الآنَ
ولا تُطْبِقْ جَفنَيكَ...
وصَوِّرْ نفسَكَ

صَوِّرْها
وتَصَوَّرْها
قبلَ مغيبِ الشمس!

لندن، ١٧/ ١/ ٢٠٠٧

الحديقةُ السرِّيّةُ

ثَمَّ طاولةٌ في الحديقةِ خضراءُ
طاولةٌ ثُبِّتَتْ بعمودٍ حديدٍ إلى الأرضِ،
طاولةٌ سَوَّرتْها الكراسِيُّ
واحتقرتْها الطيورُ...
الحديقةُ موقوفةٌ لِلّذينَ انتهَوا من غرامِ الحدائقِ،
موقوفةٌ لِلّذينَ استراحوا إلى الغُرُفاتِ الخَفِيّةِ
(حيثُ المشانقُ)
موقوفةٌ للعَماءِ...
الحديقةُ خضراءُ
ثَمَّتَ طاولةٌ في الحديقةِ خضراءُ
والشمسُ، مثل الكراسيّ، خضراءُ
والجالسون: وُجوهُهُمو المستديرةُ خضراءُ.
....
....
....
في بَغْتةٍ،
وبلا أن تُحِسَّ الوطاويطُ، أو دوحةُ الكستناءِ وسُكّانُها

هبّت العاصفةْ
رفعتْ كلَّ ما في الحديقةِ
بل كلَّ مَن في الحديقةِ
نحو المَزابلِ في آخرِ القريةِ...
....
....
....
الآنَ، تلهو السناجيبُ في الريحِ، مثلَ الطيور!

لندن، ١٨/ ١/ ٢٠٠٧

اللـقاءُ البـعيـدُ

الشتاءُ الذي كان ينْصِبُ خيمتَهُ الثلجَ
دانيةً في الحديقةِ...
هذا الشتاءُ الذي يوقِدُ الآنَ مصباحَهُ
باحثاً عن جليسٍ يُسامِرُهُ ـ
سوف يأتي إليّ...
سوف يسألُني عن مياهٍ تناءتْ
وأخرى تناهَتْ،
ويسألُني عن قميصٍ من الصوفِ كنتُ ارتديتُ
قميصٍ لبَحّارةِ الباسيفيكِ الشماليّ...
....
....
....
كان الشتاءُ يُمازِحُني:
كيف لا تُوقِدُ النارَ؟
كيفَ انتهيتَ إلى هذه الحالِ؟
أنتَ الذي كنتَ تمضي بنارِكَ حتى رؤوسِ الجبالِ...
اكتفَيتَ بأنْ تتلمّسَ نبضَكَ!

أو تخدعَ الكلماتِ، تقول لها: النارُ في الثلجِ
والثلجُ في النارِ...
أمسَيتَ لا تستحي...
أنتَ تحسَبُ ألعابَكَ اليدويّةَ تُغْنِي عن الوِقْفةِ الحَقِّ؟
يا صاحبي
وجليسَ الليالي الطويلاتِ
كُنْ لي رفيقاً...
ودَعْنا نَعُدْ نحو نارِ المتاريسِ
لن نعرفَ البرْدَ...
هل تتذكّرُ «قَصْرَ الشتاء»؟

لندن، ٢٩/١/٢٠٠٧

مَنْظرٌ ١

مطرٌ ضبابيٌّ،
وفي البُعْدِ: التلالُ خفيضةٌ
زرقاءُ،
والأشجارُ تفقدُ في المساءِ مَعالِمَ الأغصانِ
ثمّ تكونُ غيماً أزرقاً
فوقَ التلالِ...
الليلُ يأتي صامتاً، متخفِّياً تحت الضّبابِ الناضحِ،
القطُّ الوحيدُ يموءُ
والمطرُ الضبابيُّ استوى، في غفلةٍ، مطراً؛
....
....
....
ستنبثقُ البحيرةُ فجأةً
في الدّغْل!

لندن، ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٦

منظرٌ طبيعيٌّ ٢

حِبالُ السّراخِسِ
تلكَ التي تتسوّرُ بيتي، تَعَرّتْ طويلاً
وكادتْ تفارِقُ نُعْمى الجذوعِ
إلى مَلْعَبِ الريحِ...
بين الغصونِ المُعَرّاةِ ألَمَحُ ماءَ البحيرةِ يلمعُ مثلَ الرصاصِ
الكَشِيطِ،
البحيرةُ قانعةٌ
ومُقَنّعةٌ بالهدوءِ.
البحيرةُ ساكنةٌ
ومُسَكّنةٌ في أواخرِ هذا الشتاءِ الذي ضاقَ بالمطرِ الجَهْمِ ذي
القطراتِ
الكبيرةِ.
أفتحُ في الفجرِ نافذتي
(أنا أعني: أُزيحُ الستائرَ)
أنظرُ...
الكونُ أبيضُ
رَطْبٌ

ومنكمشٌ
باردٌ، وبعيدٌ...
كأنّ البحيرةَ لم تكنِ البتّةَ!
الكَفَنُ اللاحِبُ / الثوبُ أهْدَلَ/ هذا الضَّبابُ المُحِيطُ /
السفينةُ / غارُ القراصنةِ / الذئبُ أغبرَ / صوتُ الغريقِ /
الثعالبُ مسلوخةً / حَجَرُ الخنجرِ الأوّلِ / القطنُ في
منخرِ المَيْتِ/ فِطْرُ السُّمومِ / الحليبُ الذي خثّرتْهُ
الأفاعي / الدمُ المَحْضُ قبلَ احمرارٍ / جلود الثعابينِ
مَنزوعةَ اللونِ في الصّهَدِ / الورقُ الأوّلُ / السُّلُّ...
تلكَ البحيرةُ لم تكنِ البَتّةَ!
؟
؟
؟
الآنَ أفعلُ ما أفعلُ...
الآنَ أدفعُ سيّارتي، مسرعَ النّبضِ
مندفعاً
في الطريقِ الضَّباب...

لندن، ٢٠٠٧/١/٢١

منظرٌ طبيعيٌّ ٣

السقفُ الرمادُ
الممتدُّ طويلاً ومتخشباً فوق المبنى الذي هجره أهلُه منذ عامٍ
السقفُ الرمادُ
المصنوعُ من مادّةٍ سامّةٍ استغنى عنها البنّاؤون منذ أعوامٍ
السقفُ الرمادُ
الذي لا يأوي إليه الطيرُ
السقفُ الرمادُ
ذو المداخنِ النظيفة مثل هاوناتٍ خفيفةٍ في حربٍ سرّيّةٍ
السقفُ الرمادُ
ذو الألوانِ الغميقةِ المتدرجةِ في عتمتِها مع ساعات النهار والليل
السقفُ الرمادُ
الذي لا يستظلُّ به بشرٌ أو شيءٌ
السقفُ الرمادُ
يكمن مثل عنكبوتٍ خرافيٍّ ليمتصّ اللونَ من أعالي الشجر
السقفُ الرمادُ
يتوحّدُ والهشيمَ في أغنيةِ المطرِ الباردِ...

....

....

....

لا أحدَ هنا يقولُ: صباح الخير.

لندن، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٧

منظر طبيعيّ ٤

أرى خَللَ الرمادِ وميضَ نارٍ...
كأنّ سحابَ آذارٍ رخامُ المدافيءِ، والغروبَ الجمرُ. كان المساءُ
يُطِلُّ منسحباً قليلاً، ومنتظِراً...
أُحِبُّكِ!
أين أمضي؟
لقد هبطَ المساءُ الآنَ. طيرٌ وحيدٌ يختفي في كستناءِ الحصانِ
وفي البعيدِ أرى مياهَ البُحيرةِ كالرصاصِ...
أرى خيولاً تكادُ تغيبُ...
والغسقُ العميمُ استقَرَّ.
الليلُ أطبَقَ.
أين أمضي؟

لندن، ٩/ ٣/ ٢٠٠٧

منظرٌ غير طبيعيّ

هوائيُّ التلفزيونِ
وصحنُ استقبالِ العالَمِ والعِلْمِ
يُطِلاّنِ عليّ من الأعلى...
....
....
....
أنا في الغرفةِ
نافذتي واسعةٌ، والأستارُ تشِفُّ.
المطرُ الناعمُ، غيرُ المَرئيّ، يُبَدِّلُ ألوانَ القرميدِ ونبْتِ البيتِ
وأوراقِ الماغنوليا اللامعةِ،
المطرُ الناعمُ، مثل هوائيّ التلفزيونِ
يُطِلُّ عليّ من الأعلى...
ويحاولُ أن يجعلَني فرداً في مملكةٍ لعناصرَ لا أفهمُها...
....
....
....
أنا في الغرفةِ

أوراقي نائمةٌ، والجفنُ يرِفُّ.
هوائيُّ التلفزيونِ
سيأخذُ أهلَ الحَيّ جميعاً، وبلا مزمارٍ، نحو قرارِ النهرِ،
*
ولكني في الغرفةِ
أوراقي تتنفّسُ، والزانُ المتطامنُ في البستانِ يَرِفّ...

لندن، ٣/ ٤/ ٢٠٠٧

محاولة نظرٍ

كلما لاحتْ من البُعدِ البحيراتُ
رأيتُ الماءَ مخْضَرّاً، ومُزْرَقّاً،
رصاصاً مرّةً، أُخرى حليباً
واستلمتُ الصُّبحَ في صُرّةِ أوراقٍ
كلما لاحتْ من البُعدِ البحيراتُ
رأيتُ الماءَ مخْضَرّاً، ومُزْرَقّاً،
رصاصاً مرّةً، أُخرى حليباً
واستلمتُ الصُّبحَ في صُرّةِ أوراقٍ
وفي خيطِ لِحاءٍ يربطُ النافذةَ البيضاءَ بالماءِ البعيدِ.
الشمسُ قد تنتظرُ
السنجابُ قد ينتظرُ
اللحظةُ قد تنتظرُ...
المرأةُ
والثعلبُ
لكنّ افترارَ الماءِ في تلك البحيراتِ التي تلمعُ
لا ينتظرُ...
الماءُ في الشمسِ

وهذي الشمسُ في الماءِ
وآلافُ الخيوطِ ابتدأتْ تَغْزِلُ للماءِ ثياباً...
لم أَعُدْ أعرفُ لونَ الماءِ.
مَن يعرفُ لونَ الماءِ غيرَ الماءِ؟
مَن يعرفُ، حقّاً، أن يُسَمِّيْ؟

لندن، ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٧

القاهرة ١

لم يَدُرْ في خاطرِ القاهرةِ الليلُ الذي نعرفُهُ...
إنّ سماءً أُثقِلَتْ بالنَّفَسِ الساخنِ آناءَ النهارِ
استسلمتْ لِلّيلِ كي تنسى قليلاً وطأةَ الأرضِ،
وكي تشربَ نوراً مُسْكِراً يحملُنا حتى الصباحِ الباردِ...
القاهرةُ
البيتُ الذي لم ينقسمْ بيتَينِ
والغصنُ الذي لم ينقصِفْ فَرعَينِ
والعَينُ التي تَنْعَمُ في بحبوحةِ الجَفنَينِ...
والقاهرةُ
المعنى الذي ظلَّ يُطِلُّ:
الوردُ والمِسْكُ
وغصنُ البانِ والشوكُ...
وتلكَ النعمةُ السابغةُ:
البسمةُ والنيلُ!
....
....
....

ونأتي القاهرةْ
مثلَ ما نأتي إلى جَدَّتِنا بعد طوافٍ خائبٍ
أيتُها الجَدّةُ:
كم أرهَقَنا العالَمُ!
يا أيتها الجَدّةُ:
ضُمِّينا إلى أحفادِكِ المنتظِرين...

لندن، ٢٠٠٧/٢/٢٧

القاهرة ٢

ربما شاغلتْنا الجسورُ التي حملتْ عرباتِ الملوكِ عن النهرِ. أعمقَ كالرملِ ينسربُ النهرُ، يبلغُ واحاتِ مصرَ البعيدةَ، حيث التواريخُ مكتوبةٌ باللغاتِ التي تتناسى تواريخَها. النهرُ يدخلُ في وجنةِ الطفلِ طَمْياً وخِصباً،

ويدخلُ في نَهدَي البنتِ. يدخلُ من عتْبةِ البيتِ. مصرُ المعابدِ حيثُ التماسيحُ آلهةٌ

والملوكُ ينامون في الغُرَفِ المُذْهَباتِ وفي مَرْكَبِ الشمسِ. مصرُ التي لم تجدْ ما تُسَمّى بهِ غيرَ مصرَ. انتبذْنا من الليلِ رُكناً قريباً من البحرِ.

كانت تماثيلُ من مرمرٍ غابرٍ تتراءى وترحل في الموجِ. كانت شفاهٌ تسيلْ.

لندن، ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٧

القاهرة ٣

حانة ستيلاّ
لم تكن حانةً.
ربما قبل قرنينِ كانت.
ورُبّتَما وُجِدَتْ قبلَ أنْ تُعصَرَ الخمرُ.
أعني كأن موائدَها
رُكِّبَتْ من ضلوعِ سفائنَ غارقةٍ من زمانِ البطالسةِ.
الضوءُ يدخل كالمتردِّدِ.
لا شمسَ
في مصرَ.
كان الزجاجُ القديمُ ثخيناً بفعلِ الترابِ الثخينِ.
الزوايا محدّدةٌ لذويها.
زوايا
السجونِ التي تتعتّقُ فيها الجواربُ.
ماذا؟
القبارصةُ ارتحلوا منذ قرنٍ،
ولكنهم يسكنون
القناني التي احتفظت باسمِهِم:

إنه القبرصيُّ. الشرابُ الذي يترنّحُ بين العَمى والبروقِ.
ولكنها الحانةُ
الحانةُ الحقُّ...
فيها انتظرْنا الزمانَ الجديدَ،
وفيها شهِدنا معاركَنا،
والقصائدَ تولَدُ مُشْرَبةً بالتمرُّدِ.
كنّا إذا ما ترنّحَ منتصفُ الليلِ، نرفعُ سقفَ الأغاني.
سيأتي إلينا المُغَنّونَ من كل فَج
عميقٍ.
ويأتي إلينا السقاةُ وقد أصبحوا الشاربِينَ.
بلادٌ مؤقّتةٌ بين منتصفِ الليلِ والصبحِ.
لا بارَ في الحانةِ.
البارُ يشبهُ أولى المتاريسِ.
حصنٌ حصينٌ له حارسٌ واحدٌ.
لن يمرَّ الهواةُ...
إذاً، فلنكنْ مثلَ من دخلوا حانةً.
ولنكنْ مثلَ مَن لم يرَوا حانةً.
نحن في البرزخِ.
الصبحُ جاءْ.

لندن، ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٧

القاهرة ٤

مقهى البستان

لا أعرفُ مَن سمّى هذا المقهى، «البستانَ»

و لا أدري سبباً...

أعرفُ أن المقهى يحتلُّ تقاطُعَ دربَينِ ذَوَي وِرشاتٍ للميكانيك

وأكشاكٍ تَعرِضُ أضغاثاً متناثرةً بين السجّاد وأجهزةِ الهاتفِ

والخبزِ البلديّ،

وأعرفُ أن الفحمَ هو اللونُ هنا في هذي الزاوية الدكناءِ من العالَمِ...

أعرفُ هذا، وأُسائِلُ نفسي: مَن سمّى البلقعَ بستاناً؟

مَن جاءَ بما يفترضُ البستانُ: زهوراً، شجراً، وطيوراً، وإلخ...؟

الأشياءُ هنا متداعيةٌ

حتى لم يَعُد المرءُ ليأمنَ كرسيّاً

والشايُ هنا أسودُ كالفحمِ

إذاً أين البستانُ؟

....

....

....

أقولُ لكم: إن «البستان» هو الحُلمُ الأوّلُ بالبستان!

لندن، ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٧

القاهـرة ٥

ستكونُ لي بيتاً...

تلُفُّ رداءَها القطنَ المهفهفَ حولَ أضلاعي الرميمِ:

ألم تجيءْ لتنامَ؟

كم طوّفتَ في الآفاقِ حتى لم تَعُدْ تدري بأيّ سقيفةٍ انتَ!

البلادُ وسيعةٌ أبداً

وضيّقةٌ...

وأنتَ تدورُ

كالخذروفِ أنتَ تدورُ

ترمي حبْلَكَ امرأةٌ إلى امرأةٍ إلى امرأةٍ

وأنتَ تدورُ...

فلْتهدأْ!

أَقِمْ حيثُ النواقيسُ الغريقةُ في مياه النهرِ

حيثُ الصبحُ شمسٌ

حيثُ اللوتُسُ الأبديُّ تمضَغُهُ الجواميسُ؛

اقترِبْ مني...

ولا تجفَلْ
ألم تشعرْ بأن ردائيَ القطنَ المهفهَفَ حولَكَ؟
الأبقارُ في الوادي
وأنت على جلاجلِها تنام...

لندن، ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٧

القاهرة ٧

النادي اليوناني
في حمّامِ النادي تسمع موسيقى اليونانيينَ
وفي الصالةِ تسمعُ أغنيةَ المصريينَ...
وفي الصالة تنعقدُ الأبخرةُ:
الأنفاسُ
دخانُ سجائرَ
سيجارٌ كوبيٌّ
حتى لكأنّ الدنيا تطفو في الغيمةِ... أولَ أيامِ الخَلْقِ.
وفي الصالةِ دمدمةٌ
في الصالةِ غمغمةٌ
في الصالةِ همهمةٌ
في الصالةِ لا تسمعُ حتى صوتَكَ...
في الصالةِ تنسى أنك في الصالةِ
تنسى أنكَ في النادي اليونانيّ!

لندن، ١/ ٣/ ٢٠٠٧

القاهرة ٦

«الدرب الأصفر»
حجرٌ قديمٌ يرتدي أبهى ملابسِهِ.
المساءُ يجيءُ مرتطِماً بأبخرةٍ، ومرشوشاً على الدربِ،
المقاهي في الرصيفِ
وأهلُها في الشارع:
التَّبغُ المعسّلُ. شايُها. والفولُ أخضرَ يُثْقِلُ العرباتِ
تنتظرُ البناتُ الليلَ كي يُبْدِينَ ما يُخْفِينَ...
أطلبُ قهوةً سوداءَ.
يسألُني فتى المقهى:
أظُنُّكَ لستَ من مصرَ؟
الكلامُ يطولُ...
أطلبُ قهوةً أخرى، وأُصغي للفتى.
كان المساءُ يُقِيْمُ حفلتَه التي لن تنتهي إلاّ مع الصّبحِ.
الأغاني سوف تبدأُ...
ربّما من سَحْبةٍ تُفْضي إلى دربٍ عجيبٍ...
قد يكون هناكَ
خلفَ ستارةِ المقهى!

لندن، ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٧

عند شاطيء البحيرة

سأمضي في المساءِ إلى غصونِ البحيراتِ التي عَرِيَتْ، لَعَلِّي أرى
بين
الغصونِ
الريشَ... حتماً سَيُبقي الطيرُ لي خيطاً رهيفاً ألوذُ بهِ إذا التاثَتْ
دَوانٍ علَيَّ، فلم
أجِدْ إلاّ حفيفاً أكادُ لهُ أُجَنُّ... أليسَ عندي سوى هذا الحفيفِ؟ أكانَ
حُلْماً إذاً
ذاكَ السبيلُ؟ أكانَ وهماً؟ أَمِ الصَّقرُ الفَتِيُّ نأى بعيداً وخلَّفَ
لي بقايا الريشِ ذَرْقاً
ونَفْنَفةً؟ أُحِسُّ الريحَ تدنو وتلمُسُ جبهتي: هدَأَ المساءُ الخَفِيُّ
... اهدأْ! لَعَلّكَ
سوفَ تلقى عميقاً في مياهِ الليلِ صقراً يَرِفُّ! اهدأْ! وضَعْ تحتَ
القميصِ
الأناملَ...
هل تُحِسُّ رفيفَ صقرٍ؟

لندن، ٧/ ٣/ ٢٠٠٧

سعـادةٌ

سعيدٌ في الصباحِ أنا...
الغيومُ الخفيفاتُ احْتَنَيْنَ علَيَّ، إني أسيرُ مظلّلاً بالغيمِ...
شَعري تَمَوَّجَ،
والقميصُ به نثارٌ من الطَلِّ
الحمامةُ سوف تأتي إليَّ بعودِها الريّانِ...
ضَوعٌ تَحَدَّرَ من سياجِ الآسِ.
كانت فتاتي هيّأتْ لي خبزةً...
يا رفيقي
هل نكونُ معاً؟
أنمضي سراعاً في الصباحِ إلى قطارٍ به راياتُنا الحمراءُ
تعلو ورشّاشاتُنا
والديناميتُ المُعبّأُ في صناديقِ الندى؟
مَن يُنادي:
من يجيءُ معي؟
....
....
....

أُنادي

رفاقي...

مَن يجيءُ معي؟

أُنادي...

لندن، ٩/ ٣/ ٢٠٠٧

حريرٌ ساخنٌ

مَرِّغْ عينيكَ وجبهتَكَ...
ادخُلْ في طيّاتِ حريرٍ لم تنسجْه يدانِ
وأدخِلْ هُدبَيكَ الجنّةَ.
أنتَ اللائبُ
واللاعبُ
أنتَ المتمرِّغُ في عشبِ الليلِ
المتحدِّرُ في السيلِ
وأنتَ المنجرِفُ، الضائعُ، في أمواجِ حريرٍ لا تهدأُ...
أنت، الآنَ، تحسُّ بأن رطوبتَها الساخنةَ التصقتْ بكَ.
أنت، تحسُّ بأنّ حريراً دبِقاً أوشكَ أن يجعلَ جسمَكَ نوراً وحريراً.
هل تتأكّدُ؟
هل تشعرُ أنكَ ناءٍ، تتفصّدُ؟...
هل تشعرُ أنكَ ناءٍ وسعيدٌ؟
ما أجملَها!
ما أجملَها من طيّاتِ حريرٍ نسجتْهُ، ورائحةَ الخمرِ القرويّ، يدانِ
إذاً، بَدَنان...

لندن، ١٣/ ٣/ ٢٠٠٧

الأنفوشــي

«منطقة شعبية من شاطيء الإسكندرية»

شِباكُ الصيّادينَ تجِفُّ على بضعةِ أطوافٍ وقواربِ صيدٍ
والقلعةُ تدخلُ في المشهدِ...
ثَمَّ سِقالاتٌ عند المسجدِ،
ثَمّتَ إعلانٌ عن موقعِ غوصٍ لسفائنِ نابوليونَ.
وأكوازُ الذُّرةِ المشويةِ تأتي ببيوتِ الفلاّحينَ إلى الشاطيءِ.
تأتي بقُرى الدّلتا.
لن يصلَ الكورنيشُ هنا...
الفتياتُ المصريّاتُ (بناتُ البلدِ) احْتَطْنَ بما يكفي.
الفتياتُ المصرياتُ منحْنَ الشاطيءَ حريّتَهُنَّ
منحْنَ الشاطيءَ حُريّتَهُ...
هذا الشاطيءُ للناسِ
فلا سوّاحَ هنا،
لا قوّادينَ هنا...
....
....
....

شمسُ المتوسطِ ناعمةٌ
وشِباكُ الصيّادينَ تجِفُّ...

لندن، ١٠/ ٣/ ٢٠٠٧

العودة إلى البارِ الإيرلنديّ

كان البارُ الإيرلنديّ، وأعني حانةَ فيتزجيرالدَ
انتقلَ الليلةَ من دَبْلِن
كي يفتحَ ذاتَ البابِ الضيّقِ في لندن...
لي أن أحسَبَ كلَّ الأمرِ هُراءً
أو معجزةً؛
قُلْ ما شئتَ
ولكنّ البارَ هنا بالفعلِ:
مقاعدُهُ الخشبُ
العَتْمةُ في العُمْقِ
وأسماءُ زبائنِهِ
والزهرةُ تَنبتُ في رغوةِ بيرتِهِ السوداءِ
كأنّ كتابَ خيالٍ عِلْمِيٍّ أدخلَني مختبَراً
وكأني في أرضِ عجائبَ...
....
....
....
هل كان البارُ الإيرلنديُّ، هوَ، البارَ الإيرلنديَّ؟

أكنتُ الجالسَ حقّاً عند البابِ؟
وهل كان زبائنُهُ أشخاصاً بشراً؟
ومقاعدُهُ الخشبُ؟
هل كانت خشباً أمْ محضَ ضَبابٍ؟
هل كانت تلك الجدرانُ الملأى بالإعلاناتِ حوائطَ من قرميدٍ
أم كانت ورقاً في الريحِ؟
وتلك المرأةُ ذاتُ الثوبِ الأسودِ...
أهيَ الساحرةُ؟

*

الضوءُ الباهتُ يَبْهُتُ أكثرَ عندَ أريكةِ مالكةِ البارِ
ومن زاويةٍ لم أعهَدْها جاءَ الكلبُ الألمانيُّ الراعي بعصا،
من زاويةٍ أخرى جاءتْ فاختةٌ...
ثم أتى رجلٌ يحملُ أفعى تلتفُّ على يُسراهُ.
العَتْمةُ تشتدُّ
ومالكةُ البارِ تردِّدُ أغنيةً لقراصنةٍ غرقوا في مرجانِ الكاريبيّ...
العَتْمةُ تشتدُّ
الألوانُ تغيمُ
وعيناي تغيمانِ.
....
....
....
البحرُ بعيـد.

لندن، ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٧

كنيسة سان جون وود

St. John’s Wood Church

أوّلَ نيسانَ

دخلتُ كنيسةَ سان جون وُود...

زهورُ حديقتها تتألّقُ تحت أشعةِ شمسٍ فاترةٍ

ومَماشيها تتداخلُ والعشبَ النضِرَ،

الأطفالُ يدورون على أحذيةٍ ذاتِ دواليبَ مخبّأةٍ

وخدودُ الفتياتِ تدورُ مع الشمسِ كعَبّادِ الشمسِ...

وفي أوّلِ نيسانَ

دخلتُ كنيسةَ سان جون وود:

فلسطينياتٌ يتحدّثْنَ بأصواتٍ خافتةٍ

(خائفةٍ؟)

عن دِير ياسين...

قساوسةٌ يستمعون إلى القرآنِ

وأطفالٌ لا يبكون.

كنيسةُ سان جون وود تُشَيِّدُ دير ياسينَ عميقاً في الأرغُنِ.

....

....

....

في الثاني من نيسان

كان فلسطينيٌّ آخَرُ ينتظر الصَّلْبَ...

لندن، ٢/ ٤/ ٢٠٠٧

جزيرة وايت

The Isle of Wight

في نُزْلٍ ذي غرُفاتٍ خمسٍ كانت تملكه فكتوريا الملكةْ (الملكة فكتوريا المولودة في العام ١٨١٩ تربّعت على العرش البريطاني أطول فترة في تاريخ هذا العرش، من ١٨٣٧ حتى وفاتها في العام ١٩٠١.

اقترنَ عهدُها بالتصنيع، والتوسّع الاستعماري. كانت تقضي بعض عطلاتها مع زوجها الأمير ألبرت في جزيرة وايت، هذه الجزيرة التي رأيتُها للمرة الأولى يوم الأربعاء، الرابع من نيسان «أبريل» ٢٠٠٧)

سأردِّدُ ثانيةً، كالتلميذِ المجتهدِ:

في نُزْلٍ ذي غُرُفاتٍ خمسٍ كانت تملكُهُ فكتوريا الملِكةْ

غنّيتُ، وصاحبتي، أغنيةَ السعداءِ...

لماذا أُنكِرُ أني كنتُ سعيداً؟

ولماذا أُنكِرُ أني كنتُ وصاحبتي، زوجينِ، تماماً مَلَكِيَّينِ

كـ:

ألبرت وفكتوريا؟

ألأنّ كلاباً مُتَدَيِّنةً تستذئبُ في بغدادَ لتَحكمَها،

ولأنّ حماراً هَرِماً، لاثَ عمامتَه سوداءَ، ليَنْهَقَ في

النجفِ؟
الصبحُ بَهِيٌّ
والشمسُ مواتِيةٌ تنسجُ بالألوانِ جزيرةَ وايتْ،
وتمنحُ طيرَ التّدْرُجِ ريشَ الجنّةِ
تمنح خَدَّي صاحبتي ألَقَ الجنّةِ
تمنحُ كأسَ نبيذي لونَ الخَدَّينِ...
أقولُ: سعيداً كنتُ
وسوف أظلُّ سعيداً
ما دُمتُ أُريحُ الرأسَ على ريشٍ أبيضَ،
ما دُمتُ أوزِّعُ خبزي اليوميّ على طيرِ البستانِ
ووَزِّ البرْكةِ...
ما دمتُ أحاولُ أن أعرفَ سرَّ جزيرةِ وايتْ!

لندن، ٦/ ٤/ ٢٠٠٧

الصبّارُ في الحديقة المنزلية

يباغتُني الصبّارُ...

في كل نظرةٍ وملتمَسٍ ألقاهُ صُلْباً و لامعاً!

....

....

....

ويُقْلِقُني الصبّارُ...

أهجِسُ أنني ضعيفٌ وقد أنبَتُّهُ في حديقتي قويّاً كأكوازِ الصنوبرِ

ربما تَعاورَهُ ثلجُ الشمالِ

وربما تناوَبَهُ القَرُّ المُشِتُّ

وربما أمَضَّ بهِ بولُ الكلابِ

وربّما تناستْهُ مَن تهوى الزهورَ

وربما...

ولكنه الصبّارُ

صُلْباً ولامعاً يظلُّ

ومرأىً للحديقةِ

ملعباً وملتجَأً للعنكبوتِ
وقطرةً مخبّأةً للنحلِ،
بيتاً مقدّسـا...

لندن، ١٠/ ٤/ ٢٠٠٧

صباحَ السبتِ

جاؤوا، السبتَ، صباحاً
جاؤوا في حافلةٍ شبهِ مصفّحةٍ
جاؤوا بمناشيرَ مُدَوِّيةٍ، وبآلاتٍ، وحبالٍ
جاؤوا سبعةَ عُمّالٍ
جاؤوا سبعةَ أغْوالٍ
جاؤوا ثمِلينَ وقد حملوا عُلَبَ البيرةِ كالأزهار
جاؤوا بملابسَ خُضْرٍ شِبْهِ مُمَوَّهةٍ،
ووجوهٍ حُمرٍ
ونِعالٍ سُود
جاؤوا...
....
....
....
لم تستسلِمْ تلكَ السّرْوَةُ
لم يستسلمْ نقّارُ الخشبِ
السنجابُ
الطيرُ الأسوَدُ

لم تستسلم حتى الدّعْسوقةُ
(كانتْ جذلى بربيعٍ أوّلَ)
كان عليهِم أن يرتكبوا بترَ الأعضاءِ
وتمزيقَ الأحشاءِ
وتشريدَ السنجابِ
ونقّارِ الخشبِ
النملةِ، والطيرِ الأسودِ، والدعسوقةِ...
كان عليهم أن يحتفلوا بالقتلِ، صباحَ السبت.

لندن، ٢١/ ٤/ ٢٠٠٧

في الطائرة بين نيويورك ولندن

* هل كنتما تتحدّثانِ معاً، بالفارسيّةِ؟
(كانت امرأةٌ مع مَن بدتْ لي أنها ابنتُها جِواري في المَمَرّ)
* أكنتما تتحدّثانِ معاً، بالفارسيةِ؟
تهمسُ لي: نَعَمْ.
وتُشِيحُ عني.
ثم تبحثُ في ذراع المقعدِ المكتظّ بالأزرارِ عن زرِّ الإضاءةِ.
قلتُ: إن الضوءَ ثَمّتَ.
انتبهتْ، ونبّهتِ الأناملَ، ثم راحتْ تقرأُ الأزياءَ.
(لا شكراً، ولا...!)
....
....
....
صمتتْ.
وقالتْ مَن بدتْ لي أنها ابنتُها:
«نَعَم».
وبكل لُطْفِ الفارسيةِ...
ثَمَّ ذبذبةٌ تُحَرِّكُ في الهواء الساكنِ، النبضَ.

الحديقةُ تلكَ... في أرباضِ شيرازَ
الجداولُ
والنبيذُ الأحمرُ الحلوُ...
القصائدُ تلكَ... والأفيونُ.
قالتْ مَن بدتْ لي أنها ابنتُها:
«نَعَم»...

*

هل كنتُ في نيويورك؟

لندن، ٤/٥/٢٠٠٧

بْرايتِنْ تحت المطر

Brighton under the rain

السماءُ التي لا تُرى

السماءُ التي لم تكنْ مثل هذا الحليبِ المُشَرَّبِ باللوزِ

تلك السماءُ التي قد فقدْنا أخيراً، كأنْ لم تكنْ قبلُ أيُّ سماءٍ سماويّةٍ...

كيفَ يمكنُ أن ندَّعيها ولو لحظةً؟

كيفَ يمكنُ أن نفصلَ البحرَ عنها

وأن نَدَّعي أن في شاطيءِ البحرِ بحراً

وأنّ عليهِ سماءً؟

....

....

....

ضبابٌ على السِيفِ أبيضُ

حتى النوارسُ تَنقَضُّ في هيأةٍ من هُلامٍ.

مناقيرُها، وحدَها، صورةُ النورسِ الأبديّةُ...

والخبزُ فِرشاتُنا.

والفنادقُ تلكَ التي تتلاشى وقد أعلنَتْ أنها الكونُ
تسكنُ هذا البياضَ
وتمضي بهذا البياضِ إلى أن تكِلَّ العيونُ...

*

المساءَ انتهَينا
ـ وقد أنقذتْنا الأغاني ـ
إلى أننا داخلانِ إلى الغرفةِ...
بْرايتِنُ الآنَ أرختْ شراشفَها البِيضَ
أرختْ علينا شراشفَها البِيضَ
أرختْ علينا الجناحْ.

لندن، ١٠/٥/٢٠٠٧

الصمْتُ

لم تسمعْ موسيقى حتى الآن

(الساعة عاشرةٌ صبحاً)

لا المذياعُ

ولا القُرصُ المُدْمَجُ

لا الهاتفُ

حتى الهارمونيكا الألمانيةُ لم تلمُسْ شفتَيكَ...

وأشجارُ الدُّلْبِ انصرفَتْ عنها الريحُ إلى جهةٍ أخرى.

والساحةُ مقفرةٌ

والأغصانُ، وقد كانت مزهرةً دوماً بالطيرِ الصادحِ، قد عَرِيَتْ.

مطرٌ كان يَنِثُّ رذاذاً

مطرٌ ليس يُرى

مطرٌ ليس له صوتٌ...

وهوائيُّ التلفزيونِ، قبالةَ شُبّاككَ، يوشكُ أن ينحلَّ فيدخلَ في الغيمِ

(الساعةُ عاشرةٌ صبحاً)

لَكأنكَ، منذ الآن، تحاولُ أن تغمضَ عينيكَ

تحاولُ أن تدخلَ في نبعِ بياضٍ لَدِنٍ...

....

....

....

لكنّ أزيزاً كأزيزِ النحلِ الأمازونيّ تَدافَعَ في رأسكَ

كان أزيزاً حملتْهُ فَراشاتُ الأنديزِ إلى رأسِكَ

ناياتِ رُعاةِ القرغيزِ

أزيزَ الجُندُبِ

زاراً في جبلِ النُّوبانِ

وصَلْياتِ رصاصٍ في البصرة!

لندن، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٧

وَضُوءٌ

أمشي تحت المطرِ
القطَراتُ تسيلُ على قبّعَتي الجِلْدِ السوداءِ
وتلمُسُ وجهي بأناملَ باردةٍ...
كان شميمُ لُبانٍ وبَخورٍ يأتي من جهةِ الصفصافِ
بُحَيرةُ نيسانَ
دُخانُ المركبِ يعلو في الجوّ المثقَلِ نعسانَ
وئيداً
يتلوّى،
وأنا أمشي تحتَ المطرِ
الماءُ يُغَلْغِلُ أسراراً وخرائطَ من ورقٍ بُنِّيٍّ تحت قميصي القُطنِ.
الماءُ يُسَوِّرُني...
....
....
....
لن أفتحَ في وجه الماءِ مِظَلّةْ!

لندن، ١٥/ ٥/ ٢٠٠٧

مُراقَبَةٌ

كان الرجل الأعمى يجلس في ركنِ الحانةِ
تحتَ جهازِ التلفزيونِ تماماً.
للرجلِ الأعمى وجهٌ نضِرٌ
ويدانِ، كباطنِ كفِّ القطةِ، ناعمتانِ
وكان أنيقاً في مَلْبسِهِ، شأنَ الفنانين الفقراءِ.
الرجلُ الأعمى كان يدير أصابعَه اللدْنةَ كي يمسكَ كأسَ البيرةِ محترَماً
وخبيراً،
ثم يعيدُ الكأسَ إلى موضعِهِ فوقَ مُرَبَّعِ بيرةِ Foster's
والحانةُ قد شرعتْ تصخبُ
والظُّهْرُ، هنا، رطبٌ ولذيذٌ...
والرجلُ الأعمى تحت جهاز التلفزيون تماماً ينصتُ للأخبارِ:
فريقٌ إيرلنديٌّ ضدّ فريقٍ اسكتلنديٍّ...
وفريقٌ... وإلخ...
كان اثنان من الروّادِ يقولانِ كلاماً عن مانشستَر.
هبَّ الرجل الأعمى، كالملدوغِ، يصيحُ:
سيخسرُ!

حتماً يخسرُ!

لم يسمعْه الرجلانِ...

فقد فتحا بابَ الحانةِ، متّجهَينِ إلى الشارعِ

لكنّ الرجل الأعمى ظلَّ يصيحُ:

سيخسرُ!

حتماً يخسر!

*

لم يضحكْ أحدٌ.

لم يسمعْ أحدٌ.

لكنّ الرجل الأعمى كان سعيداً.

كان يدير أصابعَهُ اللدْنةَ كي يمسكَ كأسَ البيرةِ

مرتشفاً، كالطفلِ، سعادتَهُ!

لندن، ١٧/٥/٢٠٠٧

ثـلاثـةُ أيّـامٍ

اليوم الأول

ربما كنتُ أنفِضُ عن هُدْبيَ الثلجَ.

كان البياضُ العميمُ يساوي السماواتِ والأرضَ.

والنبْتَ والخَبْتَ.

ما كنتُ أقدِرُ أن أتمَيّزَ فارعةَ الدُّلْبِ عن دوحةِ الكستناءِ.

الطريقُ التي كنتُ أعرفُ لم تَعُدِ اليومَ تلكَ الطريقَ.

المدى الأبيضُ امتدَّ وامتَدَّ حتى

توارتْ تضاريسُ قريتِنا.

قيلَ إن الثعالبَ قد تظهر الآنَ،

إن قطيعَ الذئابِ على عَتْبةِ

البابِ.

أرهفْتُ سمعيَ: وووووووووووو.

وأرهفتُ سمعيَ: وووووووووو.

سوف أُوقِدُ ناري إذا عسْعَسَ الليلُ.

بابي حديدٌ.

وفُوَّهةُ البندقيةِ حِصْني الحصين.

اليوم الثاني

لم يَجِئْنا قطيعُ الذئابِ.
الرجالُ يقولون إن الذئابَ التي أتْخَمَتْها خرافُ المراعي
ستذهب نحو الكهوفِ القريبةِ.
قد تسألينَ: وأيّانَ تأتي إلينا؟
أقولُ لكِ الحَقَّ: إني
أراها هنا الآنَ.
إني أراها هنا تخْمِشُ البابَ.
هل تسمعين صريرَ المخالبِ فوقَ الحديد؟
وقضقضةَ العُصْلِ...
تلكَ النيوبَ التي سوف تنهشُ طفلاً لنا، أوّلاً،
قبلَ أن تغتذي
لحمَنا المُرَّ؟
لا تسألي، واهدأي.
هَيِّئي الخبزَ والماءَ والتينَ.
أغطيةَ الصوفِ.
صفَّ الرصاصِ. الضِّمادَ.
الذئابُ التي تخمشُ البابَ لن تدخلَ البيتَ.
حتى لو استعرَتْ بالجنون.
اليوم الثالث
أيُّ طَرْقٍ على البابِ؟
أعرفُ أنّ المخالبَ تخمشُ...
لكنني أسمعُ الطَّرْقَ يشتدُّ، حتى كأنّ المطارقَ تنهالُ.

أسمعُ ما يجعلُ
القلبَ يرجِفُ.
هذا هديرُ الرجالِ الأُلى استذأبوا، لا عواءُ الذئابِ.
اقفِزي أنتِ يا امرأتي، عبرَ
سورِ الحديقةِ، ولْتأخُذي معكِ الطفلَ.
باقٍ أنا. أتحصَّنُ بالنفسِ لا بالنفيسِ. فإنْ خُلِعَ البابُ
أو هُدِمَ البيتُ صرتُ الجدارَ الأخيرَ...
اذهَبي، أنتِ والطفلَ،
ولْتُبْلِغي كلَّ أهلِ القرى أنني في الكمين...

لندن، ١٩/٥/٢٠٠٧

البازِنِينُو The Dragonfly

يجيءُ مع الصيفِ، في أوّلِ الصيفِ،
مثل الفُجاءاتِ
في عالَمٍ أَلِفَ الشمسَ غائمةً،
والجداولَ نائمةً،
والحياةَ احتضاراً طويلاً.
يجيءُ، وليس له غير أجنحةٍ كالمرايا الشفيفاتِ.
أجنحةٍ كفصولِ الطبيعةِ، أربعةٍ.
غير أنّ المرايا تشِفُّ إلى أن ترى النورَ
في عُمقِها البَضِّ يغدو خطوطاً من الوهمِ.
في الجدولِ، الماءُ منزلِقٌ.
والشجَيراتُ تلعبُ، مقلوبةً فيهِ.
هَفّةُ حُلْمٍ...
ويندفعُ البازنينو على الماءِ.
ليس على الماءِ.
ينزلقُ البازنينو على الماءِ.
ليس على الماءِ.
صار الهواءُ هو الماء.

والماءُ صارَ
هواءً.
ويندفعُ البازنينو، فتَرجِفُ تلكَ الشجيراتُ مقلوبةً.
ثّمَّ أجنحةٌ، كفصولِ الطبيعةِ، أربعةٌ،
تجعلُ الكونَ مرتعشاً.
تجعلُ الكونَ ما لم يكُنْ أبداً.
إنه البازنينو على اللوحةِ الهندسيةِ،
أزرقَ،
أبيضَ،
رؤيا زجاجٍ مَسيلٍ تطيرُ مع الريحِ.
والبازنينو
مع الريحِ،
أقوى من النّسرِ، أسرعَ.
والبازنينو له الحُلمُ وَكْنٌ.
سيصحبنا البازنينو إلى أن نريحَ رؤوساً مُدَوَّخةً
فوق ريشِ المخدّةِ.
إذّاكَ يأتي لنا البازنينو،
فيأخذنا نحو نجمٍ بعيدٍ،
ويتركُنا في نديفٍ شفيفٍ ننام!
*
ليس للبازنينو كلام...
ليس للبازنينو مقامٌ، ولا منزلٌ.

ليس للبازنينو من الوزنِ ما تملكُ الريشةُ...
البازنينو هو المنتهى
حين تنعتقُ الروحُ من كل هذا الزِّحام...

لندن، ٢٠٠٧/٥/٢٤

(*) البازنينو بالدارجة العراقية الجنوبية، وهو اليعسوب.

أغنيـةُ صيّادِ السمك

يا صيّادَ السمكِ
صِدْ لي... ذهبيّةْ!

❋

مع الفجرِ يصحو، ليُنصِتَ...
كانت سماءٌ خريفيّةٌ، وأوائلُ صيفٍ.
وكانت تحاورُهُ بالطيورِ، الصنوبرةُ.
الدُّلْبُ يبدو كئيباً. وفي المُرْتَبى
(جهةَ الشرقِ) بُرجُ الكنيسةِ.
في الغربِ كان مَمَرٌّ الحصا ينتهي
عند مقبرةِ الحملةِ الأستراليةِ. الجُنْدُ
يطوونَ تحت الترابِ النديِّ الخنادقَ والدمَ.
والأمّهاتُ اللواتي ارتحلْنَ يجِئْنَ
إذا عسعسَ الليلُ.
لم تولَد الساحةُ القرويةُ بَعْدُ.
السماءُ خـريفيّةٌ.

❋

يا صيّادَ السمكِ

صِدْ لي... ذهبيّةْ!

*

وهل ينثرُ، الآنَ، عُدَّتَهُ؟

ليس بينَ يديهِ الكثيرُ:

قميصُ ذوي الحطبِ الأستراليّ. خيطٌ طويلٌ دقيقٌ.

وصنّارةٌ. ربما شبهُ طَوّافةٍ تهجسُ النبضَ.

عينانِ لَمّاحَتانِ. وأُذنانِ

تعتبرانِ التقاسيمَ.

ليس لديه الكثيرُ،

ولكنه عارفٌ أبداً أن في القاعِ ما يُرتجى.

عارفٌ أنه كلّما أطلقَ الخيطَ قَرَّبَ ما يرتجي.

عارفٌ أنه عاجزٌ. أنه دونَ

معجزةٍ.

عَرَقٌ يتفصّدُ.

كانت أصابعُهُ تتوتّرُ مبلولةً.

يتوتّرُ خيطٌ رهيف.

*

يا صيّادَ السمكِ

صِدْ لي... ذهبيّةْ!

*

لماذا يرى الماءَ في غيرِ صورتِهِ؟

كان خيطٌ له حَدُّ موسى يشُقُّ الطحالبَ نصفَينِ...

يَفْرُقُ بيـنَ
الذي قد نراه، وذاكَ الذي لا نراهُ.
وكان على صفحة الماءِ مضطرَبٌ من
فقاقيعَ. والنورُ تلكَ الفقاقيعُ:
حمراءُ، خضراءُ، زرقاءُ، صفراءُ. دنيا.
بنفسجةٌ. قرمزٌ.
أيُّ رِعشةِ رؤيا! وأيُّ ارتباكٍ!
وفي البغتةِ البِكْرِ تلمحُ
ما يخطِفُ البصرَ...
الماءُ ينشَقُّ عن ذهبٍ!

*

يا صيّادَ السمكِ
صِدْ لي... ذهبيّةْ!

لندن، ٧/٦/٢٠٠٧

طبيعةٌ

أمشي إلى آخِرِ البستانِ

يَتبَعُني:

دُلْبٌ

وزانٌ نُحاسيٌّ

صنوبرةٌ...

ونخلةُ الهمَلايا القزْمةُ ارتعشتْ

وكَستناءَ الحصانِ.

الريحُ هادئةٌ

والغيمُ دانٍ.

كأنّ الضَّوءَ يَقْطُرُ...

لكنْ ليس من مطرٍ حتى الدقيقةِ هذي

ليس من مطرٍ.

لكنّ رائحةً سِرِّيّةً نجَمَتْ في بغْتةٍ:

قطرةٌ أُولى

فثالثةٌ...

....

....

....

وفي قميصِكِ ظلَّ الطَّلُّ ينهمرُ.

لندن، ١٣/٦/٢٠٠٧

مسـاءُ البُحيرةِ

أمسِ
عندَ البحيرةِ...
كان المطرْ
دافئاً
ناعماً
مثل ملمسِ جِلْدِكِ بعد السباحةِ في البحرِ
(أذكرُ بوّابةَ المتوسِّطِ.)
فكّرتُ فيكِ قليلاً
وأقسمتُ فوراً:
لأَستعْجِلَنَّ القطارَ المسائيَّ!
لكنني، مثلَ ما تعرفين، كسولٌ...
نسِيتُ القطارَ
وفكّرتُ فيكِ كثيراً،
وأدنَيتُ وجهيَ من صفحةِ المـاءِ
أرقَبُ كيف تعودُ مياهُ السماءِ إلى بيتِها...
كيف يولَدُ هذا المساء.

لندن، ٢٠٠٧/٦/١٣

إحساسٌ غامضٌ

أستيقظُ في الليلِ، على ما لا أعرفُ كيف أسَمِّيهِ؛
بطيئاً
مقروراً
أستيقظُ...
لا صوتَ لأُرهِفَ سمعاً!
كان الليلُ حقيقياً
وثقيلاً،
حتى أشباحُ الأشجارِ زَواها الليلُ فما عادتْ أشباحاً.
لكني أهجسُ...
أهجِسُ أن هنالكَ شيئاًما
ريشةَ فاختةٍ
خطفةَ سنجابٍ
أو حُلما.
كان هواءٌ مختلفٌ في الغرفةِ...
هل بدأَ المطرُ الأوّلُ في طرَفِ الغابةِ؟
هل هبطتْ أُولى القطراتِ على أعشاشِ البطِّ البَرّيّ؟
وهل تشربُ أغصانُ الماغنوليا ما مَلأ الأزهارَ الآنَ؟

الليلُ يهدهدُني
يُدخِلُني في ما لا أعرفُ كيف أُسَمِّيهِ
ويتركني
لأنامْ...

لندن، ٢٠٠٧/٦/١٥

كلامُ الفتى البريء

يتوهّـمُ القرّاصَ نعناعاً،

ويدخلُ في محيطِ الغابةِ السوداءِ، أجردَ

ليس يحملُ غيرَ مَلْبسِهِ:

قميصِ القُطنِ

والنعلِ الذي حفرتْهُ أشواكُ الطريقِ...

وكان يقولُ إن سُلالةَ الأشجارِ واحدةٌ

وإنّ الماءَ يمنحُها صفاتِ الماءِ

أنْ تحلو

وأن تعلو...

وكان يرى السماءَ بِمَلْمَسِ الأعشابِ

والمرجانَ في لونِ الحصا

واللوزَ في اللبلابِ...

كان يقول إذا ادّنَى منه السحابُ كما روى أسلافُهُ الشعراءُ:

دانٍ

مُسِفٌّ فُوَيقَ الأرضِ هَيدَبُهُ

يكادُ يدفعُهُ مَنْ قامَ بالراحِ!

....

....

....

يتوهّمُ القرّاصَ نعناعاً...

لندن، ٥/ ٧/ ٢٠٠٧

تدريبٌ آخَـر...

هل ترى الشجرةْ؟
بلبلٌ تحت كلِ وُريقةْ!
هل ترى الشجرةْ؟
....
....
....
أنت تضغط وجهكَ لِصقَ الزجاج إلى أن ترى دمكَ النزرَ ينفُرُ
أنت تحسُّ بلسعةِ ضوءٍ إلى أن تظنّ بعينيكَ بلّورتَينِ
وأنت الذي تغتلي
إذ تحاولُ أن تعتلي مُرتَبىً في التلالِ القصيّةِ
حيث الظِّباء سماويّةُ اللونِ.
لا تبتئسْ!
هل ترى الشجرةْ؟
بلبلٌ تحت كلِ وُرَيقةْ!
....
....
....

لن يكون المساء

مثلَ ما أنتَ

أو مثل ما تتوقّعُ...

سوف تكون النجومُ القريباتُ اكثرَ

والكونُ أصغرَ.

لن تضغطَ الوجهَ لِصقَ الزجاجِ إلى أن ترى دمَكَ النزرَ يَنفُرُ...

لن تحرِقَ البصرَ المتفاوِتَ في بؤرةٍ...

....

....

....

هل ترى الشجرةْ؟

لندن، ٨/ ٧/ ٢٠٠٧

أُمُّ قَصْر(*)

سنُطْلِقُ من «أُمِّ قَصْرٍ» حمائمَنا
في خليجِ النوارسِ والطائراتِ المُغِيرةِ
نُطْلِقُها في خليجِ البوارجِ
والعارِ
والناقةِ الذهبيّةِ
....
....
....
لم يبقَ بَحّارةٌ:
قُتِلوا،
أو توارَوا خِفافاً بسعفِ نخيلِ القرى...
غيرَ أنّا سنُطْلِقُ من «أُمِّ قَصْرٍ» حمائمَنا
مثلَ ما انطلَقَ العيدُ
يومَ ركزْنا الرماحَ، وقُلْنا لهولٍ ألَـمَّ بنا: يا هَلا!
نحن لن نُسْلِمَ المنزلا...

(*) أم قصر، ميناء بحريّ عراقيّ، قاومَ جنوده في ٢٠٠٣ مقاومةً مجيدةً.

نحن نحفرُ في كلِ نسمةِ بحرٍ خنادقَنا والمقاهي العجيبةَ
نحفرُ في الماءِ أسماءَنا
ثم نأوي إلى جنّةٍ في القرار...

لندن، ١١/٧/٢٠٠٧

نبيذ سانت إيمِليون Saint Emilion Wine

ربّما ظنّني الناسُ بطرانَ:

ما سانتْ إيمليون؟

أنت الشقِيُّ الفقيرُ المُوَكَّلُ بالبصرةِ...

اخجَلْ قليلاً!

أهذا الذي جئتَ تحكي لنا، بعد كلِّ المذابحِ؟

عن سانتْ إيمِليون؟

حقاً، إذاً... أنت تسكنُ حاناتِ لندنَ!

*

صبراً!

ألم تعرفوا الجنرالَ الفرنسيَّ روجكوف؟

Rougecoff

كان في البصرةِ...

الجنرالُ الفرنسيّ روجكوف قد جاءنا من نخيلِ السماوةِ!

(أحكي عن الـ ٩١...)

كي يقطعَ الخبزَ والماءَ عن قَطَعاتٍ عراقيةٍ بين خَورِ الزبيرِ وسفوانَ...

والجنرالُ الفرنسيُّ روجكوف كان يحبُّ النبيذَ

وكانت له في المساءِ زجاجتُهُ:
سانتْ إيمليون...

*

أمّا أنا... الحارسُ الأبديُّ المُوَكَّلُ بالبصرةِ النخلِ
فالليلُ لي
ليلُ هذا السبيلِ العجيبِ
السبيلِ الذي ينجلي
في زجاجِ القناديلِ
في قطرةٍ من نبيذ...

*

على كاتب السطور أن يتدخّل الآن. ليس لأن النصّ اكتمل
بل لأنّ النصّ يبدو كأنه اكتمل. سيفرح أحدهُم ويقول:
ألم أُخبرْكم أن سعدي يوسف يقع في فخِّ اعتياداتِـه؟
كاتبُ السطور يقول: الأمرُ حقٌّ. لكن سعدي يوسف
حذِرٌ أيضاً. بمعنى أن بمقدوره إنقاذَ سُمعتِهِ في اللحظةِ
الأخيرة.

*

هكذا سوف أسألُ نفسي:
وما شأنُ هذا النبيذِ الفرنسيّ؟ أقصدُ: ما أنا والأمر؟ إنْ كان
روجكوف يشربُه فلْيَكُنْ! ليس أمراً عجيباً...
نعودُ إلى أولِ القصةِ:
الشاعرُ احتاجَ أن يتدرّبَ. جاءَ النبيذُ. وجاءَ مع الكأسِ روجكوف.

جاءت إلى الغرفةِ الحربُ والبصرةُ...
الشاعرُ، الآنَ، يختنقُ.
الشاعرُ الآنَ يلهثُ: أينَ الهواء؟

*

كاتبُ السطورِ يتدخّل ثانيةً:
هذا اليومَ، ذهبَ سعدي يوسف إلى أسواق تيسكو
TESCO
اشترى زجاجتي نبيذ سانت إيمليون بنصف السعر
Half price
(مصادفةٌ مَحضٌ)
وعاد إلى منزله بالضواحي ينتظرُ المساء.

*

عليه أن يحتفل بالرابع عشر من تمّوز...

لندن، ٢٠٠٧/٧/١٣

صيفٌ بريطانيٌّ

بدأتْ قطَراتٌ صغارٌ تُلألِيءُ لوحَ الزجاجِ
وفي الجوِّ رائحةٌ من ترابٍ وماءٍ،
وثَمّتَ رعدٌ بعيدٌ...
أرى النملَ يبني متاريسَهُ في شقوقِ المَمَرِّ.
الحديقةُ هامدةٌ
لا الطيورُ تطيرُ
ولا الورَقُ الغضُّ يهتَزُّ.
آخِرُ بُقعةِ صحوٍ تلاشتْ مع الغيمِ.
رعدٌ قريبٌ...
وفي لحظةٍ
سوف يأتي المطرْ!

لندن، ١٥/ ٧/ ٢٠٠٧

فِعْلُ حُبٍّ

أنتِ

مثلي

تودِّينَ ألاّ يطولَ الكلامْ.

تدخلينَ السريرَ

بأُبّهةِ الملكاتِ القديماتِ

فارعةً،

ثمّ ترمينَ تاجَكِ

كي يغمرَ الذهبُ، الشرشفَ الناصعَ.

الطيرُ يفتحُ منقارَهُ.

....

....

....

قطرةٌ من ندى

ويلينُ الرّخامْ!

لندن، ١٩/ ٧/ ٢٠٠٧

الجـارُ

الجنديّ المتقاعدُ
(شِبْهُ المُقعَدِ)
يجلسُ كلَّ صباحٍ، في كرسيّ تَمَدُّدِهِ
خارجَ بابِ البيتِ،
لكي يستافَ قليلاً ضوعَ البستانِ
ويَنْعَمَ بالشمسِ...
وكانت زوجتُهُ تجلسُ أيضاً لِتُقَلِّبَ أياماً
ومجلاّتٍ
وقوائمَ...

❋

كان الجنديّ المتقاعدُ
(شِبْهُ المُقْعَدِ)
يُغْمِضُ عينيهِ قليلاً،
ليغادرَ هذا الكرسيّ
وهذا البيتَ
وزوجتَهُ أيضاً...
لِيُخَوِّضَ في غاباتِ الهندِ الصينيّةِ

في حقلِ الألغامِ.

❊

اللُغْمُ التالي، منفجرٌ حتماً
في أحدِ الأيام....

لندن، ١٩/٧/٢٠٠٧

قصائد نيويورك

أوّل الكلام

لو كنتُ سائقَ تاكسي
واتّخذتُ، كما شاءتْ ليَ المهنةُ، اسماً
صرتُ: روبَرْتو!
لا تَعْجَبوا!
الأمرُ أني في المطارِ
وأنني المُضَيَّعُ حتى جاءَ روبرتو...
ألقى على الشمسِ سيلاً من شتائمِهِ
وجاءني بسلامٍ منهُ...
أنت ترى أن الطريقَ طويلٌ
أن عاصفةً كانت ستأتي...
ولكني أتيتُ!
دع المَلامةَ...
الآنَ نمضي، ولتكُنْ رجُلاً بين الرجالِ،
فماذا سوف تكسبُ إنْ أقمتَ في الظلِّ؟
شمسُ الظُّهرِ غادرةٌ حقاً...
ولكنكَ المَعْنِي بالشظَفِ!

نيويورك، ١/٨/٢٠٠٧

في واشنطن سكوَير

غاريبالدي يُغْمِدُ سيفَ الثوريّ،
وثَمّتَ مصطبةٌ تتمدّدُ فيها طالبةٌ سوداءُ
وتَعْرَقُ تحت الشمسِ.
ورُقعةُ شطرنجٍ ذاتُ بيادقَ في حجمِ السنجابِ
يحيطُ بها بضعةُ أشياخٍ.
قالت سيدةٌ:
ما أجملَ كلبَ القحبةِ!
....
....
....
في ٢٠٠٨.١١.٢٠
سيُغادرُ مبنى البيتِ الأبيضِ
في واشنطنَ
كلبٌ.

نيويورك، ٢/٨/٢٠٠٧

مطعم الخنزير الأعمى

يقع «الخنزيرُ الأعمى» في الشارع ١٤
بين الآفِنيو الثاني، والآفِنيو الثالث...
ليس هناك مطاعمُ أو حاناتٌ كبرى في هذا الحيّ من نيويورك...
إلاّ هذا «الخنزير الأعمى»!
قالت لي الساقيةُ الإيرلنديةُ ذاتُ الثوبِ الأسودِ:
نحن هنا إيرلنديّون
إيرلنديّونَ أميركيون،
أنا إيرلنديّةْ...
قلتُ لها: هل ستزورينَ بلادَكِ هذي السنةَ؟
ارتبكتْ كالغصنِ المقطوعِ الساقيةُ الإيرلنديةُ.
قالتْ: لم أفهمْ ما تعني...
وأنا أيضاً لن أفهمَ حين تقولينَ:
ألستَ تزورُ بلادَكَ هذي السنةَ؟

....

....

....

«الخنزيرُ الأعمى» يوشكُ أن يكتظَّ...
وساقيةُ البارِ الإيرلنديةُ تركضُ نائسةَ الخُصُلات.

نيويورك، ٢/٨/٢٠٠٧

حديثٌ في اليونيون سِكْوَير

لا...

ليسَ بإمكانكِ بيعُ حُلِيٍّ كاذبةٍ في اليونيون سكوَير!

ـ لكني لستُ أبيعُ حُلِيّاً كاذبةً...

أنا أنسجُ أقراطاً وقلائدَ

من خيطٍ قُطنٍ!

ـ حتى هذا لا يُمْكِنُ...

فالساحةُ ليست سوقَ حُلِيٍّ

إن الساحةَ لي، ولأمثالي...

مثلاً: هذا الهنديّ الأحمرُ

يعرضُ قمصاناً فيها الأسلافُ وقوفٌ وبنادقَهم،

والأسلافُ يقولون:

وقفْنا ضدّ الإرهابِ جميعاً

منذ ١٤٩٢...

هل أدركتِ المعنى في قمصانِ الهنديّ الأحمرِ؟

ـ لا أدري...

لكنّ لديّ حُلِيّاً للبيعِ.

أنا امرأةٌ تأكل خبزتَها بيدَيها...

ـ إن أصررْتِ خسرتِ!
الشرطيّ المتخفِّي في هيأةِ زنجيٍّ ذي سبعِ ضفائرَ
سوف يصيدُكِ
مثل السمكةْ!

نيويورك، ٣/٨/٢٠٠٧

٢ طبيعةٌ

عند مكتبةِ الجامعةْ
يختفي الشجرُ الضخمُ تحتَ مياهٍ مجلجلةٍ
ورياحٍ تصيحْ.
عند مكتبةِ الجامعةْ
كانت امرأةٌ تحتمي بالمظلةِ، مسرعةً،
ثم تسقط مثلَ جوادٍ جريحْ.
لم نكن نتمرّغُ في مُزْنةِ الصيفِ...
بَرْقٌ بدا، يصِلُ النجمَ بالأرضِ.
والرعدُ يأتي، كأنّ المدينةَ قد قُطِّعَتْ في شِعابِ الجبالِ
....
....
....
تقولُ ليَ امرأتي:
آنَ للطيرِ أن يستريحْ!

نيويورك، ٤/ ٨/ ٢٠٠٧

مسبح

Hamilton Fish Park

مبنىً قديمٌ للجماركِ

هكذا يبدو لأوّلِ وهْلةٍ،

لكنه سرعانَ ما يجلو المياهَ خفيفةً

خضراءَ

زرقاءَ

المياهُ خفيفةٌ

يلهو بها الأطفالُ:

صينيّينَ

سوداً

أو هنوداً من معابدِ مكسيكو

ومَتالِعِ البيرو

وقرطاجنّةِ الأحراشِ...

....

....

....

كيف تقولُ: لستُ الآنَ في نيويوركَ؟

أنت الآنَ في نيويورك.
أي أن المدينةَ هكذا كانت
وظلّتْ.
فاقترِبْ منها...
ودَعْ بستانَكَ الورقيَّ يغرقُ في المياه!

نيويورك، ٢٠٠٧/٨/٤

الحيّ الصينيّ

يأخذكَ الحيُّ الصينيُّ إلى الحيّ الإيطاليّ
(إلى ما يُدْعى إيطاليا الصغرى)
Little Italy
إذّاكَ تحسُّ بأنّ عليكَ العودةَ نحو الحيّ الصينيّ
كأنّ الإيطاليين اتفّقوا أن مطاعمهم هي عالَـمُهم
أن الإنسانَ هو الحيوانَ الآكلَ
أن العالَمَ مجبولٌ من إثنينِ:
السارقِ
والمسروق...
....
....
....
سأعودُ إلى الحيّ الصينيّ
لأرى لُعَبَ الأطفالِ
وأسماكَ السوق!

نيويورك، ٢٠٠٧/٨/٥

الطيَرانُ الحربيُّ

قد تبدو كلُّ المُدُنِ، الصبحَ، جميلةْ
ذاتَ شوارعَ لامعةٍ
ومتاجرَ لم تَفتَحْ أبوابَ مصائدِها، بَعدُ
ومقاهٍ قد فُتِحَتْ للتوّ
وسيّاراتٍ ماثلةٍ، كتماثيلَ من المعدِنِ في قاعةِ عَرضٍ...
....
....
....
قد تبدو كلُ المدنِ، الصبحَ، جميلةْ
حتى لَكأنَّ التاريخَ يغادرُها عند الفجرِ
لكي تأتينا
بيضاءَ
مُباغِتَةً
خارجةً من أسوارِ محارتِها
خارجةً عمّا اعتدنا أن نكتبهُ...
....
....
....

هل تبدو نيويورك كذلك؟

قد تبدو...

لكنّ هديرَ الطيَرانِ الحربيّ

يخطفُ لحظةَ غفْلتِنا

وبراءتِنا

ويقولُ مديداً: لـ ـ ا ـ ا ـ ا ـ ا ـ ا ـ لا!

نيويورك، ٢٠٠٧/٨/٥

الساحةُ في الصباحِ الباكر

محطّةُ تحتِ الأرضيّ
في «اليونيون سِكْوَير»
لم تَرسُمْ، بَعدُ، خطوطَ الصورةِ:
كان الركّابُ قليلينَ
وعشّاقُ الشطرنجِ بعيدينَ
وسوقُ الفلاّحينَ، ستشهَدُ، لكنْ بعدَ قليلٍ، أُولى العرباتِ...
الساحةُ تعرفُ أن مصاطبَها
تتحوّلُ، في الفجرِ، أسِرّةَ نومٍ
كان زنوجُ الساحةِ يفترشونَ غليظَ ملابسِهِم
ووسادَ حقائبِهم
ويَغِطّونَ عميقاً...
....
....
....
في الشارعِ، يشتدُّ ضجيجُ العرباتِ الشاحنةِ
الزنجيُّ الأعمى يفتحُ عيناً واحدةً
يُغْمضُها...

يفتحُ عيناً ثانيةً
يُغمضُها...
يفتحُ كلتا عينيهِ...
❋
الساحةُ سوفَ تكونُ الساحةْ!

نيويورك، ٦/٨/٢٠٠٧

بوّابةُ جامعةِ نيويورك

NYU Gate

بُومَتا حَجَرٍ حطَّتا فوقَ بَوّابةِ الجامعةْ
بُومَتانِ بِحجمِ طيورِ الجحيمِ
النحاسُ القديمُ
صَدِئٌ،
والنباتُ الذي قُدَّ من حَجرٍ حائلِ اللونِ
قد صارَ مثلَ الترابْ...
ليس من أحدٍ عند بوّابةِ الجامعةْ،
وطيورُ الحديقةِ غيرِ البعيدةِ
قد هجرتْ، منذُ قرنٍ مضى، مدخلَ الجامعةْ...
(إنه البومُ...)
كان الصباحُ يَعُدُّ الثوانيَ...
هل ينطقُ الطيرُ عندَ المساء؟

نيويورك، ٢٠٠٧/٨/٧

صباحٌ مختلفٌ

كانت في السوق الصيفيّ، بقايا من عاصفة الليلِ المطَريّةِ
ثَمَّ نسيمٌ رطبٌ
وغصونٌ أعمقُ في خُضرتِها
وفواكهُ تبدو قد قُطِفَتْ قبل دقيقةْ...
كم أهوى أن أجلسَ في مصطبتي
أكثرَ
أكثرَ
أكثرَ من ساعةْ!
لكنّ الشمسَ الصيفيةَ تقتربُ،
وعَلَيَّ، أنا الخاسرَ،
أن أبحثَ عن ظِلٍّ
أن أبحثَ عن شجرةْ.
....
....
....
لَكأني في الصحراء!

نيويورك، ٨/٨/٢٠٠٧

أبوابُ هارلِم

بالقطارات، عاويةً، ومثلّجةً، ومجلجِلةً، سوف نبلغُ هارْلِمْ.
بأغاني الجنوبِ البعيداتِ نبلغُ هارلِمْ
بالقِنَّبِ المتضَوِّعِ أزرقَ نبْلُغُ هارلِمْ
بالكنائسِ حيث المسيحُ الفقيرُ سنبْلغُ هارلمْ
أين، يا بائعَ الماءِ، هارلِمْ؟

❋

كأني هبطت على كوكبٍ ليس فيه نيويورك!
الشوارعُ، تلك العريضاتُ، قد حفرتْها السنونُ العِجافُ
وغضَّنت القارَ مثل وجوهِ الذين انتهَوا خارجَ البار...
كانت رطوبةُ صيفٍ من المِسِسِبِّي تَلُفُّ الهواءَ على الماءِ.
ذاك القطارُ الذي قد أتينا بهِ لم يَعُدْ في المحطّةِ...
أسرى هنا، نحنُ
والرجلُ الأبيضُ، الجَهْمُ، قَيَّدَنا في السفينةِ
وارتاحَ في منزلِ الشاطيءِ.
القارُ يلمعُ كالزيتِ
والحُلْمُ مِلْح...

❋

أين يمضي القطار؟
أين تمضي القبورُ التي سكنتْ كلَّ دار؟
أين تمضي الكنائسُ، خمساً لكلِ امرىءٍ؟
أين يمضي القطار؟

*

لا رياح
السفينةُ لامست القاعَ.
نامَ المُغَنِّي
وغابت نجومُ الصباح.

*

قد كنتُ أحلمُ أن تكون محجّتي في هارلِمَ السوداءِ.
كنتُ أقولُ: حتى لو خُذِلْتُ، وخابت الآمالُ والأفعالُ،
والرؤيا، فإنّ لديّ، في القاعِ، الأغاني والضّبابَ الأزرقَ.
الدنيا مُلَوّنةٌ، وذاكَ العازفَ الأعمى، وأسرارَ البيانو.
هل تُرى أخطأتُ؟
عند مَدارجِ البابِ التقطتُ الصورةَ الأولى لِهارلِمَ:
جَدّةٌ وصبيّةٌ تقتعدانِ درْجةً سُلَّمٍ في المدخلِ.
نيويورك تنأى...
ليس في هذا المكانِ سواكِ، يا أوراقَ تمْبِكْتو
البهيّةِ...
يا مُعَلَّقةَ السواد!

*

بالقطاراتِ
عاويةً
ومثلّجةً
ومُجَلجِلةً
سوف نتركُ للقيظِ والغيظِ
هـارْلِـم!

نيويورك، ٩/٨/٢٠٠٧

شـطرنج

سُـجناءُ قدامى.
زنوجٌ بلا عملٍ منذ قرنٍ ونصفٍ.
أساتذةٌ هجروا المقعدَ الجامعيَّ المقدّسَ
واستلموا مقعداً في الرصيفِ.
نساءٌ تعبْنَ من المسـرحيةِ:
من دَورِ آدمَ / حوّاءَ.
أحلاسُ ليلٍ أضاعوا الطريقَ إلى البيتِ.
....
....
....
في كل ساحةْ
رُقعةٌ!

نيويورك، ٩/٨/٢٠٠٧

نهارُ جُمُعةٍ ممطر

عيدٌ هذا اليوم لسياراتِ الأجرةِ...
والناسُ يلوذون بأبوابٍ لم تُفتَحْ بَعدُ
ومِظَلاّتٍ سودْ
(امرأةٌ واحدةٌ عبرتْ قربي الآنَ مظلّتُها حمراءُ)
الأشجارُ تُنَوِّعُ خضرتَها
والأطفالُ يروحون إلى المدرسةِ
نيويورك شوارعُ تحت المطرِ الصيفيّ الدافيءِ
تنتظرُ...
نيويورك بغيرِ أزقّةْ!
نيويورك، الجمعةَ، تغتسلُ.
الفتياتُ يفكِّرنَ:
العطلةُ قد بدأتْ منذُ الآن...

نيويورك، ١٠/٨/٢٠٠٧

الفتى الأسودُ يطيرُ

فجأةً
قررتُ أن أدخلَ في «زاوية الجاز...»
مساءٌ باهتٌ.
كان بريدي الإلكترونيّ يأتي باعتذاراتٍ
طوالَ اليومِ.
والقيظ!
كأني لم أزلْ في عدَنٍ...
والمرأةُ / القطةُ قالت إنها تتركني الليلةَ
كي تأوي إلى مرسمِها في آخِرِ البلدةِ.
إني رجلٌ يكره أن يحيا وحيداً،
هكذا
قررتُ أن أدخلَ في «زاوية الجازِ».
....
....
....
هو المقهى
طويلٌ

متَراخٍ
كمَمَرٍّ في قطارٍ أستراليٍّ.
وكانت صورٌ باهتةٌ لمُغَنّينَ زنوجٍ تملأُ الجدرانَ.
موسيقى من الريفِ أتتْ من آلةِ التسجيلِ.
لا جازَ...
أيا ساقيةَ البارِ!
نعم...
بعد قليلٍ.
دائماً في العاشرةْ!

*

أُكمِلُ كأسَ «الديكِ الروميّ البرّيّ»

The Wild Turkey

*

ضجّةٌ في البابِ...
كانت فتياتٌ يتدافعنَ
ويضحكنَ
ويدفعْنَ فتىً أسودَ قد علّقَ قيثارتَه من ظَهرِهِ
حيثُ تدلّى شَعرُهُ المضفورُ في سَبْعٍ.
مضتْ ساقيةُ البارِ إلى البابِ:
ادخُلوا...
ولْنبدأ الآنَ!
الفتى الأسودُ، ينضو، الآنَ، قيثارتَهُ

والفتياتُ الضاحكاتُ اخترنَ أن يجلسنَ في آخِرِ صفٍّ
من كراسي الحانةِ.
الريفُ الذي كان هنا في آلةِ التسجيلِ... غابَ...
اندفعتْ قيثارةٌ.
كان الفتى الأسودُ
في الليلِ الأميركيِّ
يطيــر!

نيويورك، ١١/٨/٢٠٠٧

مَركز روكفلَر

The Rockefeller Center

ذهبٌ هو الشلاّلُ
والتمثالُ من ذهبٍ.
كؤوسُ المطعمِ الصيفيّ من ذهبٍ
وقائمةُ الطعامِ
وما تَراكَمَ في الصحونِ...
ملابسُ العمّالِ من ذهبٍ.
ودانِيةُ الغصونِ
وما يدورُ على المصاطبِ من حديثِ الناسِ
من ذهبٍ.
وفي الأعلى تلوحُ مسلّةُ المبنى التي لم تَعفُها الأيامُ من ذهبٍ.
وجوهُ الناسِ من ذهبٍ.
وأبوابُ المحطةِ والقطارِ الجَهْمِ من ذهبٍ.
طريقُ المركزِ المرصوفُ من ذهبٍ.
وأشجارُ الطريقِ
وجنّةُ الأزهارِ من ذهبٍ.

وجِرْوُ البنتِ من ذهبٍ.

....

....

....

لَكَمْ أضحَكتَني، يا صاحبي
في المطعمِ الصينيّ
حينَ بدَوتَ محتدماً
وأنت تقولُ:
قلبُ البنتِ من ذهبِ!

نيويورك، ٢٠٠٧/٨/١٣

عُبورُ جسرِ بْروكْلِنْ

Crossing the Brooklyn Bridge

آخرون سيرَونَ مراكبَ مانهاتِن شمالاً وغرباً
ومرتفعاتِ بروكلِن جنوباً وشرقاً.
آخرون سيَرَون الجُزُرَ، كبيرةً وصغيرةً.
وبعد خمسين عاماً من الآن، آخرونَ سيرَونَها وهم يعبرون،
الشمسَ بعد نصف ساعةٍ من مَطْلعِها.
وبعدَ مائة عامٍ، بعد مئاتِ الأعوامِ، آخرون سيرَونَها، سيستمتعون
بالغروبِ، باندفاعةِ المَدِّ.
بانحسارِ الجَزْرِ.
أنا أيضاً عشتُ ـ بْروكْلِنْ ذاتُ التلالِ، كانت لي.
أنا أيضاً طوّفتُ في شوارعِ جزيرةِ مانهاتِن،
واستحمَمْتُ في المياهِ المحيطةِ.
كنتُ مانهاتيّاً، ودوداً، وأبِيّاً!

والت ويتمان ـ عبور مُعَدِّيةِ بروكلِن

Others will see the shipping of Manhattan north and west,
and the heights of Brooklyn to the south and east;
Others will see the islands large and small;
Fifty years hence, others will see them as they cross,
the sun half an hour high;
A hundred years hence,
or ever so many hundred years hence,
others will see them,
Will enjoy the sunset,
the pouring in of the flood-tide,
the falling back to the sea of the ebb-tide....
I too lived-Brooklyn, of ample hills, was mine;
I too walk'd the streets of Manhattan Island,
and bathed in the waters around it....
I was Manhattanese, friendly and proud!...
˜Walt Whitman, "Crossing Brooklyn Ferry"

لأَقُلْ إن وِيتمانَ قد عبَرَ الجسرَ...
مثلي
صباحاً، وفي شهرِ آبَ اللظى.
ولأَقُلْ: كان يسهرُ في مانهاتِنْ...
وهو الآنَ قد عبَرَ الجسرَ، طَلْقَ المُحَيّا، حثيثَ الخُطا.
فإلى أينَ يذهبُ؟
أيّ الشوارعِ يختارُ؟
أيّ الزوايا؟

....

....

....

أقولُ لهُ:

والْتْ!

خيرٌ لنا، بعد ليلٍ عجيبٍ هنالك، أن نتأنّى هنا...

نتذوّقَ قهوتَنا في الرصيفِ

ونستقبلُ الناسَ بالبسمةِ.

الشارعُ اكتظَّ بالسالكينَ. الحديقةُ مفتوحةٌ. والمخازنُ.

والنهرُ يبدو من البُعدِ أخضرَ...

فلْنستَرِحْ في الرصيف!

*

الشمسُ تقتربُ منّا. دعْنا نجلس على هذه الكراسي الخُضرِ.

تحت المظلة الخضراء. لا تَخَفْ! نحن لا نزال في الرصيف...

الكراسي والمظلة قدّمتْها بلديةُ بْروكْلِنْ لأمثالنا. هل أطلب لك قهوةً
من العربة؟ صاحبُ العربة أسودُ، يُعِدُّ قهوةً لذيذة. كوبان اثنانِ
بدولارٍ ونصفٍ!

*

في شارع فُلْتُنْ كنتُ أتمشّى أمسِ. هل أقولُ لكَ: إنني لم أكُنْ
في شارعٍ؟ كنتُ في مستودعِ بضائعَ هائلٍ، له عشراتُ الأبـوابِ.

متاهةِ الأحذيةِ والملابسِ والحُلِيّ الكاذبةِ. لا أزهارَ هنا، ولا صُحُف.

لا مشربَ جُعَةٍ أو نبيذٍ. الماءُ في قناني البلاستيك. وأجنحةُ البنكِ تُطْبِقُ.

*

أنا وأنت في بروكلِن الآن. لكني أسكنُ غيرَ بعيدٍ عن سوهو.
سوهو التي أحببتَ. أتريدُ أن أحكي لك عنها؟ عن آخر أخبارِها؟
أنت لم تذهبْ إلى هناك منذ زمنٍ. منذ مائةِ عامٍ وأكثر...
حسناً، أيها المُعَلِّمُ: لقد غادرَها الشعراءُ والفنانون. وهي تُصبحُ، مثل شارع فُلْتُنْ، معرضاً هائلاً للأحذية والملابسِ الغالية. ومطعماً إيطالياً تُمسي.

*

الحرب الأهلية انتهت، يا والتْ وِيتمان. لكن الجنودَ السودَ الذين قاتلوا في سبيل الحرية. وعبيدَ مزارع القطن العاطلين، هؤلاء الذين يسكنون هارلم، وبروكلِن، وبرونكس، ومانهاتِن...
هؤلاء الذينَ أحببتَهم، وغنّيتَ لهم، وغنَّوا لك، لا يزالون ينامون في الحدائق العامة، ويأكلون من القُمامة...

*

أيها الغريبُ العابرُ! أنت لا تدري كم حننتُ إلى رؤيتِك...
أنتَ، إذاً، مَن كنتُ أبحثُ عنه، أو عنها (لَكأني احلمُ)،
أكيداً أنني عشتُ حياةَ بهجةٍ معك، في مكانٍ ما.
كلُّ هذا استُعِيدَ، ونحن مع بعضنا، سهلَينِ، حنونَينِ، متعلِّقَينِ،

ناضجَينِ.
أنتَ ترعرعتَ معي. كنتَ فتىً أو فتاةً معي.
جسدُكَ لم يَعُدْ جسدَكَ وحدَكَ. وجسدي لم يَعُدْ جسدي وحدي.
أنتَ منحتَني بهجةَ عينيكَ، وجهَكَ، لحمَكَ، ونحنُ نعبرُ.
وأنتَ آخذٌ بلحيتي، وصدري، ويدَيَّ، بالمقابلِ.
أنا لا أتحدّثُ إليكَ. سوف أفكرُ بكَ حين أجلسُ وحيداً. أو أستيقظُ وحيداً في الليلِ.
عليَّ أن أنتظرَ. سألقاكَ ثانيةً، لا مَحالةَ.
سأجهَدُ حتى لا أضيِّعَكَ.
«إلى غريب ـ والت ويتمان»

To A STRANGER
Walt
Whitman
Passing strangerÀ you do not know how longingly I look upon you,
You must be he I was seeking, or she I was seeking,٬it comes to me as of a dream;
I have somewhere surely lived a life of joy with you,
All is recall'd as we flit by each other, fluid, affectionate, chaste, matured,
You grew up with me, were a boy with me or a girl with me,
I ate with you and slept with you, your body has become not yours only nor left my body mine only,
You give me the pleasure of your eyes, face, flesh, as we pass, you take of my beard, breast, hands, in return,
I am not to speak to you, I am to think of you when I sit alone or wake at

night alone,

I am to wait; I do not doubt I am to meet you again,

I am to see to it that I do not lose you.

❋

الغريبُ الذي أنتَ غنّيتَه

والغريبُ الذي لم تُغَنِّ...

والغريبُ الذي ظلَّ أقربَ مني...

هل أتاكَ، هنا، نبأٌ منهُ، يا صاحبي والْتْ وِيتْمان؟

هل أتاكَ جنودُ «أبو غْرَيب»؟

هل حدّثوك؟

❋

مشهدٌ في المخيَّم. في مطلعِ الصباحِ. رمادياً ومعتماً. وأنا أخرجُ من
خيمتي مبكراً، وأرِقاً.

وبينما كنتُ أسيرُ، بطيئاً، في الهواءِ النقيّ الباردِ، في المَمَرِّ
قربَ خيمةِ

المستشفى، رأيتُ ثلاثةَ شُخوصٍ يتمدّدون على النقّالات. لقد جيءَ
بهم إلى هناك، وأُهمِلوا. كلُ واحدٍ منهم، مغطّى ببطّانيةٍ من الصوف
الخشنِ المُربَدِّ.

بطّانيّةٍ ثقيلةٍ سوداءَ، منشورةٍ، لتغطِّي تغطيةً كاملةً. توقّفتُ،
مستطلِعاً، ووقفتُ

صامتاً. ثم أزحتُ بأصابعَ خفيفةٍ، الدثارَ، عن الأولِ.

مَن أنت، أيها الرجلُ المتقدمُ في السنِّ، الكالِحُ، الأشيبُ؟ ذو
اللحمِ المتهدِّلِ

حولَ العينينِ؟ مَن تكونُ يا رفيقي العزيز؟
ثم مضيتُ إلى الثاني: مَن تكونُ أنتَ، يا طفلي وحبيبي؟
مَن أنتَ، أيها الفتى، ذو الخدّينِ المتورِّدَينِ؟
ثم إلى الثالثِ ـ وجهٌ ليس كوجهِ الطفلِ، ليس كوجهِ الشيخِ. إنه لَوجهٌ هادئ،
في جمالِ العاجِ
الأبيضِ المصْفَرِّ.
أيها الشابُّ.
أظُنُّني عرفتُكَ.
أظُنُّ وجهَكَ وجهَ المسيحِ ذاتِهِ.
ميْتاً، ومقدّساً، وأخاً للجميع.
وإنه لَههُنا، مُسْجىً ثانيةً.
«والت ويتمان ـ مشهدٌ في المعسكر»

A Sight in Camp¤ Walt Whitman

A Sight in camp in the day-break grey and dim, As from my tent I emerge so early, sleepless, As slow I walk in the cool fresh air, the path near by the hospital tent, Three forms I see on stretchers lying, brought out there, untended lying, Over each the blanket spread, ample brownish woolen blanket, Grey and heavy blanket, folding, covering all. Curious, I halt, and silent stand; Then with light fingers I from the face of the nearest, the first, just lift the blanket¤ Who are you, elderly man so gaunt and grim, with well-gray's hair, and flesh all sunken about the eyes? Who are you, my dear comrade? Then to the second I step-And who are you, my child and darling? Who are you, sweet boy, with cheeks yet blooming?

Then to the third-a face nor child, nor old, very calm, as of beautiful yellow-white ivory; Young man, I think I know you-I think this face of yours is the face of the Christ himself; Dead and divine, and brother of all, and here again he lies.

❊

أوَدِّعُكَ الآنَ...
لا وقتَ عندكَ لي، يا رفيقي
ولا وقتَ عندي لكَ...
الساعةُ استحكمتْ.
والجنودُ الذين مَهَمَّتُهُم قتلُ شعبيَ لن يسمعوا صوتَكَ.
العشبُ نَضْرٌ
رفيقيَ:
نَمْ هانئاً
واتْرُكْ لي مفازةَ هذا الطريق!

نيويورك، ١٦/٨/٢٠٠٧

العاملُ العاطلُ عن العمل يستيقظ

بالطيورِ التي تُعلِنُ الشمسَ
يستقبلُ العاملُ الأسْودُ النائمُ، الصبحَ...
كانت مَماشي الحديقةِ ناعمةً بالندى
والغصونُ التي استيقظتْ تتشكّلُ مثلَ الغصونِ
المصاطبُ مبثوثةٌ كالأرائكِ
والكلبُ يرفعُ قائمةً...
ثَمَّتَ الماءُ يَقْطُرُ من حنفيّتِهِ
والعصافيرُ تشربُ.
والعاملُ الأسودُ، الآنَ، يفتحُ عينيهِ
يفْرِكُ واحدةً
ثم يمضي إلى الحنفيّةِ.
تفْزعُ فاختةٌ.
يُخْرِجُ فرشاة أسنانِهِ،
يتمضمضُ...
يملأُ راحتَهُ. يشربُ الماءَ
سروالُهُ الجِينْزُ أسْودُ في زُرقةٍ.
كانت الشمسُ تَبْلُغُ مصطبةَ النومِ.

يختارُ أخرى
ويُغْمِضُ عينيهِ ثانيةً
وينام...

نيويورك، ٢٠٠٧/٨/١٧

المتشرِّدُ والسنجابُ

كان صباحُ السبتِ لذيذاً:

شمسٌ فاترةٌ

ونسيمٌ يحملُ ضَوعاً من عشبٍ

وأوائلَ برْدٍ.

كان سياجُ حديقةِ «واشنطنْ سْكْوَير» نديّاً.

....

....

....

نفضَ المتشردُ بطّانيّتَهُ

وطواها.

أخرجَ قطعةَ خبزٍ من جيبِ السروالِ الجِينْز

تلَفّتَ،

ثم استأنى عند شُجيرةِ سرْوٍ.

هبطَ السنجابُ

دنا،

حتى كاد يلامسُ كفَّ المتشرِّدِ.

يلتقطُ السنجابُ فُتاتَ الخبزِ

ويرقصُ كالطيرِ...

وكان المتشردُ، مثل نبيٍّ، يسترسلُ في لغةِ السنجاب!

نيويورك، ١٨/٨/٢٠٠٧

منظرٌ مشوَّشٌ

من غرفةِ نومِكَ

يبدو مبنى «الإمبايَر سْتَيت»

مختلفاً...

كان ضبابٌ صيفيٌّ يمسحُ، بالفرشاةِ، خطوطَ المبنى

و نتوءاتِ الذاكرةِ.

المطرُ الصيفيُّ، غزيراً كانَ، الليلةَ...

والنجمةُ حمراءُ

كما كانتْ أبداً...

....

....

....

في الصبحِ

سنجمعُ ما نملكُهُ في صُرّةِ قُطْنٍ سوداءَ

ونرحلُ في عرباتٍ من خشبٍ!

نيويورك، ٢٠/٨/٢٠٠٧

أمطارُ آب

دخانٌ، بلونِ السحابةِ
يصعدُ من سطحِ مبنىً جوارَ الكنيسةِ،
والمطرُ اشتدَّ
حتى لَواذِ العصافيرِ تحتَ النوافذِ.
ثَمَّ مبانٍ تلاشتْ ملامحُها
واستَكَنَّتْ إلى بعضِها:
قد تَوَحَّدَ مرأى الكنيسةِ والبنكِ...
سوف تكون الشوارعُ موحلةً
تحت أمطارِ هارْلِمَ.
أين ينامُ المشَرَّدُ؟
....
....
....
في الشارعِ
ارتَدَّ ضوءُ المرورِ إلى الأحمرِ.
المطرُ السيلُ أغلَقَ هذا السبيـل.

نيويورك، ٢١/٨/٢٠٠٧

لا تَقُلْ

حينَ تجلسُ، منفرداً، في الحديقة

حينَ تدنو من المرفأ

حينَ تشربُ، عجلانَ، كأسَ الجُعةْ

حينَ تمضي إلى ساحةِ السوقِ حيثُ الطيور

حينَ تسمع أغنيةً

ونوافيرَ ماءٍ تدور...

حينَ تدنو من المتشردِ في مَوهنِ الليلِ

حينَ القُمامةُ تعلو

وحينَ تضيقُ الشوارعُ...

حينَ المُغَنّي ينامُ الظهيرةَ،

حينَ الأسى...

حين تأخذ سيارةَ الأجرةِ، اليومَ، نحو المطارِ البعيد...

لا تَقُلْ في خفوتٍ: وداعاً!

لا تَقُلْ أيَّ شيء

للبلادِ التي أورَثَتْكَ الجنونَ

البلادِ التي هدمَتْ وطناً فوقَ رأسِكَ
واستأجرتْ زُمْرةَ القتلِ
واقتلعتْ من حديقةِ بيتِكَ معنى الغصون...

نيويورك، ٢٩/٨/٢٠٠٧

قريةُ البرابرة

فتحوا مصرفَهم في وسطِ القريةِ
كالقلعةِ في السوقِ،
وأعلَوا سورَهم، أعلى من النجمِ
وطاروا بجيادٍ من حديدٍ تحرسُ المصرفَ ليلاً،
ثم قالوا: فَلْنُقِمْ مأدُبةً عُظمى
لنأكلْ جِلْدَ خنزيرٍ
ونشربْ من دمِ الثورِ
ونلبسْ صوفَ جاموسٍ.
لقد كان مساءً صاخباً...
(كلُّ مساءٍ صاخبٌ في القريةِ)
الناسُ سكارى
ونيامٌ
وجنودٌ أدخَلوا ثُكْناتِهم لحمِهم...
....
....
....
لن يصدحَ القيثارُ

والقدّيسُ لن يأتي
ولا البلبلُ.
لن يختلفَ، البتّةَ، في القريةِ، نورٌ وظلام...

لندن، ١/٩/٢٠٠٧

قصائدُ الحديقةِ العامّةِ

كُتِبَت القصائدُ بين الحادي عشر من أيلول ٢٠٠٧
والرابع والعشرين من حزيران ٢٠٠٨

مَنْزَهُ الأنهارِ الثلاثةِ

The Three Rivers Park

أشرعةٌ بيضٌ

بَجعٌ أبيضُ
غيماتُ خريفٍ بِيض. . .

. . . .

. . . .

. . . .

ثمّتَ ما يجعلُ جِلْدي مرتجفاً:
أهوَ المشهدُ في لونِ براءتِهِ؟
أَمْ هوَ ما أسمَعُ؟
كانَ هديرٌ يخترقُ الجِلْدَ
أطائرةٌ
أَمْ شاحنةٌ؟
أَمْ ضجّةُ قتلى يقتتلونَ؟

. . . .

. . . .

. . . .

الشمسُ تُسَخِّنُ في المَرْجِ مراياها

والأشجارَ،

كأنّ ضُحى الجَنّةِ يفتحُ بَوّابتَهُ.

هل أدخلُ؟

نورسُ بَحرٍ من عَدَنٍ

ضَلَّ. . .

وها هو ذا يهبطُ مرتبكاً

بين البجعِ الأبيضِ

والأشرعةِ البِيض. . .

لندن، ١١/٩/٢٠٠٧

العاشقتانِ تحت المظلّة

ربّما ارتوَتا قبل أن تأتيا جنّةَ البارِ

تحتَ المظلّةِ

أو ربّما سوف ترتويانِ

إذا ما تمشّى النبيذُ الفرنسيُّ كالبُرْءِ في الدمِ

والخَدِّ

والرّاحَتَينِ. . .

المظلّةُ؟

أَمْ هيَ تلكَ المحطّةُ ذاتُ الوصولِ؟

سلاماً. . .

أقولُ لعاشقتَينِ تَمَرَّغَتا في هواءِ المظلّةِ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

كانت غيومٌ خريفيةٌ تَعْبرُ الأفْقَ

والشمسُ دانيةٌ،
ورَقٌ أحمرٌ في المَماشي
وفي مُتَعَرِّشِ زهرِ العسلْ!

لندن، ١٤/٩/٢٠٠٧

مخطوط

بين يدَيَّ المخطوطُ
المخطوطُ يُقَلِّبُ وجهي في الصفحاتِ الباليةِ
الصفحاتِ الجِلْدِ
الصفحاتِ الصُّفْرِ
الصفحاتِ السودِ
الصفحاتِ اللائي يتشرَّبْنَ هواءً من زمنٍ مسدودٍ. . .
كانَ خريفٌ يزحفُ كالتمساحِ
ويرسلُ غيماً جَوْناً يُطبِقُ منذُ الصبحِ على القريةِ والأشجارِ
وكان غرابٌ أسحَمُ ينعقُ من مئذنةٍ،
والمخطوطُ البالي يتفتّتُ بين يدَيَّ. . .
ولكني أتفتّتُ أيضاً بين يدَيهِ:
الصفحاتُ الباليةُ المسمومةُ تسحبُني نحو البئرِ
تُطَوِّحُ بي في البئرِ
البئرِ المَطْوِيّةِ
إلاّ من لَفْحِ هواءٍ من زمنٍ مسدود. . .

لندن ١٧/ ٩/ ٢٠٠٧

مقامٌ عراقيّ
مَعَ أغنية وبَسْتة

فلم نَدْرِ أيَّ الجَنّتَينِ نزورُ
كأنّ بليلى من شمائلِ دجلةٍ

تقَلُّبَ حالٍ، والمياهُ تدورُ
وفي دجلةٍ من طَبْعِ ليلى أناقةٌ

ونُضْرةُ وجهٍ مُتْرَفٍ وسرورُ

***

وَصَلْنا اليومَ، بعدَ الهَمّ، دجلةْ

وقالَ الربْعُ:
ماءُ الهمِّ دجلةْ:

سيوفُ الأجنبيْ، دارتْ عَلَيّهْ

***

وِشلُونْ عَيني، وِشْلُونْ

هذا الأمَلْ ينساهُم؟

راحوا ما ودّعونا

يوم النّصِرْ نلقاهُمْ

وِشلونْ عَيني، وِ شْلونْ!

لندن، ٢٠٠٧/٩/٢٢

طبيعةٌ

في تشرينَ الأولِ
في باريس،
الأشجارُ تغطّي الأرصفةَ المُغْبرّةَ
بالذهبِ.
الريحُ تخفِّفُ من وطأتِها
وتسيلُ مع الذهبِ...
الغاباتُ رسائلُ؛
ثَمَّ بريدٌ جوّيٌّ
من ريفٍ
يعلنُ: إني المنسيّ
أقيمُ هنا، بيتي، من ذهبٍ
وغبار...

باريس، ٥/ ١٠/ ٢٠٠٧

النظرة

خسارتُنا ليست الأرضَ. . .

فالأرضُ باقيةٌ.

هي باقيةٌ قبلَنا.

وهي باقيةٌ بعدَنا.

هي أرضُ المُغَنّينَ

والصامتين.

هي أرضُ المقيمينَ

والعابرين. . .

هي أرضُ الذينَ غدَوا جسدَ الأرضِ.

. . . .

. . . .

. . . .

لكنّ ما قد خسرناهُ لم يكن الأرضَ

إن الخسارةَ في نظرةٍ لم نَعُدْ نتبادلُها

نظرةِ الطفلِ
إذ يتقاسمُ، والطفلَ
كسرةَ خبزِ الشعير. .

باريس، ٠٦/ ١٠/ ٢٠٠٧

نافذة

الشرُفاتُ المفروشةُ بالحَصْباءِ
يحطُّ عليها الطيرُ
قليلاً
ويطيرُ. . .
امرأةٌ تفتح نافذةً
لتدخِّنَ.
(كانت تلبسُ ثوباً أسودَ يكشف منها الكتِفَينِ)
نسيمُ خريفٍ يتحرّكُ تحت سماءٍ زرقاءَ. . .
سماءٍ سابعةٍ؛
سأقولُ: صباح الخيرِ!
وأفتحُ نافذةً. . .

باريس، ٠٦/١٠/٢٠٠٧

قصيدة في يوم السبت اكتملتْ في يوم الأحد

ماذا سأفعلُ؟

قد خلتْ، منذ ارتحالِ الطيرِ، ساحتُنا. . .

وجاءَ الغيمُ.

جاءتْ، لا كما تأتي الفُجاءةُ، قطرةٌ أولى، فثالثةٌ.

ولكنْ لم يجئ مطرٌ.

أقولُ: حديقةُ السنجابِ والأيَلِ استحالتْ منزلاً لي. . .

سوف أهبطُ، هكذا، متدلِّياً بسجارتي وحبالِ أوراقي لأبلُغَ منزلي الممتدَّ من أُفُقٍ إلى أُفُقٍ. بُحيراتٌ تَرَقْرَقُ بغتةً، وتَرِقُّ. يوقظُني بها الإوَزُ العراقيُّ المهاجِرُ. هل سيُعلِنُ وقتَ إغلاقِ الحقيبةِ في الضحى الأبديِّ، طيرُ الطَيطَوى؟

الدنيا معلّقةٌ بشفرةِ عُشبةٍ. لا وقتَ لي. لا وقتَ حتى للحقيبةِ آنَ أُغلِقُها.

نسيمٌ عابثٌ يتخلّلُ الأوراقَ: أحياناً يُبَعثِرُها، وأحياناً يدور بها، بلا استئذانها، فتدورُ. . .

بردٌ جاءَ يخترقُ الزجاجَ مضاعفاً.

ماذا سأفعلُ؟

أفتحُ البابَ الخفيفَ لضيفتي:

سمَكاتُها عادتْ إلى النهرِ. البلادُ بعيدةٌ. وكذلك الأنهارُ. اسألُها ولستُ أريدُ من أحدٍ جواباً.
ساحةُ المَبنى معلّقةٌ. هواءٌ ثابتٌ. قدمايَ ثابتتانِ، لكني أطيرُ. الضوءُ ملتبسٌ.
سأتركُ للرياحِ وللطيورِ القولَ. كانت ضيفتي مفتونةً بفضيلةِ الأوراقِ. كانت ضيفتي مفتونةً باللونِ أسوَدَ. للأريكةِ في المساءِ مُلاءةٌ صفراءُ. ثَمَّ فراشةٌ من قُنّةِ الأنديزِ تتبعُني.
أقولُ لضيفتي: اتّكِئي علَيَّ، أنا، الضعيفِ، لتلبسي جسدَ الفراشةِ. أيّما امرأةٍ تجيءُ هنا، تصيرُ فراشةً. في الليلِ نستهدي بشمعِ النحلِ. عندَ الصبحِ نستعدي بجذعِ النخلِ.
مصرُ بعيدةٌ...
ماذا سأفعلُ؟

يَهدُرُ الطَّيَرانُ. بَرْقٌ في البعيدِ، وبينَ أشجارِ الصّنوبَرِ. عندَ أطرافِ البحيرةِ يَخْضِدُ الرعدُ الحشيشَ وزهرةَ اللبلابِ والقرّاصَ. قاعدةٌ وبُرْجٌ للمراقَبةِ. الجنودُ سيهبِطونَ.
لهم توابيتٌ وعُكّازاتُ جَرْحى. إنه الليلُ الطويلُ. وفي البلادِ تنامُ بغدادُ اليتيمةُ في ضفائرِها.
وتصحو الأعظميّةُ حينَ يشتدُّ الهديرُ المدفعيُّ. الحربُ تسكنُ ما يؤلِّفُ مشهدَ اللبِناتِ.
ما يُفضي إلى دربٍ. وما يصِلُ الشوارعَ بالشوارعِ. يَهدُرُ الطيَرانُ. ضاحيتي هنا لا تسمعُ الطيَرانَ، لا تدري بهِ...
ماذا سأفعلُ؟

لندن، ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٧

الوقتُ مُحْكَماً

منذ الآن، ستدخلُ في قوقعةٍ أصلبَ
قوقعةٍ تَنْدى في الفجرِ الأوّلِ كي تَظْمأَ طولَ اليومِ.
الساعاتُ خطوطٌ
والأعوامُ دوائرُ
والتاريخُ هو اللحظةُ.

. . . .

. . . .

. . . .

هل أنت سعيدٌ؟
هل أنتَ شقيٌّ؟
هل ترغبُ في أن تخرجَ من هذي القوقعةِ
القوقعةِ/ الحُلْمِ
القوقعةِ / الحِصنِ
القوقعةِ المُلْتَفّةِ حولَ قميصِكَ مثلَ قِباءِ رصاصٍ؟

. . . .

. . . .

. . . .

حسناً!

ماذا تفعلُ في آخرةِ الليلِ لو اخترقتْ جدرانَ القوقعةِ

الصيحاتُ . . .

الصيحاتُ النُّعْمى

صيحاتُ البطِّ البرّيّ؟

لندن، ٠٥/١١/٢٠٠٧

علاقةٌ مُراوِغةٌ

كما يَطْلُعُ الصبحُ

تأتي إليّ البحيرةُ، ناهضةً، وهي مثقلةٌ بالنعاسِ

البحيرةُ تلبسُ ثوبَ الضّبابِ الشفيفَ

البحيرةُ تحملُ أشجارَها نحو نافذتي

والبريقَ الرصاصيَّ. . .

فاتَ أوانُ الطيورِ التي استيقظتْ قبلَنا.

والطريقُ الذي يقطعُ القريةَ اكتَظَّ بالمِرْكباتِ.

البحيرةُ هادئةٌ.

سوف تنزعُ ثوبَ الضّبابِ الشفيفَ

وتدنو قليلاً، قليلاً، قليلاً. . .

. . . .

. . . .

. . . .

أتُمْسِكُ بي

أم تُراني سأُمسكُها؟
أم نحاولُ ثانيةً أن نكون. . .

لندن، ٠٦/ ١١/ ٢٠٠٧

أيّامُ العملِ السِرّيّ

كنتُ أراقِبُ في عينيها ما كانت تَجْهَدُ أن تُخفيهِ:
ليالي العملِ السِّرِّيّ
بيوتَ الحزبِ
ومطبعةَ المنشوراتِ المحمولةَ في صندوقٍ خشبٍ. . .
ذاكَ الرعبَ من الإعدامِ، الغائرَ مثلَ حصاةِ رصاصٍ في الرأسِ.
تقولُ:
سقى اللهُ، بما يسقي، تلكَ الأيامَ!
لقد كنتُ فتاةً دون العشرينَ
مغامِرةً
أحمِلُ مِطواةً لِلّحظةِ
آنَ يكون الموتُ حياةً. . .
آنَ أكونُ الأجملَ!

. . . .

. . . .

. . . .

أنت الآنَ تراني
حسناً!

لكنْ، بعد دقائقَ، أو ساعاتٍ
سنكونُ بعيدَينِ
بعيدَينِ تماماً
حتى عن ذكرى هذا البارِ المكتظِّ بأهلِ المسرحِ
هذا البارِ البارِدِ
حيثُ تدفّأْنا بنبيذٍ

وبأيامٍ لن أستقبلَها حين تعود. . .

لندن، ٠٧/١١/٢٠٠٧

قصيدةٌ يائسةٌ

البلادُ التي نحبُّ انتهت من قبلِ أن تولَدَ. . .
البلادُ التي لم نُحبِبِ استأثرتْ بما قد تَبَقّى من دمٍ في عروقِنا.
نحنُ كنا أهلَها. . .
قُلْ: بَلى. . .
ولكنْ توَلاّنا سعيرٌ من أولِ الخَلْقِ.
هل كنّا نياماً
أم غافلِينَ؟
وهل كانت مشاحيفُنا تلُفُّ لنا البُرديَّ أنشوطةً. . .
وهل كانت الطيرُ طيورَ الجحيم؟
لم يبقَ عندي من ترابٍ أريدُ أنَ يتلاشى
هابطاً من أصابعي. . .
سكَنَ الوقتُ.
. . . .
. . . .
. . . .

البلادُ التي نحبُّ انتهتْ. . .

لندن، ١٧/ ١١/ ٢٠٠٧

اللغة الأولى

ببغاواتٌ سبعٌ، خُضرُ الريشِ، حططْنَ على غصنَينِ من الشجرةْ
تلكَ المتوحِّدةِ
المقرورةِ في وسطِ المَرْجِ. . .
الداخلِ في بيتي من نافذةٍ يعرفُ أن يفتحَها حتى لو خَفِيَتْ.
ببغاواتٌ سبعٌ في الصبحِ الطلْقِ،
سماءٌ زرقاءُ
وريحٌ خافتةٌ. . .
لم يستيقظْ أحدٌ بَعدُ،
ولم يتردّدْ بوقٌ. . .
تلك الببغاواتُ السبعُ خلعْنَ، كثوبٍ خَلِقٍ، لغةَ القفصِ البشريّةَ
كي يذهبْنَ بعيداً. . .

لندن، ٢٠٠٧/١١/٢٧

نحتفي بالرماد

لِمَ لمْ يسقطِ الثلجُ؟
كنّا على موعدٍ معه منذ عامٍ،
وكنا نقولُ: لَئِنْ سقطَ الثلجُ دُرْنا نرودُ مَفازاتِهِ راقصينَ. . .
السماءُ تكون ادَّنَتْ
والثعالبُ قرب البيوتِ
الأرانبُ تُتْلِعُ آذانَها
والشعاعُ الذي غادرَ الشمسَ يَجْمَدُ منتصباً في الهواءِ الشفيفِ. . .
ولكننا في منازلِنا:
لِمَ لَمْ يسقطِ الثلجُ؟
كنا على موعدٍ معه منذ عامٍ،
وكنا نقولُ: لَئِنْ سقطَ الثلجُ قُمنا لندفنَ موتىً لنا
فالجنود يكونون قد غادروا نحو ثُكْناتِهِم
والغرابُ المُحَوِّمُ قد ضاقَ بالبردِ والجوعِ
(كنا دَفَنّا أولئكَ في لحمِنا)
أينَ نذهبُ؟
لم يسقط الثلجُ. . .
كنا على موعدٍ معه منذ عامٍ،

وكنّا نقولُ: سنمحو به ما تراكمَ في جِلْدِنا من سِخامٍ

ولكنْ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

إذاً

هل سننتظرُ النارَ؟

هل نحتفي بالرماد؟

لندن، ٢٠٠٨/٠١/٠٤

«نابل»(*) في الشتاء

تتجمّعُ الأمطارُ في كانون

طولَ العامِ تنتظرُ المدينةُ قطرةً، وتَئِنُّ. يبدو المَرْجُ بُنِّيّاً وأزرقَ في المساءِ.

وفي المساجدِ سوف تَستسقي الصلاةُ النَوءَ. هل تأتي إلينا القيروانُ ثقيلةً بالقَحْطِ والتاريخِ؟ نحنُ هنا السواحلُ، عِرْقُنا ذَهبٌ: أغارقةٌ، ورومانٌ، أمازيغٌ. . .

هنا، في المعبدِ المنهارِ، في ليلِ اليراعاتِ المُضيءِ، نقومُ: حوريّاتُنا يضحكنَ في الحَمّامِ، يستعجِلْننا.

تتجمّعُ الأمطارُ في كانون. . .

في الكورنيشِ، صيّادونَ لم يَحْنوا الجباهَ لسطوةِ الأنواءِ، بضعةُ فِتْيَةٍ تاهوا مع الفتَياتِ. في الكورنيشِ ذكرى أو رسائلُ. كان كِشْكُ مثلّجاتٍ يحتمي بالريحِ.

سوف نكون، في مَغْنىً، هنا!

«الروتوندُ» ماثلةٌ، هي الكورنيشُ والبحرُ، المَقامُ بلا وَلِيٍّ، والولايةُ دونَ والٍ.

إنّ «نابلَ» تحتمي بالبحرِ،

«نابلُ» تدفعُ الصحراءَ عنها، والأذى. . .

تتجمّعُ الأمطارُ في كانون. . .

كان السوقُ مفتوحاً، وكان المطعمُ الشعبيُّ (لَبلابي وصحنٌ تونسيٌّ) مقفراً. هيَ جَوعةُ الزرزورِ. لا سوّاحَ. لا أشباحَ. أحياناً يوَدُّ المرءُ أن يُصغي إلى ما ليسَ يُسمَعُ. . . .

هل صليحةُ ههنا؟ سأسيرُ في السوقِ. الدكاكينُ الصغيرةُ مثقلاتٌ. قالَ لي ولدٌ يُرَبِّي لحيةً:

إن البضائعَ كاسداتٌ. لا زبائنَ.

«نابلٌ»، كالنسوةِ الإغريقِ، تهجعُ بانتظارِ البحرِ. . .

مَنْ يأتي غداً؟

تتجمّعُ الأمطارُ في كانون. . .

لندن، ٢٠٠٨/٠١/٠٦

(*) نابل (نيابوليس الإغريقية) مرفأٌ تونسيّ على الرأس الطيّب.

مثلّثٌ مقلوبٌ

أتسمعُ الريحَ؟ ...Woo... Woo... Woo

أتسمعُها تئِنُّ في الغابةِ؟

الأمطارُ ترفعُ نهراً طائراً في الهواءِ،

القطّةُ اختبأتْ في الركنِ. . .

كم من شتاءٍ مَرَّ!

كم مطرٍ. . .

كم!

لندن، ١٥/ ٠١/ ٢٠٠٨

ثلاثيّةٌ أيضاً...

كم قلتُ لكِ: الليلةَ لاتأتي...

أنا مَرمِيٌّ في أسفلِ بئرِ السُّلَّمِ. كم حاولتُ (الأمرُ لعِدّةِ ساعاتٍ) أن أخطو، حتى أُولَى خُطُواتي، لكني احسستُ بأني ملزوقٌ، أني مخلوقٌ من سالفِ أيامِ الخَلْقِ، بلا قدمَينِ... أنا الزاحفُ. لا يمكنني أن أزحفَ. لستُ التمساحَ، ولا يمكنني أن أسعى، لستُ الحيّةَ. مرميٌّ في أسفلِ بئرِ السلَّمِ. أسمعُ من حيثُ انا، المطرَ المُسّاقِطَ، أسمعُ بين الغفْلةِ والأخرى طيراً ليليّاً

هل أنا أسمعُ صوتي؟

كم قلتُ لكِ: الليلةَ لاتأتي...

سيكون فراشي خشباً بمساميرَ. الغابةُ في ما يبدو خلفَ بُحيرةِ قارونَ تعالتْ في شِبْهِ تهاويلَ. نباتٍ يُسْمى شجراً، لكنّ الأغصانَ تُدَلِّي أذرعةً ورؤوساً. لن يأتي الطيرُ، ولن أشهدَ أغنيةَ السنجابِ على العشبِ. الساحةُ مقفرةٌ منذ سنينَ...

قرونٍ؟ قد كنتُ رأيتُ، ولكنْ قبلَ سَبِعْمائةٍ، ما أوشكَ أن يغدو مَرْكَبةً لفضائيينَ. بساطاً للآتي. لكني الآنَ سجينٌ في بئر السلَّمِ

هل أنا أسمعُ صوتي؟

كم قلتُ لكِ: الليلةَ لا تأتي...

هل يتفكّرُ مَن في بئرِ السلمِ؟ أعني ما معنى أن يتفكّرَ مَن في بئرِ السلّمِ؟ في الساحةِ يحتشدُ المحتفلونَ. وثمّتَ أضواءٌ وتهاليلُ. نبيذٌ يُمْتَحُ من بئرٍ. كانت شمسٌ ذاتُ وَقودٍ ذَرّيٍّ تتألّقُ في الساحةِ. ما معنى أن أتذكّرَ، ضبطاً في هذي اللحظةِ، أنّ العقعقَ أبيضُ / أسْودُ؟ أن السلَّمَ يُمْكِنُ أن يُرقَى، أنّ بلاداً كالبصرةِ يمْكنُ أن تُمْحَى في لحَظاتٍ، أنّ عراقًا لم يكُنِ، البتّةَ، بيتي...

هل أنا أسمعُ صوتي؟

كم قلتُ لكِ: الليلةَ لا تأتي!

لندن، ١٨/٠١/٢٠٠٨

مصطفى المصريّ

له اسمُ النبيِّ وسِيماؤهُ
وله العُدّةُ الخشبيّةُ:
خِرْقتُهُ، والفَراشي، وأصباغُهُ
وله شارعُ الحيِّ...
كلُّ المقاهي له
والموائدُ
حتى رصيفُ «المحافظةِ» الساحليةِ مِلْكٌ له...
السائحونَ وما انتعَلوا
والجنودُ،
ومَن قَدِموا بالمُعَدِّيَةِ...
....
....
....
الصبحُ شِبْهُ ضحىً
والنسيمُ الذي يحملُ النيلَ نحو المدينةِ يَدْفأُ
كان الزجاجُ ثخينَ الترابِ بمقهى المحلّةِ
والشايُ يهدأُ في الكوبِ...

قلتُ له: مصطفى!
أنت تصبغُ أحذيةَ الناسِ منذُ الصباحِ...
أتقرأُ في المدْرسةْ؟

. . . .

. . . .

. . . .

مصطفى ليس يقرأُ:
يصبغُ أحذيةَ الناسِ
هذا النبيُّ اليتيم!

لندن، ١٦/٠٢/٢٠٠٨

رمسيس الثاني

ستّ عشرةَ منحوتةً حملتْ وجهَكَ. . .
البهوُ أنت
الجنود المحيطون بالبهوِ أنتَ
المسلّةُ أنتَ
البحيرةُ حيث اعتلى قاربُ الشمسِ أنتَ
لك الأقصُرُ
النهرُ والبَرُّ
والكرْنكُ الضخمُ أنتَ. .
وما خَلَّفَ السَّبْيُ أنتَ
السُّلالاتُ والطيرُ أنتَ
وأنتَ المُسَمّى بما لستَ أنتَ. . .
كأنّ التواريخَ لم ترَ وجهَكَ. . .
لم تلمُسِ الطفلَ في شفتَيكَ
ولم تبصرِ النورَ في مقلتَيكَ. . .
. . . .
. . . .
. . . .

لماذا أقولُ لك الآنَ:
إني أُسَمِّيكَ. . .
أنتَ المُسَمّى بما أنتَ
أنتَ الجميل!

لندن، ١٧/ ٠٢/ ٢٠٠٨

المُهْرُ في القُرْنةِ (البرّ الغربيّ)

مُهْرٌ وليدٌ منذُ يومَينِ،

الحظيرةُ كانت البستانَ

أضغاثٌ من البرسيمِ تمنحُ أرضَها ضَوعاً من الحقلِ المُرَنَّحِ بالضياءِ وبالضَّياعِ

وذلك المُهرُ الوليدُ مُرَنّحٌ

كانت قوائمُهُ غضاريفَ. . .

الحظيرةُ تنحني لتكون بيتاً

أُمُّهُ الفَرَسُ الجميلةُ هيّأتْ في البيتِ زاويةً ومأوىً

أُمُّهُ الفرَسُ الجميلةُ تنحني لتُقَبِّلَ المُهرَ

القوائمُ غضّةٌ

والكونُ أخضرُ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

سوف يعْدو المُهرُ

يعدو المُهرُ

يعدو . . .

لندن، ١٨/ ٠٢/ ٢٠٠٨

الثوبُ المرمرُ

كانت المرأةُ في لحظتِها:
إنَّ الذراعَ اللدْنةَ اليُمنى على كتْفِ الحبيبِ
القدَمانِ اصطكّتا مِن قبلِ أن تنفرِدا
والثوبُ يرجو أن يشِفَّ. . .
الوجهُ، كالغافلِ، يبدو غائباً في نشوةٍ سِرِّيَّةٍ
والثوبُ يرجو أن يَخِفَّ
الثوبُ يرجو أن يشِفَّ. . .
الساقُ لم تلتَفَّ
كان الثوبُ، في ثَنْيَتِهِ، يستبِقُ الساقَ
وكان الرجلُ (الفرعونُ؟) في هدأتِهِ
ينتظرُ. . .

لندن، ٢١/٠٢/٢٠٠٨

مطعمٌ شِبْهُ أميركيّ

كان المطعمُ، شِبْهَ أمَيركيٍّ، في كِنْجزْ سِتْرِيت، بهامَرْسْمِث

King’s Street in Hammersmith

المطعمُ كان يقدِّمُ مَشويّاتٍ:

أجنحةً، وضلوعاً، وإلخ...

ويقدمُ أنبِذَةً ليستْ غاليةً

وأرائكَ جِلْداً...

لم أعرفْ إسمَ المطعمِ

لكني أسرعتُ لأدخلهُ...

أُجْلِسْتُ إلى المائدةِ الرابعةِ.

....

....

....

المرأةُ قد تتأخّرُ

المرأةُ قد تأتي

المرأةُ جاءت...

جاءتْ ضبطاً في السابعةِ.

المعطفُ أسودُ

خُصلةُ شَعرٍ فاحمةٌ تتدلّى فوقَ جبينِ الفضّةِ.
قالتْ ناديةُ العَجلى: لم أتأخّرْ.
ألقت بحقيبتها الرقطاءِ على كرسيٍّ
غاصتْ في دفءِ أريكتِها
واختارتْ أن تجلسَ، نصفَ مُلاصِقةٍ، جنبي...
قالت ضاحكةً:
كان قطاراً مزدحماً...

....

....

....

لم أدْرِ لماذا أحسستُ بغيمةِ أدخنةٍ تتدلّى من سقفِ المطعمِ
ولماذا كان هديرٌ من طيَرانٍ يخترقُ الجلسةَ...
قلتُ لها:
ناديةُ...
المطعمُ مختنقٌ!
قالتْ لي ضاحكةً:
وحدَكَ أنتَ المُختنقُ الآنَ...
ضحكتُ...

....

....

....

بعد الكأسِ الأولى لنبيذٍ إسبانيٍّ مجهولٍ

بدأتْ ناديةُ العزفَ على وترٍ منفردٍ:
ما أجملَ أن نسكنَ في الوطنِ!
العائلةُ
الشايُ صباحَ العيدِ
الفاكهةُ الأحلى
طَعْمُ الماءِ
المطرُ المُوحِلُ
تلك الشمسُ القاتلةُ...
الحشراتُ،
الثلجُ على القِمَمِ
السمَكُ الفضّةُ في الوديانِ...
أتعرفُ أني الآنَ أُحِسُّ بأني امرأةٌ أُخرى؟
حقاً، قد عُدتُ إلى بيتي بالضاحيةِ البيضاءِ
ولكنّ البيتَ هنا لم يَعُدِ البيتَ...
البيتُ هنالكَ حيثُ الأسلافُ ينامون طويلاً!
....
....
....
هل تعرفُ، يا سعدي، أني في لندنَ أختنقُ؟

لندن، ٢٩/٠٢/٢٠٠٨

إلى سركون بولص

البحيرةُ التي تلتمعُ في البعيدِ
البحيرةُ التي تلتمع في المساء المبكِّرِ
البحيرةُ التي تلتمعُ بين أشجار الشتاء المُعَرّاةِ
البحيرةُ التي ماؤها رصاصٌ
البحيرةُ التي لا سبيل لنا إليها
هذه البحيرةُ سنظل نرصدُها، غافِلِينَ عنّا.

*

يومَ كانت أثينا تجيءُ مع البحرِ والورقِ، استيقظتْ نحلةٌ في الوريدِ.
المُغَنِّي تَرَنّحَ. والقصبُ الغَضُّ في الهَورِ مالَ. السماءُ
لها وردةٌ. أينَ نسكنُ؟ قُلْنا: سنسكنُ في الأُغنياتِ. وماذا سنَطْعَمُ؟
قُلْنا: رحيقَ البراري.

*

المدينةُ التي لم تتشكّلْ بَعدُ
المدينةُ التي ليس فيها شارعٌ واحدٌ
المدينةُ التي لا تصنعُ إلاّ السجائرَ
المدينةُ التي أضاعت مفتاحَ بوّابتِها

المدينةُ التي تنتظرُ البرابرةَ
هذه المدينةُ سوف نشقُّ فيها نهراً للهتاف.

❊

ولْيَكُنْ!
قد تكونُ أثِينا وأبوابُها المائةُ، الآنَ، في مَدخَلِ السجنِ!
نضحكُ في وجهِ سَجّانِنا. الليلُ في القلعةِ اكتظَّ بالنجمِ أحمرَ.
والليلُ يلعبُ في النهرِ. كانت أثِينا تَلُوحُ. وكانت تُلَوِّحُ
والسجنُ يطفو خفيفاً على الماءِ. كنّا على الماءِ نمشي.

❊

القطارُ الذي مَدَّ سِكَّتَهُ الهنودُ والأسرى
القطارُ ذو العرباتِ الخشب
القطارُ الذي ليس فيه ماءٌ
القطارُ الذي يعوي في ليل المتاهةِ
القطارُ الذي لا يحبُّه البدوُ ومتمرِّدو العشائر
هذا القطارُ سيأخذنا، مكبَّلِينَ...

❊

لن نقولَ لبيروتَ شيئاً.
سنشربُ قهوتَنا، مثلَ ما يشربُ الناسُ قهوتَهم في مقاهي
الرصيفِ. نخبئ أسرارَنا في ابتسامتِنا. ثم نسألُ: والبحرُ؟
أهيَ أثِينا على الشاطئ الآخَرِ؟ المرفأُ المُتطامِنُ
حيثُ الطريقُ لها: المارجوانا... وجوعُ الطيور.

❊

أميرِكا التي ذهبْنا إليها في الأقاصيص

أميرِكا التي يذهبُ إليها الآشوريّونَ ليتكلّموا بلُغتِهِم

أميركا التي لسانُها ذهبٌ

أميرِكا التي حملتْنا النسورُ إلى براريها

أميرِكا التي أحببْنا

أميرِكا، هذه، خذلتْنا مثلَ إلهٍ ساقطٍ.

*

جُعَةٌ، أو نبيذٌ. قليلٌ من الخبزِ. نقلي بزيتِ المكائنِ لحماً قَدِيداً ونرمي به بيضتَينِ. ملابسُنا الداخليةُ مَلَّحَها العرَقُ المتخثِّرُ. كم مرّةٍ كادَ يُغْمى علينا... الدروبُ التي لا تؤدِّي تطاردُ أحذيةً مزَّقَتْها الصخورُ.

ولكننا نقرأُ. الأرضُ مِلْكٌ لنا. ونحِبُّ النساءَ الجميلاتِ. نفرحُ حتى نُجَنّ.

*

أَثِينا التي قد أضَعْنا

أثينا التي قد قصَدْنا

أثينا التي لن نرى

أثينا التي في ظلامِ القُرى...

أثينا البهيّةُ جاءتْ أخيراً لتأخذنا نائمين...

لندن، ١١/٠٣/٢٠٠٨

مُقامُ المَرء

لا سماءَ لَيَخْفُقَ فيها جناحاكَ . . .

تَنْظُرُ:

ماءٌ رمادٌ على الشرفةِ. الوقتُ ليلٌ، وإنْ كنتَ في مستهَلِّ الظهيرةِ.

والشجرُ الجَهْمُ صارَ صخوراً لها هيأةُ الشجرِ. احترْتُ كيف أُسَمِّي

الهواءَ الذي ليسَ يُسْمَى. أ أنتَ المُقِيمُ هنا؟

لا سماءَ لِيَخْفُقَ فيها جناحاكَ . . .

تسمعُ؟

لا شيءَ. لا هَفّةٌ من حمامةِ دَغْلٍ. ولا رَفّةٌ من غصونٍ.

كأنّ بني آدمَ ابتلعوا قُفّةً من حبوبٍ وناموا إلى أبدِ الآبدينَ.

وما كان ساحةَ قريتِكَ ارتَدَّ نحوَ زمانٍ قَصِيٍّ حينَ لم تَكُ ثمّتَ من قريةٍ.

يا مقيماً هنا!

لا سماءَ لِيَخْفُقَ فيها جناحاكَ . . .

. . . .

. . . .

. . . .

من أينَ هذا الشميمُ؟

رغيفٌ من الخبزِ لَمّا تزَلْ فيه رائحةُ النارِ. بِضْعُ شِباكٍ من النهرِ تُسْحَبُ.

قنطرةٌ من جذوعٍ تآكَلَ أسفَلُها. عرقٌ من قميصِ أبيكَ. روائحُ جدِّكَ هنديّةٌ. والدِّبْسُ يَقْطُرُ من مَكْدَسِ التَّمْرِ. مَن أوقَدَ النارَ؟

مَن قالَ لي:

لا سماءَ لِيَخْفُقَ فيها جناحاكَ...

مَنْ؟

لندن، ٢٠٠٨/٠٣/١٤

حالةُ البحّار

أفكِّرُ أحياناً بأني مُضَيَّعُ الأحاسيسِ، مقذوفٌ
من البحرِ نحوَ ما تراءى كجِلْدِ التَّيسِ في الشاطئ
الذي تدِبُّ بهِ حُمْرُ السَّراطينِ.
موجة لها حِرْبةُ الصيّادِ تُمسِكُ بالمَطا. . .
وترفعُني. ما أيسرَ الموتَ! ليته يكِفُّ قليلاً
عن أغانيهِ. . . لم أعُدْ أهابُ. . . أنا المرفوعَ
بالموجِ أرتدي دروعيَ عُرْياً سابغاً.
كانَ جدولٌ من الماءِ رقراقاً على الشاطئ.
المدى شفيفٌ، وفي عينيَّ تبدو يمامةٌ.
أأسمعُ أصدافاً تئِنُّ؟ هل انتهتْ إلى المُرتَمى
هذا رياحٌ تَناوَحَتْ لشهرَينِ ملعونَينِ؟ مُلْقىً،
و أتّقي مَتاهي بجِلْدِ التَّيسِ. . . أُحْصي ضفائري.

لندن، ٢٠٠٨/٠٣/١٨

تميمةٌ

سأتَّقِي بِضْعةً مني
أقولُ: إذا كان الحنينُ دواءً، فَلْيَكُنْ لَبِقاً
مثلَ الحبوبِ التي في الطبِّ:
واحدةٌ منهنّ تكفيكَ شهراً!
لا يليقُ بِمَنْ رأى من الأرَضِينَ السَّبْعِ سابعةً
أن تستبدَّ بهِ أرضٌ
وإنْ رضِيَتْ بِاسْمِ العراقِ...
كأنّ الروحَ أرهَفُ من أن تسكنَ الأرضَ:
إن الأرضَ مُنْطَلَقُ!

لندن، ١٩/ ٠٣/ ٢٠٠٨

دَنَفٌ

أعرفُ أن المرأةَ تغفو الآنَ، مُنعَّمةً،
بين ذراعَي رجلٍ آخرَ
في نُزْلٍ آخرَ
في ضاحيةٍ أخرى. . .
لكني لا أعرفُ إنْ كان الرجلُ الآخرُ يعرفُ منها ما أعرفُهُ:
وَشْمَ الوردةِ في إلْيَتِها اليسرى
صرختَها إذْ تصِلُ الذِّرْوةَ
رائحةَ النَّدِّ الهنديّ بإبْطَيها
أو أغنيةَ الطفلةِ آنَ تُفيقُ صباحاً. . .
. . . .
. . . .
. . . .
لستُ أُصَلِّي كي ترجعَ لي ثانيةً. . .
لكني سأكونُ سعيداً!

لندن، ٢٠/٠٣/٢٠٠٨

الفِصْحُ في كاثدرائية سالِزْبَري

Easter in Salisbury Cathedral

ثلجٌ خفيفٌ
مثلَ نُفَّاشٍ من البُرْديّ في الريحِ
الزجاجُ يشِفُّ،
والعشبُ الذي يشتاقُ أن يَخْضَرَّ يَقْبَلُ بالبياضِ الآنَ.
طيرٌ واحدٌ متأخرٌ يمضي إلى ما لا يراهُ الناسُ.
في سالِزْبَري: القدّاسُ...
عيدُ الفِصْحِ منكمشٌ من البردِ.
المدينةُ آثَرَتْ أن ترمِيَ الدِّينَ العجيبَ إلى رجالِ الدِّينِ.
سوف تنامُ حتى الظُّهرِ.
....
....
....
لا قُدّاسَ في الثلْجِ!

لندن، ٢٤/٠٣/٢٠٠٨

سأكتب مثل عازف البيانو

وإذْ يدخلُ الثلجُ من شِقٍّ نافذتي
ينبِضُ الصّمتُ مثلَ البِيانو. . .
وألتفتُ:
اللحظةَ
اللحظةَ. . .
الأرضُ تُصغي إلى الثلجِ.
والأفْقُ أبيضُ.
ينهمرُ الشِّعرُ مثلَ البِيانو. . .

لندن، ٢٤/ ٠٣/ ٢٠٠٨

احتِرافٌ

لَكَم حاولتُ أن أبقى طويلاً. . .
ولأقُلْ خمساً من الساعاتِ
أو سِتّاً
بذاك البارِ في الحَيّ القديم، مجاورَ الباستِيلِ. . .
كَم حاولتُ أن أبقى هناكَ!
سجارتي الجِنِّيّةُ الملفوفةُ:
الجِيتانُ في ورقٍ من الذُّرَةِ.
النبيذُ المنزليُّ بِدَوْرَقٍ،
واللحْمُ يؤكَلُ نَيِّئاً في صَحْفةِ التَّتَرِ. . .
الدخانُ يظلُّ منعقداً
وأزرقَ.
كنتِ أنتِ، بهيّةً، تنجابُ عنكِ سحابةُ الجِيتانِ
فارعةً
وضاحكةً
كأنكِ لم تكوني منذُ أن طلعَ الصباحُ وراءَ هذا البارِ. . .
كم حاولتُ أن أبقى طويلاً!
قلتِ لي:

عُدْ في المساء. . .

. . . .

. . . .

. . . .

ولم تعودي!

لندن، ٢٤/٠٣/٢٠٠٨

ليسَ مِن تَلاعُبٍ

لِمَن أكتبُ الآنَ؟

لا شأنَ لي بالعراقِ، ولا بالعواصمِ.

لا شأنَ لي بالصداقاتِ فاترةً

أو بالنساءِ اللواتي تَخَلَّيْنَ عني.

و لا شأن لي بالبنادقِ والطائراتِ المُغِيْرةِ،

لا شأنَ لي بنوادي الرياضةِ

لا شأنَ لي بانتخابِ الرئيسِ

ولا بالمَصارفِ،

لا شأنَ لي بالعناوينِ في صُحُفِ اليومِ

لا شأنَ لي بالطعامِ الذي أتناولُ

أو بالقميصِ الذي كنتُ ألبَسُهُ أمسِ

لا شأنَ لي بالبريدِ

ولا بالحديدِ الذي قد يفُلُّ الحديدَ. . .

و لا شأنَ لي بالكتابِ

وأهلِ الكتابِ. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

لِمَنْ أكتبُ الآنَ؟

❊

أكتبُ كي لا أموتَ وحيداً!

لندن، ٢٥/٠٣/٢٠٠٨

سماءٌ مُوازيةٌ

«إلى جليل حيدر»

الطريقُ التي تجعلُ العرباتِ الجَموحاتِ يَدْرُجْنَ في شبهِ مسْبِحةٍ
وصنوفُ الشجرْ
والمقاهي التي تتوازى مع الأرصفةْ
وانطباقُ الشفةْ
والحدائقُ إذ تستطيل
وخطوط القميص
وسترةُ باريسَ، تلك التي لاتزال تحِنُّ إليها
وتَدفأُ في صوفِها اللدْنِ
والماءُ في برزخِ البحرِ وسْطَ المدينةِ
والرفُّ في غرفةِ الفندقِ
التلفزيون
والشُّرُفاتُ التي لاتزال فرنسيةً بَعْدَ حربَينِ
تلك خطوطُ الستائرِ
كانت خطوطُ الحديدِ بأقصى المحطّةِ مبْتلّةً
مثل أعمدةٍ سقطتْ من سماءِ الربيعِ المبكِّرِ

كانت صفوفُ الكراسي
تواجِهُ خطّاً من العازفينَ على مسرحٍ مزعجٍ.
عبْرَ أرضيةِ القاعةِ الخشبِ... انزلَقَ الماءُ.
بحرٌ قريبٌ
وجسرٌ إلى قارةٍ سوف تَبلُغُ بحراً بعيداً.
ستأتي إلى البارِ أُولى النوارسِ.
سحْبةُ قوسِ الكمانِ...
السفينةُ تطفو على الصحنِ.
نهبطُ من سُلَّمٍ
درْجةً
درْجةً
لنكونَ على ساحلِ البحرِ...
ثَمَّ الشِّباكُ التي نُشِرَتْ تحت شمسٍ بلا وقدةٍ.
والصناديقُ، تلك التي ضَوعُ أسماكِها في المطابخِ.
كلبٌ تَمَدَّدَ...
والعرباتُ التي حملَتْها صباحاً تنامُ إلى الفجرِ.
كان المؤَذِّنُ ينشرُ آياتِهِ في سماءٍ محايدةٍ...
لن تكونَ القلاعُ المدينةَ.
بُرْجٌ
وبرجٌ
وبرجٌ
وسربُ حمامٍ يطيرُ إلى الغربِ كالخيطِ...

أفْقٌ يضيعُ.
السفائنُ مقلوبةٌ كالصراصيرِ.
موجةُ مِلْحٍ.
رذاذٌ.
بلادٌ أقامتْ تضاريسَها تحت أثوابِها.
هل تكونُ السماءُ التي نرتجيها مضاعَفَةً كالسماءِ؟
النوافذُ قد غلَّقَتْها ستائرُ بيضاءُ
والأرضُ منسيّةٌ تحتَ قارٍ ثخينٍ.

. . . .

. . . .

. . . .

سألتُكِ:
مُدِّي ذراعَيكِ مبسوطتَينِ.
انشُرِي في مَهَبِّ الصباحِ عباءتَكِ.
ابتَهِلي... لي... ولِي
ابتهِلي... لي... ولي.
وَلْوِلي
ولوِلي
ولوِلي!

مالْمو (السويد)، ٠٦/ ٠٤/ ٢٠٠٨

قصائدُ فُورْتَيْسّا

«فورتَيسا قلعةٌ أَتَمَّ النمساويون بناءَها في العام ١٨٣٨ في جنوبيّ التيرول (النمساويّ آنذاك)، تحسُّباً من نابوليون الذي كان يدقّ على أبواب أوربا القديمة بجيش من الحفاة، وبرايات مثلثة الألوان، هي رايات الثورة الفرنسية.

أتيحتْ لي فرصة أن أزور القلعة، وأن أظل لها مجاوراً، بين الحادي عشر من نيسان ٢٠٠٨ والثامن عشر منه.

استذكرتُ وتأمّلتُ، وتمّتعتُ بمرأى القمم الثلجية، وبهديرِ الماء المنحدرِ من الأعالي:

إنه الألْب!

كتبتُ ثماني قصائد، مُنَجَّمةً كالآتي:

قلعة السماء البيضاء ١٢/ ٤ ـ سوق السبت في بولزانو ١٢/ ٤ ـ ليل البحيرة المتجلدة ١٢/ ٤ ـ الشمس التي لا تأتي ١٣/ ٤ ـ سأنتظر ١٤/ ٤ ـ الموعد ١٤/ ٤ ـ مدخل سِرّيّ إلى قلعة فورتَيسّا ١٥/ ٤ ـ تهليلةٌ ـ ١٦/ ٤

القلعة الآن هي في الجانب الإيطاليّ، لكنها كانت حتى ١٩٢٠ جزءاً من التيرول النمساويّ»

س. ي

قلعةُ السماءِ البيضاءِ

Fortezza

يأتي الربيعُ متأخراً. ليس لأن الشتاءَ طويلٌ.
الربيع يأتي متأخراً لأنه سيكون ثلاثةَ فصولٍ.
ثلوجُ نيسان لن تذوبَ كالآيس كْرِيم.
البحرُ الأسودُ يُلَوِّحُ لها من بعيدٍ: اذكُريني.
الدانوبُ
سيظلّ مترقرقَ الحصا. والفتياتُ يَغْدونَ أجملَ.
الصنوبرُ في الوادي سوف يصعد إلى السفح.

أسمعُ في الليلِ المطرَ المتناوِبَ والثلجَ
وأسمعُ في الليلِ الريحَ تئِنُّ على الشُّبّاكِ
وأسمعُ في الليلِ الصمتَ.
الساحةُ أصغرُ مِن أن نُبصرَها.
والقِمّةُ أقربُ
والفندقُ أحمرُ حتى الأذُنَين!

الجسرُ الذي يحفَظُ وحشيةَ الصخورِ والغابة
من إنسِبْروك إلى فورتَيسّا
كيلومتراً بعدَ آخرَ،
هذا الجسرُ يُتابعُ القطارَ المُجهَدَ،
الجسرُ يشهقُ لامِعاً مثلَ سِوارٍ فضّةٍ استقامَ في يدِ الساحرةِ.
الجسرُ ألقى شِباكَه على الجبل،
واصطادهُ كما يصطادُ يابانيٌّ نحيلٌ حوتاً في البحار الجنوبية.

أُبصِرُ، أحياناً، ما لا تبصرهُ القطّةُ.
هل أنّ محطَّة فورْتَيسّا كانت آخرَ ما أبصرَهُ موسوليني الهاربُ؟
هل أن محطةَ فورتَيسّا آخرُ هذا الكونِ. . .
لتأتي بملائكةٍ ومجانينَ
وتُلقي من عرباتِ السفرِ الضيّقةِ القرنَ الحادي والعشرين؟

القطارُ يمضي شمالاً.
فيرونا تشتطُّ بنا إلى قارةٍ أخرى.
القطارُ يسعل مثل راكضٍ شيخٍ في ماراثون.
النبيذ المحلّيّ خفيفٌ، صافٍ.
سنملأ كؤوسَنا ونتأمّلُ في الزجاجِ المُضَبَّب.
القطارُ يمضي شمالاً.

والذين يقرأون عن الأديِرةِ، مسافرينَ،
لن تخدشَ خدودَهم المتورِّدةَ سعْفةُ نخلٍ جفّفَها يورانيومُ
القذائفِ.

أُحِسُّ بالعصافيرِ في الرابعة (صباحاً بالطبع).
احسُّ بالقطار الأولِ في الخامسة ورُبْعٍ.
أُحِسُّ بأني أرتعشُ...

فورتيسّا، ٢٠٠٨/٠٤/١٢

سوقُ السبت في بولزانو

Bolzano

الدربُ الضيِّقُ من عندِ رصيفِ محطّتِها حتى ما كان سيُدعى كاثدرائيّتَها

كان السوقَ

(وأعني سوقَ السبتِ) الثاني عشرَ من نيسانَ

ولم تكن السوقُ مَعاشاً

كانت، وكما أوهَمَني مَن في السوقِ، مَتاعاً

. . . .

. . . .

. . . .

الناسُ أقاموا في الدربِ مآدبَهم:

حفلاتِ الكوكتيلِ. . . إلخ.

أمّا الفقراءُ فليس لهم حتى في سوقِ السبتِ مكانٌ.

❊

إفريقيٌّ أسْودُ

كان المتطفِّلَ:

ظلَّ يقولُ بصوتٍ مختنقٍ:
أنا جائعْ
أنا جائعْ. . . .

بولزانو، ١٢/ ٠٤/ ٢٠٠٨

ليلُ البحيرةِ المتجلِّدة

جبلٌ على جبلٍ، وثَمَّ مَخاضةٌ. . .
ماءٌ ولا كالماءِ
أشجارٌ ولكنْ شِبْهُ أحجارٍ
كأنّ هناكَ فُوَّهةً لِبُركانٍ تَجَمَّدَ منذُ آلافِ السنين
الشمسُ باردةٌ.
وطيرٌ واحدٌ سيجيءُ
طيرٌ سوف يحملُنا، وقتلانا، إلى باب الجحيم.

فورتَيسا، ١٢/ ٠٤/ ٢٠٠٨

الشمسُ التي لا تأتي

في هذا الأحدِ المشدودِ إلى سفحِ الجبلِ اشتقتُ إلى بلدي
حيثُ الصيفُ يُطقطِقُ منذ الآن
وحيثُ الشمسُ تُسَلِّطُ بؤرتَها حتى في الظلِّ
(النخلُ بغيرِ ظِلالٍ). . .

في هذا الأحدِ المُبْتَلِّ ككلبِ الراعي اشتقتُ إلى بلدي
أنا منذُ الصبحِ أقولُ: اشتقتُ إلى بلدي.
وهَنَ العظمُ
ورأسي مشتعلٌ شَيباً. . .

في هذا الأحدِ المقرورِ اشتقتُ إلى بلدي
أمضيتُ صباحي في الساحةِ والمقهى
غمغمتُ على ضفةِ النهرِ الجبليّ صلاةً متأخرةً
لكني أرتعشُ
البردُ تَغلغلَ كالإبَرِ الثلجيةِ في الدمِ. . .

في هذا الأحدِ الجَهْمِ اشتقتُ إلى بلدي

لكني لم أدركْ إلاّ الساعةَ
حين مررتُ بمقبرةِ القريةِ

أني، المسكينَ، بلا بلَدِ!

فورتَيسّا، ١٣/ ٠٤/ ٢٠٠٨

سأنتظِرُ!

لم أجدْ طيراً على غُصْنٍ

ولا نحلَ على الأزهارِ. . .

قلتُ: اليومَ لم يستيقظِ الكونُ على الكونِ!

وهذا النهرُ

هذا الهادرُ

المنحدِرُ

الجارفُ كالثورِ. . .

ألا يهدأُ كي نلتقطَ الأصدافَ في القاعِ

وكي نسمعَ من حوريّةٍ أغنيةً؟

. . . .

. . . .

. . . .

أُرهِفُ سمعي:

طائرُ أجهلُ ما يُسْمى

ينادي

مَن ينادي؟
الصبحُ لم يفتحْ على الفندقِ بوّابتَهُ، بَعْدُ
وهذا الجبلُ الأسوَدُ يَدَّثَّرُ في ريشِ الغراب. . .

فورتَيسّا، ١٤/ ٠٤/ ٢٠٠٨

المَوعِد

قلتُ: أمشي إلى آخرِ البلدةِ. . .
الشمسُ ناعمةٌ
والمحطّةُ خاويةٌ (أَحَدٌ ضائعٌ في المواعيدِ)
أبصرتُ منعطَفاً في البعيدِ
انتهَيتُ إلى شِبْهِ منحدَرٍ يصِلُ النهرَ بالدربِ. . .
أهبِطُ
أهبِطُ
لم أبلُغِ النهرَ.
ثَمَّتَ تنتظرُ الشاحناتُ:
سيمضي الأحدْ
مثلَ ما جاءَ. . .
أمضي أنا
مثلَ ما جئتُ. . .
والفجرَ تستيقظُ الشاحناتُ على ضفةِ النهرِ
تنطلقُ الشاحنات!

فورتَيسا، ١٤/ ٠٤/ ٢٠٠٨

مدخلٌ سرّيّ إلى قلعة فورتيسّا

للعمالِ الذينَ يجعلون القلعةَ متحفاً للأطفالِ والشعراءِ:

Stiegel Beer

بيرة ستيجل

Marlboro Cigarettes

سجائر مارلبورو

والجلاميدُ المسْوَدّةُ التي تنقلها الشاحناتُ المر سيدس المتوسطة لشركة

Wipptaler. Com

والمياهُ الآسنةُ التي يدفعُ بها نهرُ إيساركو إلى أسوارِ القلعةِ الغرانيت.

أمّا الكنيسةُ الصغيرةُ المحصّنة في المدخل
فقد هيّأها العمّالُ قبل الأوانِ، ليصلّي فيها سواهُم.

*

القلعةُ ليست بعيدةً عن فندق:

Posta-Reifer Hotel

مثلَ ما أن القلعةَ ليست بعيدةً عن الذهب...

Burgomaster Josef Wild

Owner of Posta-Reifer Hotel

العُمْدةُ يوسف وايِلْد

مالكُ فندق بوستا رايفَر

لديه المفتاحُ الثالثُ إلى البوّابةِ الذهبية

مع آمرِ القلعةِ الهتلريّ

وممثلِ مصرف إيطاليا.

❊

في الليلِ، تختلطُ القطاراتُ السريعةُ، وهي تهدُرُ، بالمطرْ

في الليلِ يختلفُ الشجرْ

ليكونَ بيتاً

أو دخاناً.

آنَها يتآمرُ الضبّاطُ...

سوف تكونُ فورتَيسّا مَزاغلَ للبنادق

أو مَرابضَ للمدافعِ

سوفَ يأتيها قياصرةٌ

ومحتالون.

سوفَ تكونُ سجناً يخنقُ السجناءَ في حلقاتِ فولاذٍ

وسَدّاً للغناء...

❊

أسرى الحربِ الرّوس

أسمعُهُم في المطرِ الليليّ

أسمعُ أصواتَ مطارقِهِم

ومَجارفِهِم

كان الأسرى الروسُ يشقّونَ بقلبِ الجبلِ القاسي

نفَقاً

وقبوراً من غيرِ شواهدَ.

اسمعُ أسرى الحربِ الروسَ يئِنّون. . .

*

رايةُ باريسَ مثلّثةُ الألوانِ

وجيشُ حُفاةٍ

وصعاليكَ

يدُقُّ على أبوابِ العالَمِ

كان يدُقُّ بقبضاتِ دمٍ وأناشيدَ

وكان قياصرةُ العالَمِ يرتجفون. . .

*

لسنينَ، ظلّت الشرطة الإيطالية تراقبُ ليشيو جَيلِي

Licio Gelli

فتّشوا منزله، فيلاّ فاندا، مراراً. أمّا هذه المرّة، فلم يفتشوا الخزانةَ، بل بحثوا في الشرفة، داخل أصُصِ الأزهارِ. وهناك بين البيجونيا والجيرانيوم. . . الأزهار الأثيرة لدى ليشو جَيلي، أيامَ شبابه، عثروا على ١٦٢ كيلوغراماً من الذهب الخالص في سبائك من كيلو واحدٍ، وعلى أربعين من قضبان الفضّةِ، وقد نُقِشَ عليها، أي اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفياتية. حدثَ هذا في العام ١٩٩٨ CCCP.

*

«كان ليشيو جَيلي، عميلاً سرّياً مرموقاً لموسوليني والغستابو، كما يبدو أنه اشتغلَ لصالح الكومنفورم الشيوعيّ. إنه مصرفيٌّ، صحافيّ، كاتبٌ، شاعرٌ، حائزٌ على عدة جوائز أدبية هامّة. لكن شهرته الكبرى هي في رئاسته المحفل الماسونيّ المعروف (بي ٢) الذي ضمَّ نخبةً من أشهر موظفي الدولة والسياسيين والضباط ورجال الأعمال، ممّا منحه قدرةً سرّيةً على التحكم بالأحداث السياسية، في السنوات الخمسين التي أعقبت الحرب العالمية الثانية».

❊

قلعةُ فورتَيسّا
كانت تنهارُ قليلاً فقليلاً
فوقَ رؤوسِ قياصرةٍ
وجنودٍ
وسماسرةٍ
ولصوصِ سلاحٍ محترِفين.

قلعةُ فورتَيسّا
تُبْنى ثانيةً تحتَ سماءٍ أخرى
تُعْلِنُ أن العالَمَ أجملُ دونَ قلاعٍ
حتى لو كانت تلك القلعةُ:
فورتيسّا!

فندق بوستا رايفر

Posta-Reifer Hotel

فورتيسّا، ١٥/ ٠٤/ ٢٠٠٨

تهْلِيلةٌ

سأرحلُ في قطارِ الفجرِ:
شَعري يموجُ، وريشُ قُبَّعَتي رقيقُ
تناديني السماءُ لها بُروقٌ
ويدفعُني السبيلُ بهِ عُروقُ.
سأرحلُ...
إنّ مُقتبَلِي الطريقُ.

سلاماً أيها الولدُ الطليقُ!
حقائبُكَ الروائحُ والرحيقُ...
ترى الأشجارَ عندَ الفجرِ زُرقاً
وتلقى الطيرَ قبلكَ يستفيقُ

سلاماً أيها الولَدُ الطليقُ...
ستأتي عندكَ الغِزلانُ طَوعاً
وَتَغْذوكَ الحقولُ بما يليقُ.

سلاماً أيها الولدُ الطليقُ!
سلاماً آنَ تنعقدُ البروقُ. . .

فورتَيسّا، ١٦/ ٠٤/ ٢٠٠٨

الدّرسُ الأوّل

قالَ: لم يبْقَ شيءٌ.
بلادٌ هوتْ مثل كوخٍ من القصبِ المتقادِمِ
في الريحِ.
والقتلُ صارَ الحياةَ.
الموائدُ عامرةٌ بالجماجمِ
والنارُ ترفضُ أن تكتفي بالهشيمِ...

❋

إذاً؛
قلتَ: لم يبقَ شيءٌ!
رفيقي الذي لم تعُدْ مثلَ ما أنتَ...
إنْ أنتَ قدَّرْتَ، فَلْيَكُنِ!
الأمرُ أبعَدُ منكَ،
ومنّي.
أنجلسُ في حانةِ البحرِ
تلكَ التي علّمَتْنا الأغاني
لنستقبلَ النأمةَ ـ المستحيلَ؟

❋

الحياةُ ستأخذنا، مثل طفلَينِ، ثانيةً
كي تقولَ لنا:
ما أشَقَّ الحياة!
ما أدَقَّ الحياة!
ما أحَقَّ الذي لم يَعُدْ. . . بالحياة!

لندن، ١١/ ٠٤/ ٢٠٠٨

أسرارٌ بسيطةٌ

أُسِرُّكَ:
نحنُ، الرجالَ الوحيدينَ،
نفعلُ ما ليس يمكنُ أن تتصوّرَ
كي لا نظلَّ رجالاً وحيدينَ...
خُذْ مثَلاً:
إنني أتهيّأُ في الفجرِ، أُرهِفُ سمعي لأوّلِ طيرٍ.
تقولُ: وماذا؟
انتظِرْ لحظةً يا صديقي!

وأمسِ، بمفترَقٍ للقطاراتِ، قبّلتُ ناديةَ القُبلةَ المتعجلةَ،
النارَ...
كان نبيذُ الظهيرةِ (من أستراليا البعيدةِ) محتدِماً في العروقِ
وفي شفتَيها...
وكنتُ أراهنُ أني سأمضي إلى بيتِها ذاتَ يومٍ!
غريبٌ.
مُغَنٍّ وحيدٌ
وقيثارةٌ كهربائيّةٌ...

وحينَ وقفتُ ببابِ المحطةِ جاءَ المطرْ. . .

أُسِرُّكَ:
إني أشذِّبُ، ظُهراً، حديقةَ بيتي
وأقتلِعُ الضارَّ من عُشبِها
وآتي لها بالسمادِ
وبالحَبِّ كي يهبطَ الطيرُ فيها.
أقولُ: لآدمَ أن يحتفي بالأديمِ. . .

وثالثةً، يا صديقي، أُسِرُّكَ:
بعدَ غدٍ
سوفَ أمضي إلى الساحةِ
الرايةُ الفوضويّةُ لي. . .
سوف أرفعُها، عالياً، في مهَبِّ الرياح!

لندن، ١٥/ ٠٥/ ٢٠٠٨

بَدْلةُ العاملِ الزرقاءُ

على مقاسي كانت البدلةُ!
حتى أنني لم أختبِرْها لحظةً في غرفةِ التجريبِ. . .
كانت بَدلتي حقّاً. . .
وها أنا أرتديها؛
لا أفارقُ قُطْنَها المُزْرَقَّ حتى في الفراشِ!
تقولُ صديقتي:
ما أنتَ؟
عُمّالُ المدينةِ لم يعودوا يلبسونَ البدلةَ الزرقاءَ. . .
عمّالُ المدينةِ لم يعودوا يَدَّعونَ بأنّهم يُدْعَونَ عمّالَ المدينةِ!
أيها المجنونُ
حتى في الفراشِ، البدلةُ الزرقاءُ؟
هل تُصْغِي إليّ!

لندن، ١٩/٠٥/٢٠٠٨

طائرُ التَدْرُج

The pheasant

أمُرُّ بالغابةِ. . .
الأغصانُ مثقلةٌ بصمتِها وظِلالِ الخُضرةِ.
ابتعدتْ عني الأرانبُ،
كان الدربُ مُنْفَسَحاً بينَ الحوائطِ والأعشابِ
أدفعُها دفعاً رقيقاً لأمضي
والأصيلُ بهِ رعشاتُ بَرْدٍ، وأمضي.
فَجأةً
وبلا صوتٍ، يباغتُني طيرٌ، ويوقِفُني. . .
يا طائرَ التَّدْرُجِ الحَيرانَ
إنْ سَلِمَتْ رِيشاتُكَ اليومَ. . . لا تأمَنْ،
فلستَ ترى مثلي كثيراً. . .
فتىً كالطيرِ منخطِفاً!

لندن، ٢٠/ ٠٥/ ٢٠٠٨

الحِزامُ العريضُ

للنساءِ اللواتي بلندنَ
ليسَ الحزامُ العريضُ
السبيلَ إلى العِفّةِ. . .
الفتياتُ بلندنَ
يَعْقِدْنَ هذا الحزامَ العريضَ
ليكشِفْنَ ما دَقَّ
أو رَقَّ. . .
حتى كأنّ سريراً من الريشِ
يحْمِلْنَهُ
تحتَ هذا الحزامِ العريض!

لندن، ٢١/٠٥/٢٠٠٨

Southall الحيُّ الهنديُّ بلندن

أهذي هيَ الهندُ؟

فاكهةٌ

ودكاكينُ للخضرواتِ

ملابسُ للسيداتِ اللواتي نسِينَ الأناقةَ منذُ حَلَلْنَ بلندنَ

أحذيةٌ استوائيّةٌ

ومكاتبُ للنقلِ أو للصِّرافةِ.

قُرْصُ المُغَنّي قديمٌ.

أهذي هيَ الهندُ؟

لا ناسكٌ

لا إلهٌ ولو بذراعٍ...

ولا مَعْبَدٌ.

لا قرودٌ مقدّسةٌ

لا قرودٌ.

فمِنْ أينَ أدخلُ فيها...

أهذي هي الهندُ؟

يا صاحبي:

أنتَ إنْ كنتَ تنوي الذهابَ إلى الهندِ

فاذهَبْ إلى الهندِ،

واترُكْ لِلَندنَ أسمالَها. . .

لندن، ٢٢/ ٠٥/ ٢٠٠٨

أربعة مقاطِع عن المكان

أسكنُ في هَيْرْفِيْلدِ التلِّ
بعيداً عن لندنَ
مقترِباً من ليلي. . .

أسكنُ في غابةِ أشجارٍ أجهلُها
أسماءَ، كما أجهلُ نفسي
لكني أجهَدُ كلَّ صباحٍ
أن أعرفَها باللمسِ. . .

أنا أسكنُ عند بُحيرةِ ماءٍ ممنوعٍ
ماءٍ تأْلَفُهُ أسماكٌ مُنْتِنَةٌ
وطيورٌ.
ماءٍ عبرَ سياجٍ من شجرٍ وحديدٍ يصدأُ. . .
لكني من أجْلِ الماءِ الممنوعِ سأبدأ!

أسكنُ في قوقعةٍ من إسْمَنْتٍ وحريرٍ
وأقولُ:

هيَ الدِّرْعُ!
ولكني كلَّ مساءٍ، أصعدُ نحوَ النجمِ القُطْبيِّ
وأدْعو!

لندن، ٢٠٠٨/٠٦/٠٢

نهارُ أحدٍ ملتبسٌ

منذ انتصافِ الليلِ

(بين الريحِ والمطرِ المُقَعْقِعِ والسريعِ

وبين زائرةٍ مهفهَفةٍ بأحلامي وأخرى)

كان هذا اليومُ يأخذُ شكلَه، ليصيرَ ملتبساً. . .

رحلتْ إلى ما لستُ أدري، جارتي

وتَجَنّبَ العصفورُ نافذتي

وتَحَصَّنَ السنجابُ عبرَ السورِ.

لا مطرٌ

ولا صحْوٌ.

سماءٌ ترتدي الأسمالَ من قُزَعِ السحابِ الأبيضِ المُرْمَدِّ.

والأشجارُ صامتةٌ.

سأنتظرُ التي قالتْ: سآتي اليومَ حتماً. . .

غيرَ أن اليومَ ملتبسٌ،

ورُبَّتَما أرادتْ واحداً غيري يُضاجِعُها نهاراً.

. . . .

. . . .

. . . .

إنّ هذا اليومَ ملتبسٌ!

لندن، ٢٢/٠٦/٢٠٠٣

في الحديقة العامّة

ألوذ من قطّتي، فجراً

بمُنْسَدَلِ الزانِ النحاسيّ والصفصافِ. . .

لستُ أرى سوى البحيرةِ.

كان الماءُ مرتعشاً شِبْهَ ارتعاشٍ

صقيلاً

لامعاً.

هبطتْ حمامةٌ فجأةً.

كانَ الإوَزُّ على الحافاتِ. . .

أعرِفُ من هديلِهِ خافتِ الأمواجِ أنَّ ندىً يبارِكُ الريشَ،

أنّ الريشَ أجنحةٌ مُصَغّراتٌ

وأنّ الكونَ يرفعُها، كي يَعتلِي هوَ فيها.

. . . .

. . . .

. . . .

قطّتي خمشتْ وجهي مساءً

أمانَ الله!
مُلْتَجأٌ هي البحيرةُ.
والأمواجُ تصطفقُ!

لندن، ٢٤/٠٦/٢٠٠٨

الفهرس